

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر
تُصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية



عدد خاص عن ذكرى عيد العرش المجيد



السنة التاسعة والخمسون - العدد 418 شوال 1437 هـ / يوليو 2016 م

418

دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة التاسعة والخمسون - العدد 418 شوال 1437 هـ / يوليو 2016 م



أسسها
جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376 هـ / 1957 م

”... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة
تُعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تُعالج مختلف
الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا ولهيم الأمل في أن يلتفت
حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها
لتؤدّي مهمتها خير أداء.
وعسى أن تسلك مجلة “دعوة الحق” سبل النجاء والتوفيق.”

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى “مجلة دعوة الحق” بمناسبة صدورها في شهر يوليو 1957

إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والشؤون الدينية
الغواصة كاديس 1437 هـ / 2016 م

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لاتعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

العنوان : مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط
الموقع الإلكتروني: www.daouatalhaq.ma - البريد الإلكتروني: daawatalhak@mhai.gov.ma
هاتف التحرير : 05 37 76 59 05 - هاتف مدير المجلة: 05 37 66 06 74
فاكس: 05 37 76 17 21
التوزيع : هاتف وفاكس: 05 37 76 32 10
الحساب البنكي : القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط:
RIB : 225-810-0195092946510102-88
الاشتراكات في المجلة: الاشتراك التشجيعي : 500 درهم - المملكة المغربية : 150 دھ
الخارج : 300 درهم
رقم الإيداع القانوني : 1981/3
الرقم الدولي : 1981PE0003
الإخراج الفني والطباعة: مطبعة الكرامة - الرباط

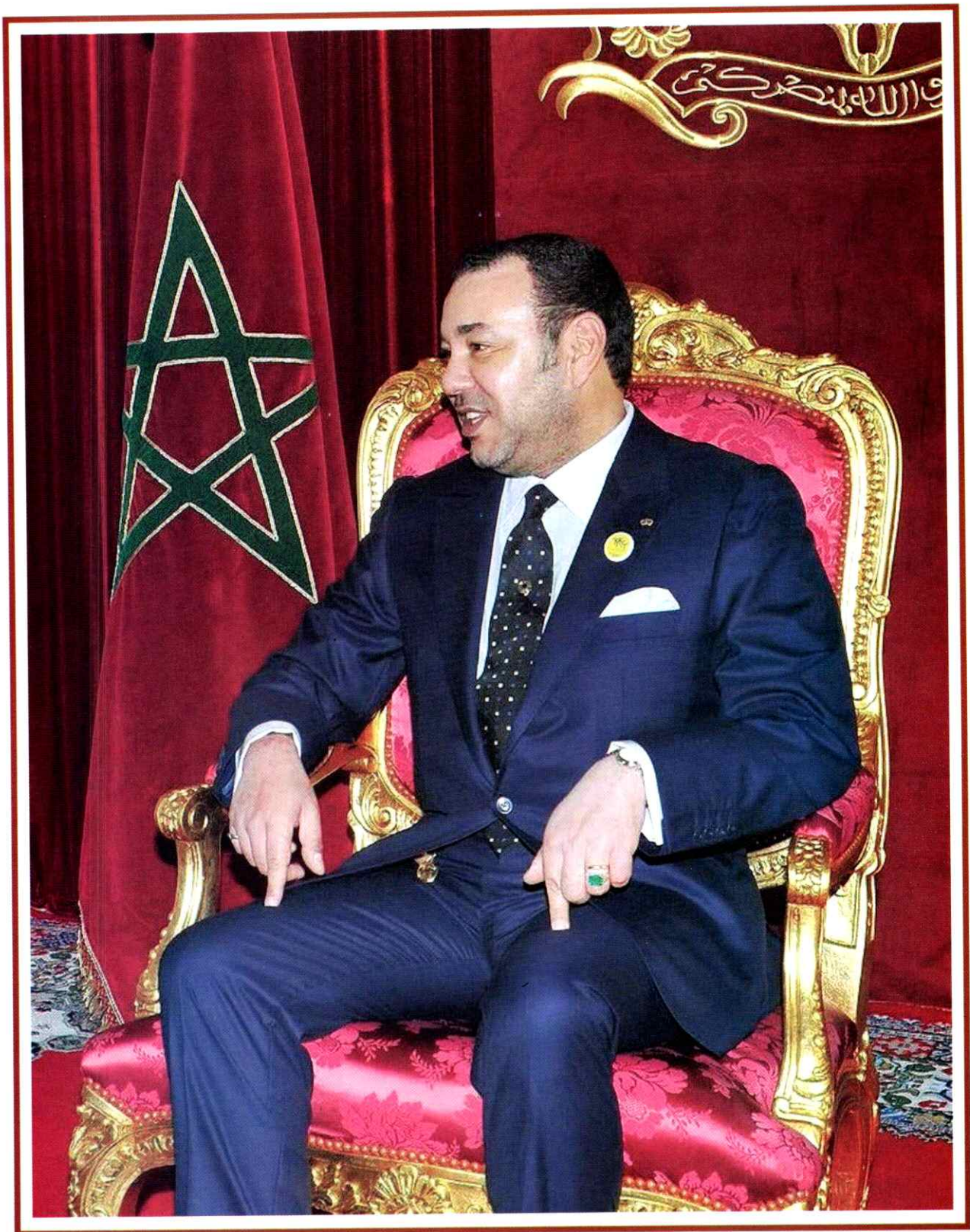
مدير المجلة:

الأستاذ أحمد قسطاس

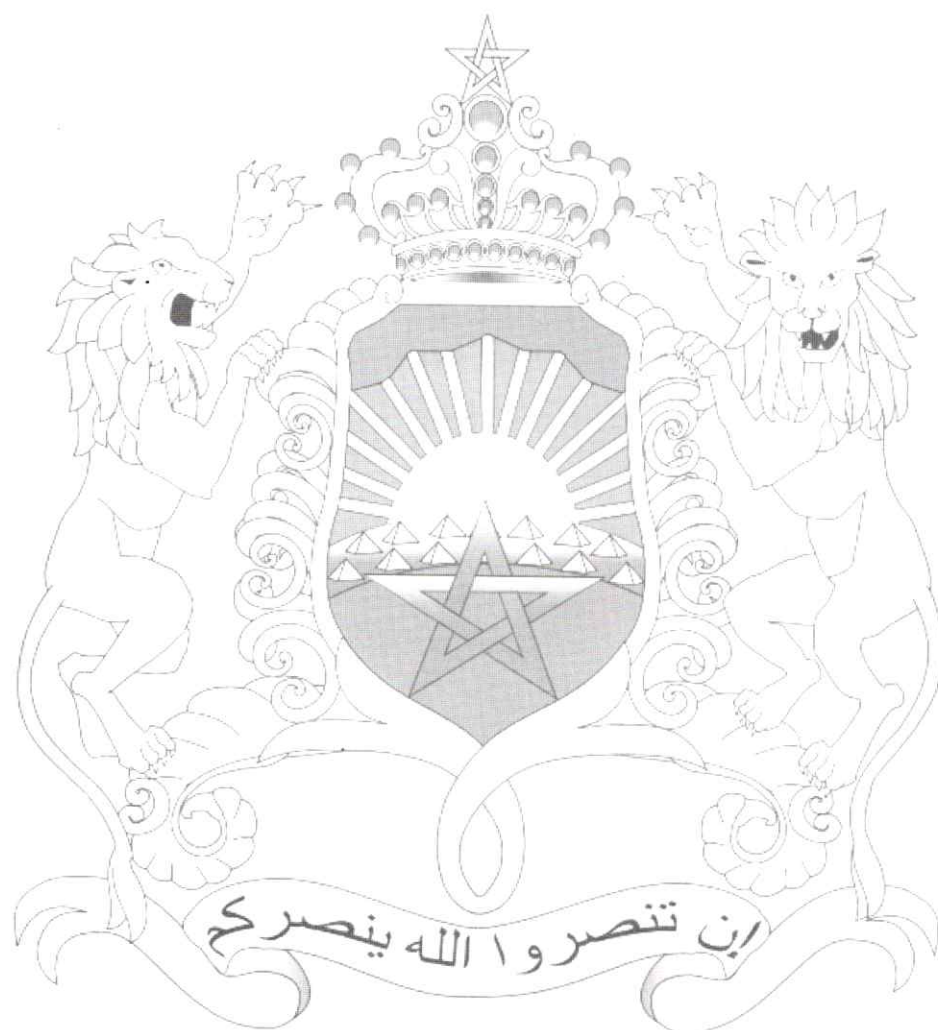


رئيس التحرير:

الأستاذ عبد الحميد العلمي

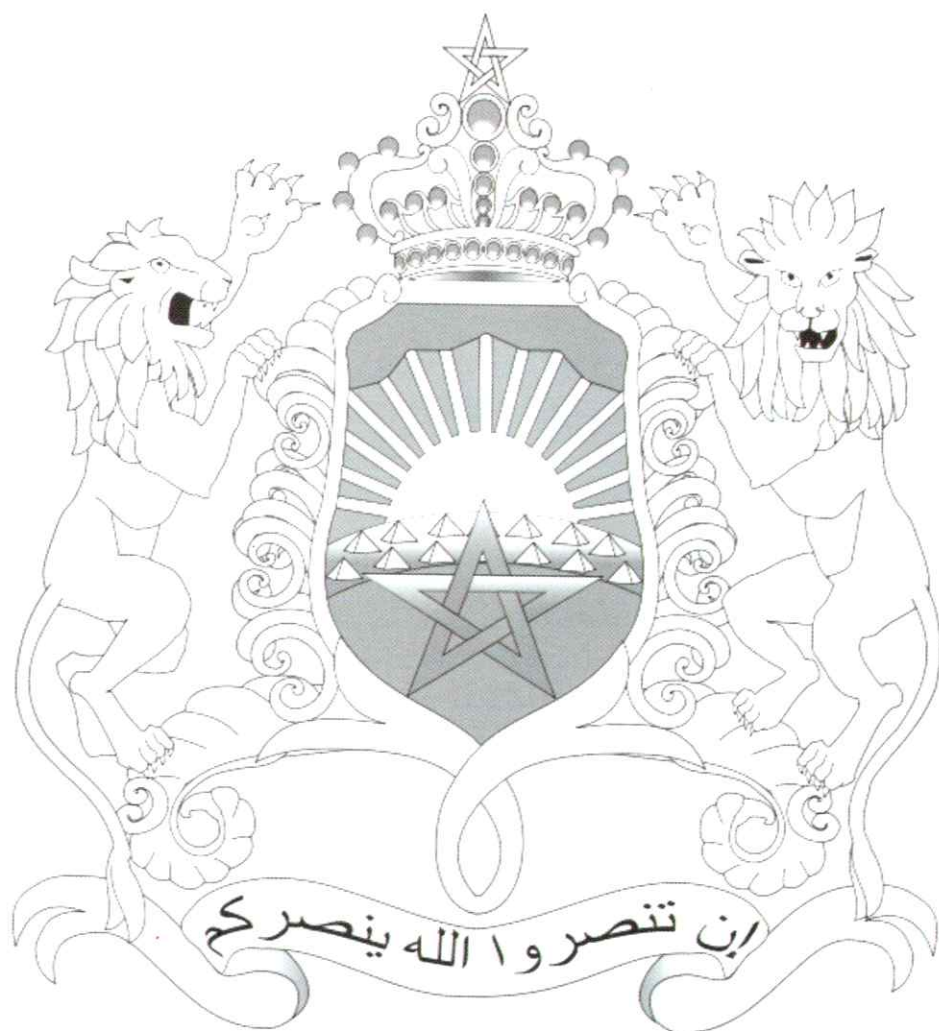


أمير المومنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله





صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد



افتتاحية

يخلد الشعب المغربي هذه السنة الذكرى السابعة عشرة لعيد العرش المجيد، ومعلوم أن الاحتفال بهذا العيد ليس مجرد ذكرى عابرة، بل يحمل دلالات قوية تجسد معاني الوفاء وروابط البيعة المنوطة بالولاء.

لذا، دعا صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله إلى جعل هذه الذكرى مناسبة سنوية لإجراء وقفة مع الذات حول ما حققه المغرب من منجزات وما يواجهه من تحديات.

والقول بواسطة الوقوف مع الذات يستدعي طرقي المنجزات والتحديات، وجماع القول في الأولى ما دلت عليه الأيدي السابغات في مختلف المجالات، فقد حث صاحب الجلالة نصره الله الحكومة على وضع مخطط عمل مندمج يقوم على الشراكة بين مختلف القطاعات الوزارية والمؤسسات المعنية لتوفير وسائل تمويل المشاريع ضمن التوجه الجديد للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية باعتبارها رصيда إنسانيا.

ولفظ الإنساني من منظور أمير المؤمنين يصدق على المغاربة وغيرهم، قال حفظه الله: "إن إسهام المملكة في مجال العمل الإنساني لا ينحصر فقط في المساعدات العاجلة، بل إنه يندرج في منظور شمولي يروم التخفيف من معاناة الفئات المستضعفة من خلال مشاريع للتنمية المستدامة خاصة بدول إفريقيا جنوب الصحراء"

ومما يجلي عنايته نصره الله بما يتعلق بالتحديات اهتمامه بقضايا التعليم والصحة والهجرة والوحدة الترابية "فالمغرب لن يسمح أبدا بالتطاول على سيادته ونموذجه المجتمعي، ولن يقبل بأي محاولة للمس بسيادته أو كرامة مواطنيه"

لذا، عمل المغرب على الانخراط في القضايا الدولية الخادمة للكرامة الإنسانية، قال حفظه الله: "فاحتضان المغرب لعدد من المنتديات العالمية، تهم حقوق الإنسان والهجرة وريادة الأعمال ومحاربة الإرهاب والتغيرات المناخية،

كلها تظاهرات تبرز الثقة والمصادقية التي يحظى بهما عالميا ، كما أن الإجابات التي تقدمها بلادنا لمعالجة هذه القضايا الكونية تشكل مساهمة نوعية في الجهود الدولية لإيجاد حلول موضوعية لها."

وبناء على توجيهاته السامية ، فقد عمل المغرب على توسيع شراكاته الدولية بكل من أوروبا وأمريكا وإفريقيا وآسيا والشرق الأوسط ، قال نصره الله في الخطاب الذي ألقاه بالقمة المغربية الخليجية بالرياض بتاريخ 20 أبريل 2016م: " فالشراكة المغربية الخليجية ليست وليدة مصالح ظرفية أو حسابات عابرة وإنما تستمد قوتها من الإيمان الصادق بوحدة المصير ، لذا نجتمع اليوم لإعطاء دفعة قوية لهذه الشراكة التي بلغت درجة من النضج أصبحت تفرض علينا تطوير إطارها المؤسسي وآلياتها العملية."

كما عمل نصره الله بصفته أميرا للمؤمنين على حراسة الدين من شبه الغالين وتحريف المبطلين والعناية بالعلماء العاملين الذين وجدوا في المغرب النبراس المقتدى والنموذج المحتذى ، فاشترأت إليه الأعناق من كل الآفاق ، فأثمر ذلك عن إنشاء مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة. قال حفظه الله بهذه المناسبة: "إننا نعتبر مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة إطارا للتعاون وتبادل التجارب ، وتنسيق الجهود بين العلماء للقيام بواجبهم في التعريف بالصورة الحقيقية للدين الإسلامي الحنيف وبقيمه السمحة القائمة على الاعتدال والتسامح والتعايش وجعلها في خدمة الأمن والاستقرار والتنمية بإفريقيا "

تلك كانت قبسات من صور الوقوف مع الذات لاستجلاء ما قام به المغرب من منجزات واستشراف ما أعده من آليات لمواجهة مختلف التحديات.

لذا ، يسعد مجلة دعوة الحق أن تقدم في هذا العدد مقالات علمية تجلي أبعاد هذه المناسبة الغالية ومضامينها السنية لتكون ذكرى للمواطنين ومفخرة للمغاربة أجمعين.

رئيس التحرير

مقالات العدد

إمارة المؤمنين وحضورها الديني والسياسي في النموذج المغربي

د. عبد الحميد العلمي

أستاذ بدار الحديث الحسنية

لما كان الإسلام خاتم الأديان فقد كتب الله له أن يصل إلى مختلف الشعوب والبلدان، فحاز الغرب الإسلامي شرف ذلك الوصول، وتلقاه أهله بالرضى والقبول، واستعانوا على ما هم فيه بما فطرهم الله عليه من حب الدين، وتعظيم النبي الأمين، واتباع من له انتساب لدوحة خاتم المرسلين في شخص أمير المؤمنين، واستمروا على ذلك قرونا عددا أسفرت عن خيارات أرسيت دعائم التدين في هذا المصر من العالم الإسلامي، حتى أصبح نبراسا يقتدى، ونموذجا يحتذى. وذلك بفضل استقرار أحوالهم في الابتدا على ضبط أوضاعهم بمسمى العبادة، وربط أنماط سلوكهم بفروض الطاعة، ولزوم الجماعة، سواء تعلق الأمر برعاية ما هو ديني أو سياسة ما هو من قبيل الدنيوي.

لذا اخترت أن أترجم موضوعي ب: "إمارة المؤمنين، وحضورها الديني والسياسي في النموذج المغربي" وباستيفاء النظر في قيوده وجدته مؤسسا على مقدمة تحتها مسألتان:

أما المقدمة فتصدق على التأصيل الشرعي لإمارة المؤمنين، وأما المسألتان فأحدهما تتعلق بالحضور الديني، والثانية بالجانب السياسي.

المقدمة

وتُعنى بمسمى إمارة المؤمنين والتأصيل الديني لمشروعيتها. فعلى مستوى التسمية ذكر الشيخ محمد رشيد رضا أن: "الخلافة والإمامة العظمى وإمارة المؤمنين كلمات معناها واحد وهو رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدنيا والدين"¹ وهي كما في عبارة جمهور أصحاب الصناعة الحدية:

"صفة حكومية توجب لمن قامت به حراسة الدين وسياسة الدنيا" أما عن التأصيل الديني لمشروعيتها، فالمعلوم شرعا والمقرر عقلا أن مهام أمير المؤمنين منوطة في الابتدا بالقيام على أمر الدين وسياسة شؤون المسلمين، لا نعلم في ذلك مخالفا لإجماع الكافة عليه، قال ابن حزم: "اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب

1- الخلافة، ص 17.

الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة"¹.

وما يستفاد من مبدأي الاتفاق، ووجوب الانقياد، يفضي إلى إقامة شرع الله لمن وجبت علينا طاعته، وهو أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله.

لذا، نص ابن تيمية على أن مسألة الإمامة واجب ديني، وأن الدين لا يقوم إلا بها فقال: "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها"².

ومما انبنى على القول بالوجوبية ضرورة نصب الإمام الراعي للإسلام، والحامي لمصالح الأنعام قال ابن خلدون: "إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعته أبي بكر رضي الله عنه، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وهكذا في كل عصر من بعد ذلك"³.

وقيد الكلية مشعر باستمرار الوجوبية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والمغاربة متمسكون منذ الزمن الأول بما يفرضه واجب الدين من ضرورة طاعة أمير المؤمنين بمقتضى عقد البيعة التي استمدت مشروعيتها من القرآن الكريم، وسنة المصطفى الأمين، ومن سار على هديه من كافة المسلمين. إذ بموجبها تتحقق المقاصد المرعية، القائمة على العروة الوثقى بين الراعي والرعية.

ولما كان الموضوع يعنى بإمارة المؤمنين، وحضورها الديني والسياسي في النموذج المغربي، فإنني سأعمل على بحثه من خلال الثنائية المقررة في الحدية الجامعة للأمور الدينية والدينية.

وعملا بقاعدة الأرجحية، فقد حظي الدين من حيث القوة بالأولوية. لذا، اقتضى منهج العرض أن نبدأ بالأعلى لأنه أولى وأحرى، وهو موضوع :

1- الفصل في الملل والنحل ، 4/72.

2- السياسة الشرعية 9.

3- المقدمة 131.

المسألة الأولى: إمارة المؤمنين ومسؤولية الحفاظ على الدين.

إن الناظر في مهام أمير المؤمنين، وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك محمد السادس نصره الله، فيما يرجع لحفظ الدين يجدها قائمة على تعلقين:

1- أحدهما: وجودي، ويتحقق وجه الحفاظ فيه بالعمل على ما يثبت أركانه ويقوي بنيانه.

ومن تجليات جهوده نصره الله في هذا الحفاظ:

أ- مباشرة المهام الدينية المنصوص عليها في النقول الشرعية، وبموجبها يعتبر أمير المؤمنين السلطة الدينية العليا في البلاد. إذ إليه يوكل النظر في حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الدينية والدنيوية.

ب- تأهيل الشأن الديني من خلال احترام القيم الإسلامية التي درج المغاربة على التمسك بها مذهباً وعقيدة وسلوكاً، والعمل على إقرارها تحقيقاً للوحدة وضمناً للأمن الروحي. جاء في الظهير الشريف رقم 1.08.16 الصادر في 20 أكتوبر 2008م: "بناء على مقتضيات الدستور التي تخول لجلالتنا بصفتنا أمير المؤمنين واجب السهر على حماية وصون القيم والتعاليم الإسلامية للمغاربة المسلمين فيما يتصل بصون عقيدتهم وممارسة شعائهم بما ينسجم مع روح ديننا الإسلامي الأصيل، ويتماشى مع نهج أسلافنا المنعمين من عقيدة أشعرية ومذهب مالكي وصوفية سنية".

2- الحفاظ الثاني عدمي :

وبابه الذب عن الدين، ودرء الاختلال الواقع أو المتوقع فيه.

ومعلوم أن الحفاظ الوجودي له حظ في النهوض بالعدمي، إذ لا سبيل إلى اكتمال عقد الحماية إلا بهما.

ولأمير المؤمنين جهود تذكر في الباب باعتباره أعلى سلطة دينية في البلاد، جاء في ديباجة الظهير الشريف المتعلق بالرابطة المحمدية للعلماء: "وقياماً بالأمانة المنوطة بنا بوصفنا أميراً للمؤمنين، وما تستلزمه الإمامة العظمى من واجب حراسة الدين وإقامة شعائره وشرائعه وتمنيع قيمه ومكارمه مما قد يلابسها من ذرائع الزيغ والانحراف أو شوائب التتبع والابتداع".

كما ورد في خطاب فاس بتاريخ 8 يوليوز 2005م ما نصه: "وبذلك نقوم بتحسين الفتوى التي هي أحد مقومات الشأن الديني بجعلها عملا مؤسسيا، واجتهادا جماعيا لا مجال فيه لأدعياء المعرفة بالدين ولتطاول السفهاء المشعوذين".

والناظر في النص أعلاه يجده ناطقا بالعبارات الدالة على حفظ الدين بالمعنى الذي نحن فيه. فالتعليل بقطع دابر الفتنة والحسم بسد الذريعة أمام أدعياء المعرفة، وتطاول السفهاء والمشعوذين مشعر بعزم أمير المؤمنين على درء الاختلال المتوقع في الدين وهو ما يعبر عنه عند أهل الصناعة بالحفظ العدمي لهذا الشرع المكين.

المسألة الثانية: إمارة المؤمنين والحضور السياسي

وهو من لازم الديني، إذ لا انفكاك له عنه إلا من حيث تعلق الأول بالحراسة والثاني بالسياسة.

والقول بالسياسي له حضور في الحدي والواقعي، فهو مصطلح داخل في التعريف متداول في التصنيف، جاء في إعلام الموقعين: "ولا نقول إن السياسة العادلة مخالفة للشرعية الكاملة، بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها، وتسميتها سياسة اصطلاحية، وإلا فإن كانت عدلا فهي الشرع".¹

والقول: "إنها من الشرع" يفوض لأمر المؤمنين النهوض بما هو سياسي باعتباره فصلا من جنس ما هو ديني.

وهذا من خصوصيات الجمع بين الديني والسياسي في النموذج المغربي، فأمر المؤمنين نصره الله باعتباره ملك البلاد، فهو الساهر على مصالح العباد بموجب الصلاحيات الدينية والسياسية التي نص عليها دستور المملكة المغربية سنة 2011م.

وقد ورد في تصديره ما يفيد أن المملكة المغربية دولة ديمقراطية يسودها الحق والقانون. وأنها تلتزم بما تقتضيه المواثيق الدولية من حقوق وواجبات.

كما تضمن الفصل الأول أن نظام الحكم بالمغرب نظام ملكية دستورية ديمقراطية برلمانية واجتماعية.

1- إعلام الموقعين 571/4.

ونص الفصل السابع على أن الأحزاب السياسية تعمل على تأطير المواطنين والمواطنات، وتكوينهم السياسي، وتعزيز انخراطهم في الحياة الوطنية.

وبرجوعنا إلى الفصول 41 وما بعدها نجدها مؤسسة لمهام أمير المؤمنين الدينية والسياسية وغيرها، وتكفي الإشارة إلى ما ورد في الفصل 42 وهو: "الملك رئيس الدولة، وممثلها الأسمى، ورمز وحدة الأمة، وضامن دوام الدولة واستمرارها، والحكم الأسمى بين مؤسساتها، يسهر على احترام الدستور، وحسن سير المؤسسات الدستورية، وعلى صيانة الاختيار الديمقراطي، وحقوق وحرريات المواطنين والمواطنات والجماعات، وعلى احترام التعهدات الدولية للمملكة".

وبه يعلم أن حضور الديني والسياسي في مهام أمير المؤمنين له استمداد من الشرع الحكيم، ففي صحيفة المدينة التي كتبها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تحت العذق الذي في دار بنت الحارث ما اعتبره البعض دستوراً للمجتمع المدني، نص فيه عليه السلام على إطار التعايش بين المسلمين وغيرهم وفق قواعد حقوقية تضمن لمكونات مجتمع يثرب السلم والتنازر والأمان جاء في آخر هذه الصحيفة: "وأن الله على أصدق ما في الصحيفة وأبره، لا يحول الكتاب دون ظالم ولا آثم. وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن، إلا من ظلم وأثم وأن أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن".

كما تعد رسالة المولى سليمان العلوي إلى العاهل السعودي سعود بن عبد العزيز وثيقة دينية ودبلوماسية لمن أمعن النظر فيها.

وفي كتاب العلاقات السياسية للدولة العلوية لعبد الرحمن بن زيدان العلوي إفادات تتعلق بمراسلات الملوك العلويين لمختلف رؤساء القارات مشبعة بقضايا دينية وأبعاد سياسية.

أما رسائل القرن التي درج ملوك الدولة العلوية على بعثها إلى ملوك ورؤساء العالم الإسلامي فهي عنوان الجمع بين الديني والسياسي وتتوفر منها على ثلاث رسائل: الأولى لسيدي محمد بن عبد الله والثانية للحسن الأول والثالثة للحسن الثاني طيب الله ثراه.

وللمعترض أن يوجه نقضه بأن ما ألفت إليه أعلاه يعتبر انتصاراً للجمع واستظهاراً على الفصل.

يُجاب عنه أن ما قدمناه في الباب دعوى أقمنا الحجة عليها صحة لا فسادا ولا سبيل إلى حمل تلك الدعوى إلا بشرطين:

- أحدهما: تمثل الخصوصية المغربية
- والثاني: التحقق باللازم الديني قبل الملزوم السياسي للحكم على العلاقة بينهما جمعا أو فرقا.

وأحسب أن الداعين إلى الفصل قدموا الملزوم على اللازم، وهذا خلف فما أدى إليه فهو مثله.

بقي الكلام عن حضور النموذج المغربي في السياق الأوروبي، وسأعرض له ضمن إفادات منها :

1- الإفادة الأولى

تتعلق بحضور النموذج المغربي في التشريع الأوروبي.

لقد تقرر أن تمسك المغاربة بثوابتهم الدينية جعل منهم النموذج المحتذى في المنظومة التشريعية للقارة الأوروبية. فكانت تلك الثوابت تجليات بنفحات مالكية ظهرت آثارها في التشريعات الفرنسية والإسبانية والألمانية والتلمودات اليهودية.

إذ المعلوم أن الفقه المالكي له حضور في المساطر الفرنسية في مدونة نابليون خاصة في الأحكام المتعلقة بالعقود والالتزام.

كذلك كان الأمر في القانون المدني الإسباني في أحكام الأسرة والمياه وعقود الزواج، كما أخذ المشرع الألماني ببعض أحكام القراض في قانون الشركات.

وقد كان للمدرسة المالكية أثر في النوازل اليهودية، إذ تدلنا المصادر أن اليهودي المغربي إسحق بن يعقوب الكوهن ألف 320 فتوى مقتبسة من الفقه المالكي.

ولعل أهم ما جاد به نموذج التدين المغربي القائم على وحدة العقيدة وسلامة الشريعة والسلوك تأثر أوروبا بمبادئ الأخلاق مما حدا بمارسيل بوازا إلى وضع كتاب حول الإسلام والخلق الدولي¹

1- انظر كل هذا في كتاب "فاس منبع الإشعار في القارة الإفريقية" لعبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 557.

2- الإفادة الثانية

تتعلق بجهود الدولة العلوية في الحفاظ على تميز النموذج المغربي في الأوساط الأوروبية.

لقد استمر العهد موصولاً لدى ملوك الدولة العلوية الذين لهم أياد سابغات على حماية النموذج المغربي من الشائبات، لذا سجلوا للمغرب حضوراً مشرفاً بفضل بناء المؤسسات وإصلاح المنظومات وإقامة العلاقات. وإرسال البعثات وتوجيه الدبلوماسية فحاز بذلك شرف الوحدة والاستقرار، وضمن الحضور العلمي والتواصل الحضاري على المستوى القاري والعالمي.

فهذا محمد الأمين تركي نزيل فاس ألف للمولى عبد الحفيظ العلوي كتاباً أسماه: "التحفة الناضرة في الحكومة الحاضرة" عرض فيه لأنظمة الدول العالمية وحكوماتها، ونبه على القوانين الدستورية المعمول بها، وخلص إلى القول: "فتمسكوا أيها المؤمنون بحبل أمير المؤمنين العالم العاقل، واعتصموا بجانب هذا السلطان الفاضل الكامل، فإنه كان في الدنيا تسعون حكومة شرعية إسلامية قبل مائة سنة، ولم يبق منها الآن خالصاً إلا الحكومة المغربية"¹.

ومن منطوق هذا النص تتجلى أبعاد الخصوصية المغربية القائمة على التمسك بتواتبها الشرعية.

فما هو أثر تلك الثوابت على النموذج المغربي في الديار الأوروبية؟

3- الإفادة الثالثة:

تتعلق بجهود أمير المؤمنين في تجلية تلك الثوابت على المستوى القاري.

إن الناظر في النموذج المغربي لدى المقيمين بالخارج يجدها بحاجة إلى مزيد عناية واهتمام.

من أجل ذلك صدرت نداءات تذكر بضرورة الحفاظ على حضورنا الريادي بدليل استعداد مجموعة من دول العالم ومنها بعض الدول الأوروبية للاستفادة من التجربة المغربية.

1- التحفة الناضرة، ص 16.

من أجل ذلك تزلت إمارة المؤمنين في شخص جلالة الملك محمد السادس نصره الله مهمة ذلك الحضور وفق منظور حكيم تجاذبه طرفان:

أ- أحدهما مؤسساتي ترجم في المبادرات الملمع إليها في الجانب الديني ومنها ما ورد في خطاب تطوان بتاريخ 2008/9/27م.

- إعادة هيكلة وتأهيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
- إعادة تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية.
- إقامة هيئة عليا للإفتاء.
- إحداث مجلس علمي للجالية المغربية بأوروبا.
- إحداث الرابطة المحمدية للعلماء.
- تفعيل دور المساجد القلب النابض للمجال الروحي.
- تأطير وتأهيل أئمة المساجد.
- إعفاء بناء المساجد من الضريبة على القيمة المضافة بنسبة 50%.
- تمكين القيميين الدينيين من التغطية الصحية.
- تدشين مرحلة جديدة من الإصلاح الديني بإطلاق خطة رائدة هي ميثاق العلماء باعتبارها نموذجا للتوعية والتتوير.

ب- الثاني : تفعيلي : يعنى بدعوة أمير المؤمنين إلى انخراط المغرب في المنظومة الدولية ضمن الثوابت المرعية ، يستفاد ذلك من خطاب العرش لسنة 2000م الذي جاء فيه.

"وباعتبارنا أميرا للمؤمنين، فقد أولينا عناية خاصة لنصرة قضايا الإسلام والمسلمين، وتصحيح صورة الإسلام لدى الآخر، وبيان حقيقته لدى الآخر، وبيان حقيقته السمحة المعتدلة السليمة".

وفي الخطاب الذي ألقاه جلالته أمام المجلس العلمي الأعلى بالبيضاء سنة 2004م جاء فيه "وإننا لنتوخى من كل ذلك ليس فقط الحقل الديني بقيادة إمارة المؤمنين باعتبارها موحدة للأمة ورائدة لتقدمها، بل أيضا للإسهام العقلاني الهادف لتصحيح صورة الإسلام مما لحقها من تشويه وحملات شرسة".

كما يستفاد ذلك من انخراط المغرب في مؤسسة الثقافات الثلاث التي أسهم في تأسيسها مع الحكومة الأندلسية لسنة 1999م قال أمير المؤمنين في خطاب موجه لها: "وقد تأتى قيام مؤسستنا : مؤسسة الثقافات الثلاث والأديان الثلاث لحوض المتوسط انطلاقا من مبدأ الترفع المقصود عن مظاهر التخوف السائد، والتغاضي عن الالتباسات الأكثر إثارة للشبهة".

وورد في الخطاب نفسه: "لقد كانت مؤسستنا رائدة لأكثر من سبب، ذلك أنها كانت محمّة وسباقة إلى توقع إثارة الجدل الزائف حول الصدام المزعوم للحضارات، كما بادرت قبل الألوان إلى بلورة الرد المناسب على أنصار نظرية الانكفاء على الذات، والقائلين بوجود قطيعة روحية بين الشعوب".

ومما يجلي ما نحن فيه قيام مركز محمد السادس لحوار الحضارات بالشيلي الذي أسسه أمير المؤمنين سنة 2004 م أثناء زيارته لها على نفقته الخاصة، ويمثل هذا المركز جسرا للتواصل الحضاري بين المغرب وأمريكا اللاتينية، وتعنى أنشطته بالتعريف بالإسلام والتقريب بين الديانات المختلفة.

وبالنظر إلى الطرفين. يتم إصابة القصدين، والجمع بين الحسنين لأن بهما يتم عقد التدين الأمثل الذي ارتضاه أمير المؤمنين للمغاربة أجمعين جريا على سلفه الماضين.

هذا ما يسر الله تقييده بشأن إمارة المؤمنين وحضورها الديني والسياسي في النموذج المغربي، عسى أن يكون ما قدم فيه نافعا في بابه، وأن يجد محلا عند سامعه أمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إمارة المؤمنين واستراتيجية الأمن الروحي بالمغرب

د. عبد الرزاق وورقية

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

ينعم بلدنا المغرب . والحمد لله . بنعم كثيرة ولعل أبرزها : نعمة الأمن بمفهومه القومي الشامل، ومن فروع الكبرى ما يصطلح عليه في علم الاجتماع الديني بـ"الأمن الروحي" ومداره على حفظ الدين في إطار السيادة الوطنية، والذي يجيل النظر في السياق التاريخي والسياسي للبلد يستنتج بشكل واضح أن مؤسسة إمارة المؤمنين الحظ الأوفر في استثمار مقومات المجتمع المغربي لتحقيق الأمن الروحي للمغاربة، وفي هذا السياق وبناء على تلك المقومات وضع أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله استراتيجية واضحة الأهداف، وقائمة الأركان، ويانة الثمار، وقد أعلن عنها سنة 2004 م عبر خطاب تاريخي مؤسس، وأتبعها بإجراءات إصلاحية عميقة منها المؤسسية، ومنها التشريعية، ومنها التأطيرية، كل ذلك توخيا لحماية الأمن الروحي للمغاربة.

ولم تمر بضع سنوات حتى أخذت تلك الإصلاحات مجراها التنفيذي، وأتت أكلها وأنتجت الاستراتيجية نتائجها الأولية، فترسخ النموذج المغربي المتسامح في الدين، ونال إعجاب العالم المتحضر، حتى سارعت العديد من الدول رغبة في الاقتداء به، طالبة تجربة المغرب في تنظيم الشأن الديني بما يحقق الأمن الروحي للمجتمع. ونظرا لأهمية هذه الاستراتيجية المولوية الناجحة ارتأيت أن أتطرق إليها من جهة مقوماتها وأهدافها وأركانها وبعض انعكاساتها الإيجابية وذلك وفق العناصر الآتية:

- مفهوم الأمن الروحي
- مقومات استراتيجية الأمن الروحي ومركزية إمارة المؤمنين في استثمارها
- أهداف استراتيجية الأمن الروحي
- الأركان الثلاثة لاستراتيجية الأمن الروحي بالمغرب
- الانعكاسات الإيجابية للاستراتيجية

1. مفهوم الأمن الروحي:

نشأ وتطور مفهوم الأمن الروحي في مقابل أنواع الأمن الأخرى كالأمن الغذائي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والقومي... بناء على أن الأصل في الإنسان ليس فقط الجانب المادي ولكن لديه حاجيات روحية، أصبحت من حقوقه الأساسية، وكان هذا المعنى موجودا في الديانات السماوية، وتطور إلى أن ظهر المصطلح: "الأمن الروحي" ولعل من أوائل المؤلفين بهذا العنوان الكاتب ويسنر فالو Wesner Fallaw، في كتابه: "نحو الأمن الروحي" Toward spiritual security¹، وكان التركيز فيه على المنهج المسيحي في التقرب إلى الإله.

أما في الدين الإسلامي فيمكن تنزيل مفهوم الأمن الروحي على المعنى الذي قصده أهل المقاصد من عبارتهم المشهورة: "حفظ الدين"² أي ضمان حق التدين للناس وذلك بتوفير الشروط لإقامة الأركان من صلاة وصيام وحج وزكاة...

فمن هنا يمكن تحديد مفهوم الأمن الروحي في تعلقه بالفرد بأنه ضمان الحق في التعبد والتدين للفرد وحمايته من أي اضطهاد في حريته الدينية.

ولكن عندما يتعلق الأمر بالدولة والمجتمع يأخذ الأمن الروحي بعدا أوسع، أي حماية الدولة لحقوق المواطنين في التدين والتعبد في إطار الأمن القومي والسيادة الوطنية³، إذ لا يمكن فصل الحفاظ على تدين الأفراد عن الحفاظ على استقرار الدولة واستمراريتها، فلا يمكن تصور ضمان حقوق الأفراد الدينية خارج سيادة الدولة ومؤسساتها، فخارجها لا يوجد إلا الفوضى والعنف والتفرق... وهذا على خلاف المقاصد الشرعية الداعية إلى الوحدة والنظام والانضباط.

1 - Wesner Fallaw, Toward spiritual security, Westminster Press, 1952.

2 - الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، دار الفكر العربي، ط. د. ت، المكتبة التجارية الكبرى: 8/2.

3 - Une décennie de réformes au Maroc (1999-2009), Sous la direction du Centre d'études Internationales, Editions KARTHALA, Paris, p 124.

2. مقومات استراتيجية الأمن الروحي ومركزية إمارة المؤمنين في استثمارها

إذا تقرررت قاعدة حفظ الدين في إطار الأمن القومي والسيادة الوطنية، فإن استراتيجية إمارة المؤمنين اتجهت في ذلك الحفظ إلى بناء النموذج الديني المغربي على مقومات تاريخية وجغرافية وثقافية ودينية...

أ. المقوم التاريخي للأمن الروحي بالمغرب .

تفرد المغرب تاريخيا . منذ دخول الإسلام إليه . بدولة مستقلة تأسست على يد المولى إدريس الأول واستمرت على مدى أزيد من اثني عشر قرنا إلى يومنا هذا، أدامها الله وحفظها، والذي يجيل النظر في تاريخها وتعاقب الدول عليها يجد أن لها ثوابت لا تتزعزع عنها، وهي سر استقلالها واستمراريتها، ومن أكبر هذه الثوابت مؤسسة إمارة المؤمنين القائمة على البيعة وتمسك الشعب المغربي بالسلطان أمير المؤمنين، والذي يعتبر في الثقافة المغربية الموحد للأمة ورمز سيادتها وقوتها، ويسمى بالأمازيغية "أكليد" أو "أجليد"، أي صاحب القوة والسلطان والسمو¹...

لم يتأت للأمة المغربية عبر تاريخها أن تتوحد وتتحضر وتتقدم خارج إطار مؤسسة إمارة المؤمنين، حتى أصبح الأمر قاعدة مطردة تاريخيا وسياسيا، يدل عليه من الناحية التاريخية كون جميع فترات الاستقرار والقوة والمنعة كانت إمارة المؤمنين هي صاحبة المبادرة فيها، حتى أن المغرب عرف عند كثير من الأمم بملوكه المصلحين والصالحين.

ويدل عليه من الناحية السياسية أن أغلب المحاولات الداعية إلى التفرقة على أساس عرقي أو مذهبي أو مصالح سلطوية سياسية ضيقة، أو نزعات تعصبية أو متطرفة... لم تفلح في النيل من وحدة المغرب والضامن الثابت في ذلك كله هو إمارة المؤمنين.

وإذا تقرر أن مؤسسة إمارة المؤمنين هي الضامن لاستقرار المغرب ووحدته، أي لأمنه الشامل، فإنها بذلك تعتبر الضامن للأمن الروحي إذ هو نوع من أنواع الأمن المطلوبة في الوقت المعاصر، فهي القائمة على حفظ دين المغاربة في كلياته وجزئياته، وقد تحقق هذا بفضل كثير من الإجراءات العملية كما سيأتي فيما بعد.

1 - ترجمة خاصة حسب معنى اللفظ في أمازيغية الريف والمغرب الشرقي.

ب. المقوم الديني:

من الناحية الدينية يعتبر المغرب سنيا أشعريا مالكيا جنيديا منذ قرون، وهذا الاختيار الديني أصبح قاعدة أصلية يبنى عليها غيرها من الأمور الدينية، فعن طريقها حسمت الصراعات التي ما زالت دول كثيرة في العالم العربي والإسلامي تعاني منها، والتي مردها إلى النزاعات الطائفية المقيتة المضعفة لوحدة المجتمع، وتماسك الدولة.

فعلى مستوى العقيدة كان أهل المغرب على عقيدة أهل السنة منذ المرحلة الإدريسية تبعا للمقدمات العقدية لأئمة المالكية، وتوثق المصادر النوازلية لنا أن الإقرار الرسمي للعقيدة السنية الأشعرية كان مع الأمير المرابطي الثاني: أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين (537هـ) بعد استفتائه لابن رشد الجد في صحة عقيدة أئمة الأشعرية كأبي الحسن الأشعري المؤسس والباقلاني والجويني والغزالي والباجي... حيث كان جواب الإمام ابن رشد بأن هؤلاء "هم أئمة خير وهدى وبهم يجب الاقتداء"¹

إن العقيدة الأشعرية بقواعدها المبنية على التسليم في الثابت القطعي من العقائد والتفويض في تأويلها وتفصيلها، وقفت سدا منيعا ضد الجدل المذموم في الدين الذي تسلكه بعض الطوائف، فعلماء الأشعرية صرفوا نظر المكلف واهتمامه إلى ما ينبني عليه عمل دون غيره، بناء على القاعدة المقررة عندهم: "كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي"²

إن التزام المغاربة بالمذهب المالكي وأصوله جعلهم يسلكون مسلك التيسير والوسطية، لا مفرطين ولا مفرطين، آخذين بمراعاة الخلاف والمصالح المرسله وما جرى به العمل... وهي مسالك مشعرة بمرونة المذهب وواقعيته، مما جعل الناس ينزلون كثيرا من القواعد الفقهية على تصرفاتهم اليومية حتى أصبحت الأحكام التكليفية سلوكا شعبيا يمثل لها الناس بشكل اعتيادي، ويستوي في معرفتها العامي والعالم.

1 - ينظر نص فتوى ابن رشد في العقيدة الأشعرية في فتاوى ابن رشد، لأبي الوليد محمد بن رشد، تحقيق: د. المختار التليلي، ط. دار الغرب الإسلامي: 802/1 وما بعدها.

2 - الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، ط. د. ت، المكتبة التجارية، مصر: 46/1.

وأما التصوف الجنيدي فهو خلاصة عام السلوك والأخلاق عند السلف الصالح فالمغاربة انخرطوا فيه علما وعملا، حيث إن الناظر في سلوكهم التعبدية والأخلاقي عبر التاريخ يجد الأثر التربوي الصوفي متجليا في خصال حميدة مطردة: كعمارة المساجد، والكرم وحسن الضيافة، والتعلق بالقرآن وبذكر الله، والتوكل على الله، والصبر عند المصيبة، وبر الوالدين، والتسامح والعفو والصفح... إلى غير ذلك من الخصال التي قررها كبار القوم في وصاياهم التربوية.

أمام هذه الثوابت الدينية المؤسسة للتحضر المغربي لم تفلح المذاهب السياسية والفكرية المنحرفة الوافدة في التغلغل في المجتمع المغربي، ودخلها حتى وإن وقع في بعض المراحل التاريخية فلا يعدو أن يكون دخول غريب غير مرغوب فيه، فسرعان ما ينقلب على عقبيه مذموما مدحورا، ويلفظه المغاربة، والدليل على ذلك أن فرق الخوارج والشيعة،... حين حاولت الدخول إبان العصر الراسخ إلى المغرب فلم تستطع المكوث فيه إلا قليلا، وقد تصدى لها العلماء والمجتمع على حد سواء، واندرست وتخلصت منها الأمة المغربية البتة.

وفي العصر الحاضر مازالت بعض المذاهب الطائفية المتطرفة تناود المحاولة للولوج إلى المجتمع المغربي، قصد استصحاب وإحياء تلك النزاعات التي دارت في الزمن الأول بين الطوائف المتطرفة وتدور اليوم في بعض مناطق العالم الإسلامي، لكن محاولاتها المتكررة باءت بالفشل، بفضل الاستراتيجية الحكيمة لإمارة المؤمنين بأبعادها ورؤيتها الحسنة، حيث وقفت سدا منيعا وحصنا متينا ضدها، وجعلت التمسك بالهوية الدينية المغربية والمذهب السني المالكي واجبا وطنيا. يقول جلالاته أعزه الله مخاطبا شعبه الوفي: "...فمن واجبك الوطني والديني الحفاظ على هويتك والتمسك بالمذهب السني المالكي الذي ارتضاه المغاربة أبا عن جد..."¹ وكان رفض جلالة الملك نصره الله للخروج عن المرجعية السنية المالكية واضحا وصارما حيث تابع مخاطبا شعبه الوفي: "فلا تسمح لأحد من الخارج أن يعطيك الدروس في دينك ولا تقبل دعوة أحد لاتباع أي مذهب أو منهج قادم من الشرق أو الغرب، أو من الشمال أو الجنوب...وعليك أن ترفض دوافع التفرقة وأن تظل كما كنت دائما، غيورا على وحدة مذهبك ومقدساتك، ثابتا على مبادئك، ومعتزا بدينك، وبانتمائك لوطنك".²

1 - من الخطاب الملكي السامي بمناسبة عيد العرش المجيد، 13 شوال 1436هـ الموافق لـ 30 يوليوز 2015م.

2 - من الخطاب الملكي السامي بمناسبة عيد العرش المجيد، 13 شوال 1436هـ الموافق لـ 30 يوليوز 2015م.

فالمتمثل لخطاب أمير المؤمنين نصره الله يستنتج دون أدنى عناء مقدار حرص إمارة المؤمنين على أمن المغاربة الروحي باعتباره أحد ركائز أمنهم القومي، فالتمسك بوحدة المذهب والاعتزاز بالهوية الدينية لا ينفصلان عن حب الوطن والذود عن أمنه، بهذه الرؤية العميقة استطاعت إمارة المؤمنين استثمار المقوم الديني من أجل حفظ وحدة المغاربة، وذلك بتثمين هذا المقوم والإعلاء من شأنه وترتيب وتنظيم مؤسساته، وترسيخ ثوابته العقدية والفقهية والسلوكية.

ت. المقوم الثقافي: استثمار التنوع لخدمة الوحدة

استطاع المغرب على المستوى الثقافي التوفيق بين وحدة هويته الحضارية، وتعدد ثقافته، وغناها الإيجابي، وكذا أعراف مجتمعه الصالحة، والتي اتخذ منها علماء المالكية مصدرا لكثير من الأحكام الاجتهادية الفقهية في الفلاحة والعمران والصناعة والصالح والنزاعات¹، مما كان له أثر إيجابي على تماسك المجتمع المغربي وتضامنه في السراء والضراء.

فالمغرب جامع لأعراق وثقافات متنوعة ومنصهرة في بعضها البعض، والمغاربة عربا وأمازيغ ويهودا وأندلسيين وصحراويين وزنوجا... كلهم عاشوا تحت سقف دولة البيعة وإمارة المؤمنين، وتحت راية الإسلام، والمغرب من الدول القلائل التي تمسكت بوحدة الهوية وتعدد الثقافات دون تمييز أو إقصاء، بل يتعايش الكل سواسية في إطار مواطنة كاملة للجميع، وهذه الخصوصية الحضارية ساعدت كثيرا في بناء الدولة المغربية العصرية وتفادي الانجرار وراء الصراعات القبلية أو العرقية المقيتة، وشكلت الهوية الوطنية حضنا جامعا للتنوع الثقافي الإيجابي البناء.

إن حرص إمارة المؤمنين على رعاية التنوع الثقافي خادما بدوره لاستراتيجية الأمن الروحي نظرا للعلاقة الثابتة بين الديني والثقافي، فالتنوع على مستوى التعبيرات الثقافية فصح المجال وفتح الأفق أمام علماء المغرب لمراعاة الخصوصيات الثقافية عند تنزيل الكثير من الأحكام المتعلقة بالمعاملات، وهذا ما يفسر تنوع ما جرى به العمل واختلافه من حاضرة إلى أخرى ومن بادية إلى أخرى فتجد عمل فاس وعمل مراكش وعمل سوس ...

1 - ومن ذلك أعراف ألواح جزولة، وما جرى به العمل المتنوع بتنوع اجتهادات القضاة والفقهاء في الحواضر المغربية.

كما أننا نجد على مستوى الأجوبة على النوازل اختلافا من منطقة إلى أخرى وفق اختلاف الأعراف الثقافية بين مناطق المغرب في المأكل والملبس والمشرب والزواج والبيوع وإصلاح ذات البين ...

ث. المقوم الجغرافي واستثماره في تثبيت الأمن الروحي

يقع المغرب في غرب العالم العربي والإسلامي، وفي شمال إفريقيا وفي جنوب أوروبا، فهذا الموقع الجغرافي الاستراتيجي يجعل منه دولة مهمة حضاريا وثقافيا وسياسيا ودينيا، فمن الناحية الحضارية يمثل المغرب الوجه الحضاري للعالم العربي والإسلامي في مقابل الحضارة الغربية من الضفة الأخرى، لقد كان على الدوام جسر التماس والتواصل مع الحضارة الغربية، ومعبرا لنقل العلوم والمعارف إليها، وبذلك كان متميزا ومبدعا، فعلماء المغرب من الأوائل الذين ترجموا جزءا مهما من علوم اليونان ونقلوها إلى أوروبا حيث كانت الأساس في بناء الحضارة الإنسانية.

ومن الناحية السياسية يعد استقرار أوروبا وأمنها مرتبطين بشكل كبير بأمن المغرب واستقراره وكل ذلك يدور على قضايا تتعلق بمحاربة الإرهاب والهجرة غير النظامية والاتجار في البشر والأمن الاقتصادي...

وفي هذا الصدد استثمرت إمارة المؤمنين هذا المقوم بشكل إيجابي فجعلت المغرب مساهما مبدعا في الحضارة الإنسانية، ونموذجا ناجحا لصورة الإسلام الحقيقية، حيث كان المغرب هو السباق لإقرار إصلاحات عميقة على مستوى فهم الدين الإسلامي وتنزيله بصورة خادمة لمقاصده الكبرى، مما فصح المجال للإسهام في حوار الأديان والحضارات دون أي مركب نقص بل بكثير من الرصيد الإيجابي على مستوى تمثل الإسلام السمح.

ج. المقوم الدستوري

كما هو معلوم وتوتيجا للمقومات السابقة تم إقرار دستور 2011م الذي أبانت فيه إمارة المؤمنين عن حكمة بالغة شهد بها العالم المتحضر، حيث تمت صياغة الوثيقة الدستورية بشكل استثمر المقومات السالفة الذكر، واستجاب لطموحات المجتمع المغربي بجميع فئاته، ومن جملة العناصر ذات الشأن الكبير التي وردت في الدستور تلك المتعلقة بحفظ الدين وتحقيق الأمن الروحي للمغاربة وتحمل إمارة المؤمنين مسؤولية ذلك حصرا وتمييز الشأن

الديني عن الأمور الدينية ذات الطابع التدييري السياسي، رفعا من شأن الدين وحمايته من أي استغلال يسيء إليه، وبهذا شكل دستور 2011م مقوما أساسيا لاستراتيجية الأمن الروحي حيث يركز الأساس الدستوري على أصول حاكمة مقررة تمثل فيها إمارة المؤمنين عماد الأمر كله، ونورد في هذا الصدد أصليين بارزين في الوثيقة الدستورية:

● الأصل الأول: التخصيص على أن الإسلام هو دين الدولة وأن إمارة المؤمنين هي الضامنة لحفظه، وبهذا أصبحت الدولة تحت إشراف أمير المؤمنين هي المسؤولة على حماية الشأن الديني، وليس الأشخاص أو الجمعيات أو الأحزاب وبذلك تفادى المغرب الانسياق وراء صراع التأويلات الدينية وفق المصالح والأهواء. وقد جعل دستور 2011م حفظ الدين وحماية حرية ممارسة الشعائر من اختصاصات الملك بوصفه أميراً للمؤمنين. وأغلب الوثائق الدستورية نصت على أن الإسلام هو دين الدولة، ولكن حماية الدين وضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية هي من مهام الملك أمير المؤمنين، جاء في الفصل 41: "الملك، أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين، والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية.

يرأس الملك، أمير المؤمنين، المجلس العلمي الأعلى، الذي يتولى دراسة القضايا التي يعرضها عليه.

ويعتبر المجلس الجهة الوحيدة المؤهلة لإصدار الفتاوى التي تعتمد رسمياً، في شأن المسائل المحالة إليه، استناداً إلى مبادئ وأحكام الدين الإسلامي الحنيف، ومقاصده السمحة".

بهذا الأساس قطع الدستور الطريق أمام المتطفلين على الإفتاء من غير المؤهلين له علمياً وتكليفاً، فالفتوى بما هي إخبار عن حكم الشرع في النازلة الواقعة أو المتوقعة، منصب من مناصب الاجتهاد التنزيلى الذي يتطلب شروطاً علمية وتكليفية وخلقية¹، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق هيئة علمية مسؤولة أمام أمير المؤمنين وتحت إشرافه، عالمة بالشرع ومقاصده ومستوعبة للعصر ونوابه ومراعية لمصالح الدولة وأمنها القومي، وبهذا يتم دفع التعارض المفتعل بين الفتاوى الدينية والمصالح العليا للبلاد.

1 - للتوسع في مناصب الاجتهاد التنزيلى وشروطها ينظر ضوابط الاجتهاد التنزيلى في ضوء الكليات المقاصدية، عبد الرزاق وورقية، ط 2003م، دار لبنان، بيروت، ص: 40 وما بعدها.

• الأصل الثاني: منع تأسيس الأحزاب السياسية على أساس ديني حيث جاء في الفصل 7 "لا يجوز أن تؤسس الأحزاب السياسية على أساس ديني أو لغوي أو عرقي أو جهوي، وبصفة عامة، على أي أساس من التمييز أو المخالفة لحقوق الإنسان".

وهذا الفصل من الدستور موافق لمقاصد الدين، إذ أن المجال المشترك بين جميع أفراد المجتمع - ومنه الشأن الديني - لا يجوز بأي حال أن يكون مجالا للاستغلال السياسي ما دامت الدولة حافظة له، لأن تأسيس الأحزاب على أساس المجال المشترك يفضي إلى تنازع الشرعية التمثيلية عند تعدد الأحزاب، وعندما يكون مجال التنازع هو الدين نفسه يؤول الأمر إلى مخالفة المقاصد الكلية للدين، فيدعي كل طرف أحقية موقفه التأويلي الاجتهادي فيتفرق الناس تبعا لهذا التنازع فينشأ الصراع الطائفي المذموم الذي يؤدي إلى نتائج هادمة قطعاً لحفظ الدين أي للأمن الروحي للمجتمع، ومن ثم تهديد باقي أنواع الأمن وعلى رأسها الأمن القومي للبلد.

وقد تنبته مؤسسة إمارة المؤمنين لهذا المحذور الخطير فحسنت الموقف بتحديد مجال التنافس السياسي في المجال التدييري الديني، مع ضمان حفظ الدين للجميع، وبهذا تم حل إشكالية العلاقة بين الديني والسياسي.

وحيث إن تفادي الخلط بين الديني والسياسي لا يتحقق إلا بالتمييز بين المجالين بجملة تدابير منها القانونية، ومنها التنظيمية المؤسسية، فقد تم تعزيز ذلك بإجرائين هامين خادمين للتمييز المذكور:

الإجراء الأول: يتمثل في سن قوانين تنص على تحييد الشخصيات الدينية المكلفة بالوعظ والخطابة والإفتاء من التدخل في الأمور السياسية ذات البعد التدييري المصلحي والديني، والحد من استغلالها لسلطتها الروحية والدينية في نصرة طرف من الأطراف أو تيار سياسي معين، مع التأكيد على حق الناس - ومنهم هذه الشخصيات - في التعبير عن آرائها السياسية، ولكن ليس فوق المنبر الديني وباسم السلطة الدينية، وإنما بالمشاركة السياسية عبر أحزاب غير دينية، في إطار الدستور والقانون.

وهنا لا بد من التنويه بالظهير الشريف الذي نص على منع الأئمة والقيمين الدينيين من التعبير عن آرائهم السياسية على منابر المساجد تفادياً لاستغلال الديني في السياسي، مع الإبقاء على حقهم محفوظاً في المشاركة السياسية ولكن بشرط التخلي عن صفة الإمامة

الدينية، حيث نص الظهير الملكي الصادر في هذا الشأن "على أنه يمنع على الأمة والخصاء وجميع المشتغلين في المهام الدينية خلال مدة اشتغالهم، ممارسة أي نشاط سياسي أو نقابي، أو اتخاذ أي موقف يكتسي صبغة سياسية أو نقابية، أو القيام بأي عمل من شأنه وقف أو عرقلة أداء الشعائر الدينية، أو الإخلال بشروط الكفالة والسكنة والتسامح والإخاء الواجبة في الأماكن المخصصة لإقامة شعائر الدين الإسلامي".¹

الإجراء الثاني: مأسسة الشأن الديني وإعادة هيكلته بما يضمن حضورا حقيقيا للعلماء ذوي الاختصاص في الجانب العلمي الديني لسد الباب أمام الفوضى في الفتاوى والمواظم والخطب، ففي كثير من الأحيان لا يتوفر المتصدرون للإفتاء والوعظ والخطابة على أية شهادة علمية أكاديمية تؤهلهم للحديث باسم الدين، لذلك تراهم يسقطون فريسة لتفسيرات التيارات المتشددة فيجئون على المجتمع الذي يعيشون فيه، كما يلحقون ضررا بالغاً بصورة الدين الذي ينتسبون إليه.

3. أهداف استراتيجية الأمن الروحي:

من المعلوم عند خبراء التفكير الاستراتيجي أن أي استراتيجية ناجحة وناجعة ينبغي أن تكون لها أهداف محددة بدقة، وهذا بالضبط ما يصدق على استراتيجية إمارة المؤمنين لتحقيق الأمن الروحي للمغاربة، فقد حدد الخطاب الملكي المؤسس لها أهدافا واضحة خادمة للأمن القومي للدولة المغربية على المدى الطويل فضلا عن المدى القصير، ونذكر منها ثلاثة أهداف رئيسية:

الهدف الأول: الحفاظ على الأمن الروحي للمغرب، ووحدة المذهب المالكي²: هذا الهدف هو الأساس والأصل في وضع الاستراتيجية، فالأمن الروحي يمثل جزءا كبيرا من الأمن القومي العام، ولا يمكن لأمة لم تحسم خياراتها الروحية ولم تحافظ عليها أن تستمر مستقرة موحدة، فقد أثبت التاريخ أن التردد والاضطراب والاختراق في الشأن الديني يؤدي

1 - ينظر نص الظهير الملكي (2014)، رقم 1.14.104 الصادر في 20 ماي 2014، والمنشور في الجريدة الرسمية المغربية، عدد 6268 (26 يونيو 2014)، ص: 5473.

2 - من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1425، الموافق لـ 30 أبريل 2004 بالدار البيضاء.

غالباً إلى النزاعات الطائفية التي لا تنتهي، فلذلك أعلن أمير المؤمنين نصره الله صراحة أن الهدف هو حماية الأمن الروحي للمغاربة.

ولما كانت الوحدة على مستوى مقتضيات هذا الأمن ضرورية، كان التنقيص أيضاً على وحدة المذهب الذي عليه المغاربة في التعبد والتدين، وهو المذهب المالكي، وهذا ليس من باب التعصب المذهبي بقدر ما هو من باب التمسك بثوابت الدولة الراسخة عبر التاريخ، وهو أمر يجري به العمل في أغلب الدول المتحضرة، وتسمى: "قيم الدولة العليا" هذه القيم هي تلك الثوابت العامة المؤطرة لجميع تقاليد الدولة في الجانب الدستوري والأخلاقي العام...فالتخلي عنها أو التفريط فيها مؤذن بالاضطراب والاختلال في نظم الدولة العليا.

الهدف الثاني: تأهيل الحقل الديني وتجديده، وتحسين المغرب من نوازع التطرف والإرهاب، والحفاظ على هويته المتميزة بالوسطية والاعتدال والتسامح¹.

وهذا الهدف مبني على استحضار المقومات التي أوردناها سابقاً، ولاسيما المقوم الدستوري، الذي يمنح الصلاحية الكاملة لإمارة المؤمنين للقيام بكل ما من شأنه تنظيم وضبط وهيكله الشأن الديني لأن ذلك من اختصاصها حصراً، فلما كان التدين فطرياً في الناس، وكان المغاربة متدينين في عمومهم كان طبيعياً أن يخضع المجال الروحي للتنظيم والهيكله ليسد الباب أمام النوازع المتطرفة المهددة لأمن المواطنين وحياتهم، ويفتح أمام التسامح ومكارم الأخلاق، كما عرف بذلك المغرب عبر تاريخه المجيد.

الهدف الثالث: الإسهام العقلاني الهادف لتصحيح صورة الإسلام، مما لحقها من تشويه مغرض وحملات شرسية، بفعل تطرف الأوغاد الضالين، وإرهاب المعتدين، الذي لا وطن ولا دين له.² فصورة الإسلام تعرضت لإساءة عظيمة في هذا العصر أكثر من أي عصر مضى، نظراً لأن العصر عصر صورة وإعلام، بمجرد ما يقع فيه فعل مسيء للإنسانية باسم الإسلام انتشر بسرعة الضوء في جميع بقاع العالم وسمعه الناس ورأوه في حينه، وأصبح لصيقاً بالدين الإسلامي وترسخ في مخيال الأمم الأخرى، والخطير في الأمر عندما تُسوّق هذه الصور المشينة

1 - من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1425هـ، الموافق لـ 30 أبريل 2004م بالدار البيضاء.

2 - من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1425هـ، الموافق لـ 30 أبريل 2004م بالدار البيضاء.

من قبل أناس يدعون ويزعمون أن ما قاموا به هو الدين الحق، فتتم المطابقة في أذهان الناس، بين هؤلاء . وهم متطرفون إرهابيون . وبين الإسلام وهو دين الرحمة والسلام. فينتقل المعادون للإسلام من اتهام تلك المجموعة المتطرفة إلى اتهام الإسلام نفسه وهو بريء مما يفعلون.

لذلك استحضرت إمارة المؤمنين الأمانة التاريخية الملقاة عليها فجعلت من أهداف الاستراتيجية الإسهام في تصحيح صورة الإسلام، وقد حققت الكثير في هذا المسار من خلال مؤسسات ومؤتمرات وإجراءات عملية...

4. الأركان الثلاثة لاستراتيجية الأمن الروحي بالمغرب:

تم الإعلان عن استراتيجية الأمن الروحي بأركانها سنة 2004م عبر الخطاب الملكي السامي الذي يعد مؤسسا لها، والذي ألقاه صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله بمناسبة إعادة تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1425هـ، الموافق لـ 30 أبريل 2004م بالدار البيضاء.

حيث جاء فيه: "وتجسيدا لما أعلننا عنه في خطاب العرش الأخير، وخطاب 29 ماي 2003م بالدار البيضاء، وما اتخذناه من إجراءات وتدابير لازمة لذلك، ها نحن اليوم، نشرع في إرساء وتنفيذ ما سهرنا على إعداده، من استراتيجية مندمجة وشمولية، متعددة الأبعاد، ثلاثية الأركان، لتأهيل الحقل الديني وتجديده، تحصينا للمغرب من نوازع التطرف والإرهاب، وحفاظا على هويته المتميزة بالوسطية والاعتدال والتسامح."

في هذا الخطاب صرح جلالته بوضوح بالأركان الثلاثة التي ستقوم عليها استراتيجية إمارة المؤمنين في حفظ الأمن الروحي للمغاربة، وهي: الركن المؤسسي، والركن التأطيري الفعال، عقلنة وتحديث وتوحيد التربية الإسلامية.

أ. الركن المؤسسي:

بناء على الأساس الدستوري السابق قام الأساس المؤسسي على هيكلة الشأن الديني من خلال إعادة هيكلة الوزارة الوصية على الشأن الديني وهي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إذ نص الخطاب الملكي على هذا الركن المؤسسي بإصلاحاته، حيث جاء فيه: "أما الركن المؤسسي، فيقوم على إعادة هيكلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بإصدارنا لظهير شريف، بإحداث مديرية للتعليم العتيق، وأخرى مختصة بالمساجد، وإعادة النظر في التشريع

المتعلق بأماكن العبادات، بما يكفل ملاءمتها للمتطلبات المعمارية، لأداء الشعائر الدينية في جو من الطمأنينة، وكذا ضبط مصادر تمويلها، وشفافيتها وشرعيتها واستمراريتها.

وقد أمرنا بتعيين مندوبين جهويين للوزارة، ليسهروا على التدبير الميداني الحديث للشؤون الإسلامية، مؤكدين على إحياء مؤسسة الأوقاف، وعقلنة تسييرها، لتظل وفية لمقاصدها الشرعية والتضامنية الاجتماعية، ومتنامية بإسهام المحسنين فيها.¹

ويبدو واضحاً أن الركن المؤسسي قام على إجراءات إصلاحية عمالية ثلاثة:

أولها: استحداث مديريات جديدة، كمديرية للتعليم العتيق ومديرية المساجد... وهذا فيه إشعار واضح بتثمين إمارة المؤمنين لمؤسسات الشأن الديني التعليمية منه والعبادية...

ثانيها: إعادة النظر في التشريعات المؤطرة للشأن الديني عموماً ومنها تلك المتعلقة بأماكن العبادة وضبط تمويلها، فبعد الإعلان عن هذه الاستراتيجية توالى إصدار الظهائر الشريفة المنظمة للمساجد بناء وتمويلاً وتديراً وعمارة²، وكذلك الظهائر الشريفة المنظمة لمهام القيمين الدينيين وتحديد وضعياتهم.³

وبهذه التشريعات السامية المواكبة أخذت المساجد موقعها داخل مؤسسات المجتمع مع مزيد قدسية واحترام، مضبوطة البناء من حيث المعمار والجمالية الفنية المغربية، منظمة الوظائف العبادية وفق المقاصد التعبدية المطلوبة، يسهر عليها قيمون دينيون متخصصون من أئمة ومؤذنين ومرشدين ووعاظ وخطباء خريجي المعاهد المتخصصة مؤطرين بتشريع يحدد مهامهم ويحفظ حقوقهم.

1 - من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1425هـ، الموافق لـ 30 أبريل 2004م بالدار البيضاء.

2 - منها الظهير الشريف الصادر بتنفيذ القانون رقم 29.04 القاضي بتغيير وتتميم الظهير الشريف المعتبر بمثابة قانون رقم 1.84.150 المتعلق بالأماكن المخصصة لإقامة شعائر الدين الإسلامي فيها، الجريدة الرسمية عدد 2007/5513م. ومنها: الظهير الشريف رقم 1.14.121 الصادر في 25 رمضان 1435هـ (23 يوليوز 2014م) في شأن مراقبة حالة بنايات المساجد، الجريدة الرسمية عدد 2014/6276م.

3 - ينظر الظهير الشريف رقم 1.14.104 الصادر في 20 رجب 1435هـ (20 ماي 2014م) في شأن تنظيم مهام القيمين الدينيين وتحديد وضعياتهم، الجريدة الرسمية عدد: 2014/6268م.

ثالثها: توسعة التغطية الإدارية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على مستوى جميع جهات المملكة، وذلك باستحداث مندوبيات جهوية للسهر¹ على التدبير الميداني الحديث للشؤون الإسلامية.¹

ب. الركن الثاني: الركن التأطيري الفعال

ويقوم هذا الركن على تقوية عمل المؤسسات المكلفة بالتأطير العلمي والتوجيه والتكوين، والتكوين المستمر، وهي أساسا تلك المؤسسات الدينية المشرفة على الجانب العلمي في الشأن الديني وعلى تكوين وتوجيه القيميين الدينيين من مرشدين وخطباء وأئمة... وقد تجلى عمل إمارة المؤمنين في هذا الركن بتقوية وإعادة تنظيم مؤسسات كانت موجودة، وباستحداث مؤسسات جديدة، ونذكر من هذه المؤسسات على سبيل المثال:

• تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية

من أبرز التدابير التي اتخذها أمير المؤمنين أعزه الله، إعادة هيكلة المجلس العلمي الأعلى ووضعه تحت إشرافه² وتنظيم المجالس العلمية المحلية وتجديدها وتوسيع تغطيتها الترابية، وذلك لـ "تدبير الشأن الديني عن قرب، وذلك بتشكيلها من علماء، مشهود لهم بالإخلاص لثوابت الأمة ومقدساتها، والجمع بين فقه الدين والانفتاح على قضايا العصر، حاثين إياهم على الإصغاء إلى المواطنين، ولاسيما الشباب منهم، بما يحمي عقيدتهم وعقولهم من الضالين المضلين، حريصين على إشراك المرأة المتفهمة في هذه المجالس، إنصافا لها، ومساواة مع شقيقها الرجل."³

• إحياء الرابطة المحمدية للعلماء

بناء على موقع العلماء وأثرهم في المجتمع المغربي، أبت إمارة المؤمنين إلا أن تعتني بهم وتشركهم في مشروع الأمن الروحي الذي رسمت معالمه، قال جلالته في سياق عرض أركان الاستراتيجية "وفي هذا الصدد، أبينا إلا أن يشمل إصلاحنا رابطة علماء المغرب، لإخراجها من سباتها العميق، وإحيائها بشكل يجعل منها جهازا متفاعلا مع المجالس العلمية، وذلك

1 - من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1425هـ، الموافق لـ 30 أبريل 2004م بالدار البيضاء.

2 - ظهير شريف رقم 1.03.300 صادر في 2 ربيع الأول 1425هـ (22 أبريل 2004م) بإعادة تنظيم المجالس العلمية. الجريدة الرسمية عدد 5210، 6 ماي 2004م.

3 - من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1425هـ، الموافق لـ 30 أبريل 2004م بالدار البيضاء.

بإصدار ظهير شريف لتنظيمها وتركيبها في إطار يحمل اسمنا الشريف، بحيث نطلق عليها اسم "الرابطة المحمدية لعلماء المغرب"، مكونة من العلماء الموقرين، الذين يحظون بسامي رضانا وعطفنا".¹

• هيكلية جامعة القرويين

وفي إطار الركن التأطيري أعاد جلالاته تنظيم جامعة القرويين بوصفها أقدم مؤسسة للتعليم العالي الإسلامي في العالم، لتستعيد إشعاعها المعرفي ودورها الريادي الذي اضطلعت به منذ نشأتها، ورغب جلالاته في جعل هذه الجامعة مؤسسة علمية مرجعية للتكوين المتخصص والمتميز والرصين في علوم الدين وفي تاريخ الفكر والحضارة الإسلامية.²

• إحداث مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة

واستكمالا للركن التأطيري الفعال أيضا وبناء على أهمية الروابط الدينية والتاريخية والثقافية التي تجمع المغرب بإفريقيا أحدث جلالاته مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، والقصد من ذلك توحيد جهود علماء المغرب وباقي الدول الإفريقية لخدمة مصالح الدين الإسلامي، وفي مقدمتها التعريف بقيمه السمحة ونشره، وتشجيع الأبحاث والدراسات في مجال الفكر والثقافة الإسلامية.

ورغب جلالاته من خلال هذه المؤسسة تعزيز الأمن الروحي المشترك بين المغرب وباقي الدول الإفريقية وذلك بتحسين التدين الإفريقي من أي اختراق متوقع من المتطرفين وحماية العقيدة الإسلامية والوحدة الروحية للشعوب الإفريقية من كل النزعات والتيارات والأفكار التضليلية التي تمس بقدسية الإسلام وتعاليمه ومقاصده.³

ت. الركن الثالث: عقلنة وتحديث وتوحيد التربية الإسلامية

لما كان التدين فطريا، وكانت التربية الإسلامية ضرورية لتخريج نشء سليم العقيدة مستقيم الأخلاق، معتزا بمواطنته وهويته المغربية، اقتضى الأمر إعادة النظر في مناهج ومقررات التربية الملقنة في التعليم الديني، وتوجيهها نحو التحضر والعمران والتعايش، والتربية

1 - من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1425هـ، الموافق لـ 30 أبريل 2004م بالدار البيضاء.

2 - ظهير شريف رقم 1.15.71 صادر في 7 رمضان 1436هـ / 24 يونيو 2015م يقضي بإعادة تنظيم جامعة القرويين، الجريدة الرسمية عدد 6372 (25 يونيو 2015م).

3 - ينظر ديباجة الظهير الشريف المؤسس: ظهير شريف رقم 1.15.75 صادر في 7 رمضان 1436هـ / 24 يونيو 2015م يتعلق بإحداث مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، الجريدة الرسمية عدد 6372 (25 يونيو 2015م).

على الحقوق الأساسية، وتلقين النشء المفهوم الإيجابي للدولة وقيم المواطنة الصالحة، واحترام الآخر، ومراعاة التعدد الثقافي.

لذلك صار من اللازم التعديل في بعض المقررات التعليمية وتحيينها وفق القيم الدينية والإنسانية المشتركة، لتخريج أجيال إنسانية بالمعنى الكوني للكلمة مع التربية على احترام الأديان والمعتقدات ومختلف الثقافات، في هذا السياق جاء مشروع إمارة المؤمنين في ركنه الثالث الموسوم بـ "عقلنة وتحديث وتوحيد التربية الإسلامية" والذي كان تأسيسا استباقيا للتحصين الفكري والتربوي لأجيال الحاضر والمستقبل من نزعات التطرف والإرهاب وأخطارها المهلكة، وقد مهد جلالته أعزه الله لذلك بالخطاب التاريخي المؤسس سنة 2004م، حيث جاء فيه: "وعلمنا منا بأن الوظائف التأطيرية المنوطة بهذه الهيئات، سنظل صورية، ما لم تقم على الركن الثالث الأساس، المتمثل في التربية الإسلامية السليمة، والتكوين العلمي العصري، فإننا، مواصلة للجهود الرائدة التي بذلها والدنا المنعم، جلالة الملك الحسن الثاني، قدس الله روحه، نصدر تعليماتنا لحكومتنا، قصد اتخاذ التدابير اللازمة، بأناة وتبصر، لعقلنة وتحديث وتوحيد التربية الإسلامية، والتكوين المتين في العلوم الإسلامية كلها، في نطاق مدرسة وطنية موحدة.

وفي هذا السياق، حرصنا على تأهيل المدارس العتيقة، وصيانة وحفظ القرآن الكريم، وتحسينها من كل استغلال أو انحراف يمس بالهوية المغربية، مع توفير مسالك وبرامج للتكوين، تدمج طلبتها في المنظومة التربوية الوطنية، وتجنب الفكر المنغلق، وتشجيع الانفتاح على الثقافات".¹

5. الانعكاسات الإيجابية للاستراتيجية:

من البديهي في كل استراتيجية أن تحقق ولو جزءا من نتائجها على المدى القريب والمتوسط، وتسعى لتحقيق أغلب نتائجها على المدى البعيد، لذلك وبعد مرور حوالي 12 سنة على الإعلان المؤسس للاستراتيجية الملكية للأمن الروحي من المناسب أن نسوق هنا بعضا من الانعكاسات الإيجابية التي ظهرت وخلفت أثارا مستحسنة على الأمن القومي للوطن ووحدة نسيجه المجتمعي، حتى أصبح العالم المتحضر يتحدث عن النموذج المغربي وجاذبيته في مجال

1 - من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في تنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1425هـ، الموافق لـ 30 أبريل 2004م بالدار البيضاء.

د. عبد الرزاق وورقية

الصورة الصحيحة للإسلام السمح الحنيف، وإذا أردنا تعداد هذه الآثار الإيجابية لهذا النموذج، فإننا سنحتاج إلى مؤلف مستقل في الموضوع ونكتفي هنا بإيراد بعضها على سبيل الإشارة والتقريب وليس على سبيل الحصر والتحديد:

أ. إبراز النموذج المغربي في التدين:

كان من النتائج الكبرى والآثار المباشرة للاستراتيجية إبراز النموذج المغربي في التدين، حتى غدا معروفا بين الأمم الأخرى بخصائصه المشعرة بالتسامح والوسطية والاعتدال، وقد تم ذلك بترسيخ ثوابت هذا النموذج، وتثمينها عبر إعادة الاعتبار للشأن الديني والعناية بالقيمين الدينيين، وإعطاء قيمة للرأسمال الروحي الذي تمثله تلك الثوابت، وتأطيرها مؤسسيا وتشريعا وميدانيا حتى أضحت الدين عند المغاربة داعما لتحضرهم ولتعايشهم مع بعضهم البعض ومع غيرهم من الأمم، وتطورت نظرة النخب المغربية للدين فهما وممارسة، مما جعلها تستطيع التوفيق بين الهوية الدينية ومقتضياتها والحدثة وسماتها الإيجابية، وانعكس هذا التوفيق الموفق أيضا على الخطط الدينية والشرعية من خطب ومواظ وفتوى وعلى بعض التشريعات كقانون الأسرة¹ وغيره.

ب. تحقيق الاستقرار الروحي والأمني:

إن الاستقرار والطمأنينة أو الأمن بمفهومه الواسع هي غايات أي مجتمع إنساني يبحث عن السعادة لذلك لم تقف استراتيجية أمير المؤمنين أعزه الله عند حفظ التعبد بمعناه الخاص وإنما استطاعت أن تفتح للمغاربة أفقا واسعا في حياتهم الروحية حيث لم تجعلهم يأمنون على دينهم وعلى أماكن عبادتهم فحسب بل جعلتهم يأمنون على الكليات الشرعية الكبرى التي عليها مدار الوجود الإنساني: الدين والنفس والعقل والنسل والمال - بعبارة أهل المقاصد - وهي الأمور الضرورية للحياة السعيدة، فالاستراتيجية الملكية استثمرت الطاقة الروحية في اتجاه إيجابي بناء، يروم التوفيق بين العبادة والعمارة، حتى إن الزائر للمغرب يتعجب من حال المغاربة في شدة وقوة غيرتهم على دينهم واحتشادهم في المساجد والإصرار على مكارم الأخلاق... وفي

1 - ينظر مقالتي باللغة الإسبانية:

Abderrazak OURKIA, "Las fuentes del Derecho Maleki y su influencia sobre el Código de Familia de Marruecos", publicado en "Estudios e Informes sobre la inmigración extranjera en la provincia de Jaén 2009-2011", (coordinadores): Gloria Esteban de la Rosa y José Alfonso Menor Toribio, Editorial Comares, Granada. 2012, (pags: 340-352).

المقابل يلحظ سعة أفقهم وانفتاحهم على الحضارة المعاصرة بتنوع ثقافات ولغاتها وفنونها...، وهذا يدل أيضا دلالة على الانسجام الحاصل عندهم في فكرهم وسلوكهم بين الدين والتحضر، كما يدل ذلك على استقرار روعي وأمني تحقق بفضل تلك الإجراءات والإصلاحات التاريخية التي قام بها أمير المؤمنين نصره الله.

وكان من نتائج هذا الاستقرار وتجلياته تحصين المغرب من غوائل التطرف والإرهاب الذي هدد وضرب دولا، وحطم مجتمعات بكاملها، وفرقها طرائق قحدا، وأغرقها في الدماء والقتل والفوضى...، فالمجتمع المغربي - والحمد لله - اكتسب مناعة ذاتية فكرية وحضارية وسلوكية ضد نزعات التطرف المقيتة، وقد استوعب الدروس والعبر من التاريخ ومن الواقع الحاضر، فتراه متمسكا بنموذجه ومعتزا به، ومتشبثا بإمارة المؤمنين صاحبة المبادرة الاستراتيجية في حماية الأمن الروحي للمغاربة.

ت. استثمار النموذج المغربي وجاذبيته:

بعد صياغة النموذج وتثبيته وتثمينه وإبرازه، أصبح محل جاذبية لدى مجتمعات ودول أخرى أوربية وإفريقية وعربية...، وهنا سيتخذ أبعادا طبيعية بوصفه نموذجا ناجحا، مما سيكسب المغرب سمعة طيبة على المستوى الدولي في الاعتدال والتسامح ومحاربة التطرف، فسنوات قليلة بعد الإعلان عن الاستراتيجية والشروع في تنفيذها أصبحت النتائج تتوالى مباشرة بنجاح النموذج، الأمر الذي شهد به الخبراء الأجانب، قال الصحفي الأمريكي المرموق بيني أفني Benny Avni في مقال له نشرته نيويورك بوست الأمريكية: "كان هذا البرنامج¹ ناجحا حيث بات يستقطب خبراء من كل حذب وصوب - من نيجيريا إلى فنلندا - يأتون إلى المغرب لمعرفة كيفية محاربة السكان المحليين للتطرف الإسلامي"²، وبالفعل، قد أقبلت العديد من الدول على الاقتداء بالمغرب في كثير من الإجراءات الإصلاحية، بل ذهب أبعد من ذلك فتقدمت بطلب للمغرب من أجل تكوين قيمها الدينيين وفق النموذج المغربي، كتونس ومالي وفرنسا³... هذه السمعة ستدفع بكثير من الدول للاستفادة من الخبرة المغربية في تنظيم الشأن الديني، وعلى سبيل المثال لا الحصر سنورد بعضا منها فيما يلي:

1 - يقصد برنامج تكوين القيميين الدينيين.

2 - Benny Avni, Fighting terror Bogart-style: How Morocco counters radical Islam, New York Post, August 13, 2015.

3 - ينظر نص إعلان التعاون المغربي الفرنسي في موضوع تكوين الأئمة الموقع يوم 19 شتبر 2015م بطنجة.

• دولة مالي:

وقد ابتدأت عملية تكوين الأئمة من دولة مالي سنة 2013م حيث قدم أول فوج من الشباب الماليين الذين سيتلقون تكويننا في المغرب ليكونوا أئمة في مساجد جمهورية مالي .

ومعلوم أن صاحب الجلالة الملك محمد السادس أعزه الله كان قد أعلن في خطابه في حفل تنصيب الرئيس المالي الجديد عن قرار المملكة المغربية الاستجابة لطلب رئاسة جمهورية مالي المتمثل في تكوين خمسمائة إمام في خمس دورات مدة كل دورة سنتان.

وقد كان الخطاب الملكي بهذه المناسبة واضحا في بيان المنطلقات السياقية للاستجابة للطلب الذي قدمته جمهورية مالي من أجل تكوين القيمين الدينيين بهذا البلد ، نذكر منها:

- العلاقات التاريخية والحضارية الخاصة بين البلدين ، وهي تمتد إلى قرون مضت كان المغرب يمثل مرجعية روحية وعلمية وسياسية للدول الإفريقية جنوب الصحراء.
- الثوابت الدينية والروحية المشتركة وذلك كما ورد في الخطاب الملكي السامي: "إن الإسلام في المغرب وفي مالي واحد ، ممارسة وتقاليد. إنه إسلام متشعب بنفس القيم المبنية على الوسطية والاعتدال ، وبنفس تعاليم التسامح والانفتاح على الآخر. كما أنه يظل عماد الوشائج الروحية التي تجمع على الدوام بين بلدينا"¹.
- حرص المغرب على دعم الدول الإفريقية الشقيقة في تحقيق أمنها الروحي واكتساب مناعة في وجه التطرف والإرهاب الذي بات يهدد المنطقة .

• تونس وغينيا وليبيا

وفيما يخص هذه الدول الإفريقية الثلاثة فقد توصلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة 2014م بثلاث طلبات تعاون في مجال تدبير الشأن الديني ، ويتعلق الأمر بالجهات الآتية:

- وزارة الشؤون الدينية بالجمهورية التونسية وموضوعها تكوين أئمة تونسيين بالمغرب والاستفادة من الخبرة المغربية في عمارة المساجد.
- الأمانة العامة للشؤون الدينية بجمهورية غينيا (كوناكري) وموضوعها طلب تكوين أئمة غينيين بالمغرب؛

1 - من نص الخطاب الذي ألقاه صاحب الجلالة الملك محمد السادس ، نصره الله ، يوم الخميس 19 شتنبر 2013م ببياماكو ، خلال حفل تنصيب الرئيس المالي الجديد فخامة السيد إبراهيم بوباكار كيتا.

- معهد الإمامة والخطابة التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالجمهورية الليبية ويتعلق بطلب الاستفادة من دورات في مجال تدبير الشأن الديني.

وقد أعلنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في بلاغ لها أنه "وبعد اطلاع مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره على هذه الملتزمات تفضل حفظه الله فأعطى أمره السامي المطاع بإخبار هذه الجهات بالموافقة المبدئية على تلبية رغباتها، آمرا وزير جلالته في الأوقاف والشؤون الإسلامية بالانكباب على دراسة مختلف الجوانب التطبيقية المتعلقة بهذه الطلبات".

• دولة فرنسا:

وفرنسا أيضا من الدول الأوروبية التي تعاني من تهديدات التطرف والإرهاب، فبعدما تتبعت التجربة المغربية عن كثب، انجذبت إلى الاستفادة من النموذج المغربي في تدبير الشأن الديني فتقدمت بطلبها إلى المغرب من أجل هذا الغرض، فتم الإعلان عن الاتفاق المشترك الذي بموجبه سيتولى المغرب تكوين أئمة لفرنسا على أن يختارهم المغرب وفق مقاييس معهد محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدات وبتوافق مع مساجد فرنسا وجمعيات المساجد.

وقد أشار السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عند توقيع الاتفاق إلى أن "تكوين الأئمة في المغرب ليس بالأمور المستجدة، في حين أن تكوين الأئمة في بلد مثل فرنسا يبقى من الأمور الجديدة"، مبرزا أن "الاعتراف بأهمية تكوين الأئمة هو اعتراف بالنموذج المغربي، الذي ينبع من إمارة المؤمنين، التي هي حامية الملة والدين من كل ما يسيء إليه والساخرة على ترقية الأمور المرتبطة بالدين، ومواكبة ما استجدت عليه من أمور عديدة، منها ما يتعلق بتفاصيل الحضارة الحديثة وما ينبغي الأجوبة عنه من أسئلة هذه الحضارة، ومواكبة ما يقع من تقدم في العلوم الإنسانية، ومواجهة ما وقع من تلوث في الجو السياسي ومحاولة استغلال الدين في السياسة".

وتنص ديباجة الإعلان المشترك المغربي الفرنسي على "أمور مشتركة حول إرادة تكوين جيل جديد من الأئمة من أجل إسلام بعيد عن التحريف والفتنة، التي هي عدوة الدين، وبعيدا عن كل ما يسيء إلى هذا الدين، وهي مسألة مشتركة لأن المسلمين أينما كانوا ترعاهم إمارة المؤمنين، خاصة إذا كانوا من رعايا أمير المؤمنين في المغرب أو في غيره من البلدان."

حاولت في هذا المقال قدر الاستطاعة بيان استراتيجية إمارة المؤمنين في حفظ الأمن الروحي للمغاربة، وقد تتبعته الخطب الملكية السامية في الموضوع، والظواهر الشريفة المحلية للإجراءات والتدابير التنفيذية لتلك الاستراتيجية، فخلصت إلى أن أمير المؤمنين أعزه الله قد أفصح عن استراتيجيته في حماية الأمن الروحي للشعب المغربي سنة 2004م في خطاب مؤسس مشهود، ومفصح عن مقومات الاستراتيجية وأهدافها وأركانها، وأبعادها، وتلا ذلك الإعلان الإشراف على التنفيذ والتتبع من خلال القيام بنهضة إصلاحية عميقة في الشأن الديني تناولت المؤسسات ذات الصلة، والتأطير بل والفكر الديني برمته، حيث لم تمر بضع سنوات حتى أسفرت تلك الإصلاحات عن استقرار أمني وروحي في المغرب وقيام نموذج فريد للتدين المغربي متمم بالتسامح والاعتدال والوسطية، ومحل جاذبية لكثير من الدول للأخذ به.

وبناء على هذا يليق بالباحثين المغاربة في هذا الشأن استثمار جاذبية النموذج المغربي من أجل ترسيخ مسلك قويمة للبحث العلمي يجلي هذا النموذج ويدفع به لإحداث إصلاح ديني في العالم يحد من غلواء التطرف والعنف الذي شوه صورة الإسلام السمح الرحيم.

إمارة المؤمنين وإصلاح الشأن الديني بالمغرب

د. إدريس الزعري المباركي

أستاذ التعليم العالي بكلية الشريعة بفاس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الهادي الأمين، سيدنا محمد النبي المصطفى الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد، فتعد تجربة المغرب في الحكم تجربة فريدة من نوعها؛ إذ أن "ملك المغرب اليوم هو رئيس الدولة الوحيد الذي يلقب رسمياً بأمير المؤمنين"؛ فصاحب الجلالة الملك محمد السادس هو رئيس الدولة، وهو في الوقت ذاته أمير المؤمنين¹... وهي تجربة قائمة على البيعة التي تعتبر من أقدس العهود المبرمة بين أفراد الأمة وإمامها... تلكم البيعة المؤسسة على الثوابت الشرعية التي تعاقب المغاربة على التعلق بها منذ عهد الدولة الإدريسية... وهي تجربة ترمي إلى «إرساء دعائم مجتمع متضامن، يتمتع فيه الجميع بالأمن والحرية والكرامة والمساواة، وتكافؤ الفرص، والعدالة الاجتماعية، ومقومات العيش الكريم، في نطاق التلازم بين حقوق وواجبات المواطنة»²

كما أن هذه التجربة تتميز بتبوء الدين الإسلامي مكانة الصدارة فيها، فهي تعمل على ترسيخ هوية المغرب الإسلامية، وإبراز الصورة الناصعة لهذا الدين الحنيف، ملتزمة في مطلع دستورها الجديد بـ"تعميق أواصر الانتماء إلى الأمة العربية والإسلامية، وتوطيد وشائج الأخوة والتضامن مع شعوبها الشقيقة"³

1 - ينص الفصل 41 من الدستور المغربي الصادر سنة 2011م على أن الدين من اختصاصات أمير المؤمنين. فـ "الملك. أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين، والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية".

2 - نص على ذلك الدستور المغربي في تصديره .

3 - يراجع "تصدير" الدستور المغربي الصادر سنة 2011م، ومما ورد فيه: «المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، متشبثة بوحدتها الوطنية والترايبية، وبصيانة تلاحم وتنوع مقومات هويتها الوطنية، الموحدة بانصهار كل مكوناتها، العربية الإسلامية، والأمازيغية والصحراوية الحسانية، والغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية».

هذا الالتزام يتجسد اليوم في المنجزات الإصلاحية الجلّى، والمشاريع التنموية الكبرى التي أطلقها أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس أيده الله، والتي شملت مختلف الميادين: السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وغيرها من المجالات التي تقف شاهدة على حرصه أمدّه الله بعونه على جلب مصالح العباد، والقيام بشؤون البلاد؛ قاصداً في كل تصرفاته إلى تحصيل ضروريات الأمة، في حفظ أمنها، ودينها، وممتلكاتها، وأعراضها، وتحقيق حاجاتها ورغباتها...

ولأجل بيان التوجه الحكيم في التجربة المغربية النموذجية لإمارة المؤمنين النابعة من القيم الإسلامية النبيلة فضلت أن أقوم باستعراض موجز لأهم تجليات المشروع الإصلاحي الرائد الذي يقوده أمير المؤمنين، جلالته الملك محمد السادس حفظه الله تعالى ورعا؛ في مجال الشأن الديني¹... فالذي يُجِلُّ النظر في تجليات جهوده العملية ليلمس بوضوح أن هذه التجربة تتغنى بتحقيق الانفتاح والاعتدال، والتسامح والحوار، وترسيخ أسس التفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء. فأقول وبالله التوفيق.

تتعدد مظاهر العمل الذي يتم إنجازه في مجال إصلاح الشأن الديني بالمغرب²، الذي عرف خلال العقد الأخير تطوراً جلياً، باعتباره يشكل أحد أهم أركان المشروع الإصلاحي الذي يقوده جلالته الملك، فقد مسّ هذا الإصلاح العديد من المجالات المرتبطة بالمجالس العلمية، والقيمين الدينيين، ومؤسسات التعليم الديني، وغيرها من الميادين ذات الصلة بتوطين الدين في النفوس، وتجسيد القيم الإسلامية النبيلة.

- يقول جلالته في هذا الصدد: «لقد دأبنا، منذ تقلدنا إمارة المؤمنين ملتزمين بالبيعة المقدسة وما تقتضيه من حماية الملة والدين، على إيلاء الشأن الديني الأهمية الفائقة، والحرص على قيام مؤسساته بوظائفها على أكمل وجه والعناية بأحوال الساهرين عليها

كما أن الهوية المغربية تتميز بتبوء الدين الإسلامي مكانة الصدارة فيها، وذلك في ظل تشبث الشعب المغربي بقيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار، والتفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء».

1- تراجع كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد التوفيق، التي ألقاها يوم 30 شتنبر 2014م بالأمم المتحدة بنيويورك، وذلك في إطار الجلسات التي نظمتها لجنة مكافحة الإرهاب التابعة لمجلس الأمن الدولي، حول موضوع التجربة المغربية في ميدان محاربة الإرهاب.

2- يراجع في هذا الشأن موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

والسير على النهج القويم لأسلافنا المنعمين في الحفاظ على الأمن الروحي للمغرب ووحدة المذهب المالكي¹.

وتتغىى المبادرات التى أطلقها أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، في مجال إصلاح الشأن الدينى ضماناً للأمن الروحي للمواطنين المغاربة في الداخل والخارج، وتعزيز التأطير الذى تقدمه المؤسسات الدينية، وترسيخ الوحدة المذهبية والحفاظ على الثوابت الدينية التى ميزت المملكة على مر القرون.

جاء في الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح دورة المجلس العلمي الأعلى للمملكة، يوم 08 يوليوز 2005: «...وإذ نؤكد عزمنا على المضي قدماً في إصلاح الشأن الدينى، الذى قطع خطوات هامة، باعتباره أحد أركان مشرونا المجتمعى، فإننا ندعوكم وكافة العلماء المستيرين، رجالاً ونساء على حد سواء، إلى النهوض بالمسؤوليات الجسيمة الملقاة على عاتقكم، والانخراط في حركة الإصلاح الشامل الذى نقوده».

وقد كان اهتمام أمير المؤمنين بإصلاح الشأن الدينى جلياً من خلال إعادة هيكلة وتأهيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية؛ فقد تم إحداث مديرية للتعليم العتيق، ومديرية أخرى مختصة بالمساجد، كما أعيد النظر في التشريعات المتعلقة بالمساجد وأماكن العبادات، هذا بالإضافة إلى إحداث المندوبيات الجهوية للشؤون الإسلامية التى تسهر على التدبير الميداني لأماكن إقامة شعائر الدين الإسلامي واستعمالها، والعمل على تتبع أحوالها.

وعلى مستوى المجالس العلمية تركز اهتمام أمير المؤمنين على الخصوص، على إعادة هيكلة وتنظيم المجلس العلمى الأعلى، والمجالس العلمية المحلية التابعة له، التى أنيطت بها عدد من الاختصاصات الجديدة التى تمكنها من الإسهام بفعالية في ضمان الأمن الروحي للمغاربة، والحفاظ على الثوابت الدينية للأمة.

وفي هذا السياق أصبح لكل عمالة أو إقليم مجلسه العلمى المكون من سبعة أعضاء من الرجال والنساء، كما تم تأسيس الهيئة العلمية المكلفة بالإفتاء التابعة للمجلس العلمى الأعلى، والمختصة بإصدار الفتاوى وبيان أحكام الشريعة الإسلامية في القضايا ذات الصبغة العامة... وذلك سداً للذريعة، وقطعاً لدابر الفتنة والفوضى في مجال الفتوى.

1 - من نص الخطاب الذى ألقاه صاحب الجلالة بشأن تنظيم المجلس العلمى الأعلى (أبريل 2004).

كما تم إحداث المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة الذي أنيطت به مهمة رعاية الشؤون الدينية للجالية المغربية بأوروبا، وتلبية حاجاتها بما يستجيب لخصوصيات قضاياها الدينية والثقافية، ويكفل الحفاظ على هويتها المغربية ...

ولعل من تجليات الاهتمام البالغ بالشأن الديني بالمغرب، العمل على إشراك المرأة في هذا الشأن؛ حيث أصبحت القيم الدينية، خلال السنوات الأخيرة، بفضل إسهامهن البين في مجال التأطير الديني عنصرا لا غنى عنه في تحقيق الأهداف الإصلاحية المنشودة لإمارة المؤمنين.

ومن التدابير الإجرائية التي تعزز البرنامج الإصلاحي للشأن الديني العناية الملكية السامية بالتكوين المستمر للقيمين الدينيين والمتمثلة في « ميثاق العلماء ». هذا التكوين الذي يستفيد منه أزيد من 45 ألف إمام وقيم ديني، يؤطّرهم نحو 1500 عالم، والذي يتم بإشراف المجلس العلمي الأعلى، وبالتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. إضافة إلى البرنامج الاجتماعي الرامي إلى النهوض بوضعية الأئمة والقيمين الدينيين، والعناية بأحوالهم المادية والاجتماعية.

وبموازاة « ميثاق العلماء » ومن أجل تدارك الحاجة في مجال التأطير الديني، تسهر الوزارة الوصية على تكوين مجموعة من الأئمة، والمرشدين من بين الطلبة المجازين؛ يستغرق تكوينهم سنة كاملة، حيث يتم تخريج 200 إمام ومرشدة، (150 إماما و50 مرشدة) تناط بالأئمة مهمة تأهيل الأئمة والخطباء وكل ما يتعلق بالإمامة من شؤون الصلاة وخطبة الجمعة والوعظ والإرشاد... وتتولى المرشديات مهام التأطير والإرشاد والتوجيه الديني في المساجد والمدارس والمستشفيات والسجون، وغيرها من المؤسسات، بقصد ترسيخ ثوابت الأمة المغربية، المحددة في إمارة المؤمنين، والعقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، والتصوف السني.

واعترافا بتجربة المغرب النموذجية في مجال تدبير الشأن الديني عموما وفي مجال تكوين الأئمة على وجه الخصوص؛ فقد تم يوم 20 شتبر 2015م برئاسة صاحب الجلالة الملك محمد السادس، والرئيس الفرنسي السيد فرانسوا هولاند، حفل توقيع الإعلان المشترك المغربي الفرنسي لتكوين جيل جديد من الأئمة الفرنسيين، هذا الإعلان الذي ينص على أن يتولى المغرب تكوين أئمة لفرنسا يختارهم المغرب وفق مقاييس معهد محمد السادس لتكوين

الأئمة والمرشادات، وبتوافق مع مساجد فرنسا، وجمعيات المساجد، على أن يكون هناك تكوين تكميلي في فرنسا حسب ما تقتضيه قوانينها ومساطرها.

وغير خاف أن هذه الاتفاقية¹ تعد اعترافا ضمنيا بالنموذج المغربي المميز في مجال تكوين الأئمة؛ فلأول مرة يوقع إعلان مشترك مع بلد ينتسب إلى الحضارة الغربية، ويقع اتفاق حول مسائل أساسية تهم الشأن الديني، وما ينبغي أن يكون عليه الدين باعتباره مصدر خير وأمن وسلام ومحبة.

وفي ظل العناية الخاصة التي يوليها أمير المؤمنين للعلم والعلماء عموما، وللمؤسسات التعليم العالي على وجه الخصوص، وحرصا من جلالته على أن تستعيد جامعة القرويين... أعرق جامعة علمية عرفها التاريخ الإسلامي... إشعاعها العلمي والمعرفي، ودورها الريادي الذي اضطلعت به منذ نشأتها، فقد أصدر أمره الشريف يوم 24 يونيو 2015م بإعادة تنظيم الجامعة، وتحديد مهامها، والمؤسسات والمعاهد التابعة لها، ونظام الدراسة والتكوين بها...

وضعت هذه المؤسسة تحت الرعاية السامية لجلالته الشريفة، ومن بين المهام التي أنيطت بها:

- تكوين علماء وباحثين متخصصين في الدراسات الإسلامية العليا المعمقة.
- تكوين الأئمة والمرشدين والمرشادات، وتأهيلهم للقيام بمهامهم على الوجه المطلوب.
- تنمية البحث العلمي وتطويره في مجال الدراسات القرآنية والحديثية والعقدية والفقهية وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر...

وهكذا أصبحت جامعة القرويين في نظامها الجديد تضم المعاهد والمؤسسات التالية:

- مؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط.
- معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية بالرباط.
- معهد محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدين والمرشادات بالرباط.

1- وقعت هذه الاتفاقية من طرف السيدين لوران فابيوس، وزير الشؤون الخارجية والتنمية الدولية، وأحمد التوفيق وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.

• المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب.

• معهد الفكر والحضارة الإسلامية بالدار البيضاء.

• جامع القرويين للتعليم النهائي العتيق بفاس.

وتقديرًا لما تفرضه إمارة المؤمنين من واجبات تجاه محيطها الجهوي والدولي، وشعورًا من جلالته بما يناط بهذه الأمانة من مسؤوليات... وتجسيدًا لعمق الأواصر التاريخية والصلات الروحية التي تربط إمارة المؤمنين بالشعوب الإفريقية، فقد بادر جلالته الشريفة رعاه الله إلى تأسيس المجلس الأعلى لمؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة؛ هذه المبادرة الرائدة التي تهدف إلى توحيد وتنسيق جهود علماء المغرب وعلماء البلدان الإفريقية في التعريف بقيم الإسلام الأصيلة النبيلة، وإشاعة روح التسامح والاعتدال والوسطية... وخدمة الأمن والاستقرار والتنمية في هذه البلدان الشقيقة.

فقد ترأس أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله يوم الثلاثاء 08 رمضان 1437هـ الموافق لـ 14 يونيو 2016 م حفل تنصيب هذا المجلس الأعلى برحاب جامع القرويين بمدينة فاس العاصمة العلمية والروحية للمغرب¹، وبحضور أعضائه وعددهم مائة وثلاثة علماء ينتمون لثلاثين بلدا إفريقيا، من بينهم 13 من النساء، كما حضر عشرون عضوا من المغاربة من بينهم 3 نساء.

ينص الظهير الشريف المؤسس لمؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة في مادته الرابعة من الباب الثاني على أن المؤسسة تسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

• توحيد وتنسيق جهود العلماء المسلمين، بكل من المغرب وباقي الدول الإفريقية للتعريف بقيم الإسلام السمحة ونشرها وترسيخها.

¹ - تميز هذا الحفل باخطاب السامي لأمير المؤمنين حفظه الله، ومما ورد فيه: "...إننا نعتبر مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة إطارا للتعاون وتبادل التجارب وتنسيق الجهود بين العلماء للقيام بواجبهم في التعريف بالصورة الحقيقية للدين الإسلامي وبقيمه السمحة القائمة على الاعتدال والتسامح والتعايش، وجعلها في خدمة الأمن والاستقرار والتنمية بإفريقيا. وإننا لوائقون بأن هذه المؤسسة... ستقوم إلى جانب كل الهيئات الدينية المعنية بدورها في إشاعة الفكر الديني المتنور، ومواجهة ما يروج له بعض أذغياء الدين من نزوعات التطرف والإنغلاق والإرهاب وهو منها براء".

- القيام بمبادرات... تفعيل قيم الدين السمحة في كل إصلاح تتوقف عليه عملية التنمية في إفريقيا...
- تنشيط الحركة الفكرية والعلمية والثقافية في المجال الإسلامي.
- توطيد العلاقات التاريخية التي تجمع المغرب وباقي دول إفريقيا والعمل على تطويرها.
- التشجيع على إقامة المراكز والمؤسسات الدينية والعلمية والثقافية.
- إحياء التراث الثقافي الإفريقي الإسلامي المشترك من خلال التعريف به ونشره والعمل على حفظه وصيانه.
- ربط الصلات وإقامة علاقات التعاون مع الجمعيات والهيئات ذات الاهتمام المشترك.¹

وإذا كانت مؤسسة محمد السادس ترمي - فيما ترمى إليه - إلى ربط الصلات وتوطيد العلاقات، وتوحيد الطاقات في مجال الشأن الديني والتموى على الصعيد الإفريقي، فإن إحداث هذه المؤسسة يجسد مظهرا من مظاهر التقدير الكامل للمسؤولية الدينية لإمارة المؤمنين تجاه إفريقيا؛ هذا التقدير الذي تجلى في عدد كبير من المبادرات الرائدة التي أطلقها أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس وفقه الله خلال العقود الأخيرة» والتي تؤكد على الالتزام الموصول لأمر المؤمنين من أجل النهوض بقيم الإسلام السمحة، لاسيما بناء المساجد بعدد من الدول الإفريقية، والحضور المنتظم للعلماء الأفارقة في الدروس الحسنية الرمضانية، وإحداث رابطة علماء المغرب والسنغال، وإحداث معهد الدراسات الإفريقية، وتنظيم ندوات حول الطرق الصوفية، والهيئات الممنوحة لعدد من الدول الإفريقية... هذا فضلا عن تكوين العديد من الطلبة المنتمين لعدد من البلدان الإفريقية وتأطيرهم بمؤسسة محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدين والمرشدات.

وبعد، فقد استثمرت الفرصة التي أتاحتها مشكورة رئاسة تحرير مجلة دعوة الحق لكشف بعض مظاهر الجهود التي بذلها أمير المؤمنين، جلالته الملك محمد السادس حفظه الله ويسره تعالى لما يرضاه في مجال إصلاح وتدبير الشأن الديني... جهود أبرزت الصورة

1- يراجع الظهير الشريف رقم 1.15.75 المؤرخ في 7 رمضان 1436 (24 يونيو 2015) المتعلق بإحداث مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة.

دعوة الحق

الناصرة لديننا الحنيف، وأسهمت في تحقيق الوحدة الوطنية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للمملكة المغربية، ودرء الفتن والانقسامات الداخلية عنها، جهود جسدت وتجسد عمق الأواصر التاريخية والروحية التي تربط إمارة المؤمنين بالشعوب الإفريقية، لتكون درعاً واقياً ضدّ التيارات الدينية المغالية، والنزعات العرقية والسياسية المتطرفة، إنها بحق جهود تمثل على الصعيد العالمي تجربة رائدة ونموذجية.

الذي ورد فيه أن "نفوذ القائد عبد الله ولد بيروك، المعين بظهير سلطاني يحمل تاريخ 2- 1844م، يمتد على كل التراب الصحراوي الواقع بين واد نون شمالا والرأس الأبيض جنوب واد الذهب. وأنا متأكد أن سكان هذه الجهة، تحت قيادة ولد بيروك، سيقاتلون لصد التدخل الأوربي إلى جانب الشيخ ماء العينين.

19. أتيليو غوديو Attilio Gaudio (2):

مؤرخ إيطالي، مختص في المغرب الكبير ومدير المركز الدولي للأبحاث الصحراوية والساحلية Saheliennes، أورد في كتابه: "صحراء الأفارقة Le sahara des africains"، المنشور بجوليارد Juliard عام 1960م أن "الفقهاء المغاربة حملوا الحضارة العربية الإسلامية إلى الأقاليم شبه الصحراوية، وتلاههم في ذلك الفنانون الذين أضفوا على المنطقة الطابع المغربي في المجالات الهندسية، واللباس، وفنون الطبخ والطب، وكيفية توظيف المعادن ومعالجتها".

20. جان شاربونو Jean Charbonneau (3):

كولونيل فرنسي، قدم خدمات للجيش الفرنسي بإفريقيا لمدة طويلة. ومما جاء في كتاب له تحت عنوان: "على خطى باشا تمبكتو"، المنشور سنة 1936م أن "الرحل الذين يتحركون بين تيندوف وتمبكتو هم مغاربة، ويرأسهم حكام يتم تعيينهم من قبل سلاطين المغرب، باعتبار أن الأخيرين بسطوا نفوذهم دوما على هذه المناطق، بل وصل حكمهم حتى الحدود السنغالية".

21. المارشال ليوطي Lyautey (4):

أول مقيم عام فرنسي بالمغرب من 1912 إلى 1925م. كتب إلى حكومته سنة 1902م، محاولا إقناعها بضرورة العمل على فرض الحماية على كامل التراب المغربي من البحر الأبيض المتوسط حتى نهر السينغال، دون أن يكون لإسبانيا أي نصيب في ذلك، أمام ما ينتظر من اعتراض السلطان ورعاياه الصحراويين، بالنظر لما يكون لإسبانيا من كراهية.

Ibid. p. 119. -1

Ibid. p. 119. -2

Ibid. p. 120. -3

Ibid. p. 119. -4

15. المؤرخ الموريتاني التادلي Tadili⁽¹⁾:

ذكر في كتابه: "التشوف إلى رجال التصوف"، أن "القائد الموحي⁽²⁾ أبو بكر بن عمر، مات ودفن بأزغي Azgui، جنوب المغرب، غير بعيد عن أطار (المدينة الموريتانية). وهو مؤرخ معروف بدقته في ضبط الأحداث التاريخية، ويعتبر حجة بامتياز لدى كافة المؤرخين⁽³⁾ الموريتانيين".

16. فريديريك دو لاشابيل Frédéric De la Chappelle:

مؤرخ⁽⁴⁾ فرنسي، أورد نقلا عن المؤرخ الموريتاني الشنقيطي⁽⁵⁾ قوله: "نعلم أنه عبر حقب تاريخية متعددة، اعتبر السلاطين المغاربة أن بلاد المور Pays des maures جزء لا يتجزأ من إمبراطوريتهم، كما أن تنصيب الحكام الموريتانيين وتعيينهم كان يتم في فاس ومكناس، عاصمتي المملكة".

17. المؤرخ اللبناني علي الشامي⁽⁶⁾:

يؤكد في كتابه المنشور في بيروت عام 1980م تحت عنوان: "الصحراء الغربية" أن "الصحراء الغربية مغربية منذ ما قبل المرابطين، مروراً بالموحدين والسعديين. وتبرز هذه الوحدة على الخصوص كلما تعرضت البلاد للتهديدات الأوربية".

18. تقرير القنصل الإنجليزي بالصويرة بتاريخ 7- 9- 1875م⁽¹⁾:

1- المؤكد هو أن يوسف التادلي (ت 617 هـ) المعروف بابن الزيات، مؤرخ مغربي وليس موريطانيا. وهو صاحب كتاب التشوف إلى رجال التصوف. وللمزيد من المعلومات حول هذا الفقيه الصوفي المؤرخ وكتابه، يمكن الرجوع إلى:

- يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

2- لعل الصحيح هو القائد المرابطي.

3- Mohammed Boughdadi, op. Cit., p. 118.

4- Ibid, p. 118.

5- الراجح أن الأمر يتعلق ب: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1958.

6- Ibid, p. 119.

11. القبطان الفرنسي جول إركمان Jules Erckmann⁽¹⁾ :

كان سنة 1885م رئيس البعثة العسكرية في المغرب. وفي كتابه "المغرب الحديث Maroc moderne"، الصادر في نفس السنة قدم "الساقية الحمراء كإقليم مغربي يرتبط بروابط البيعة مع ملوك المغرب. كما اعترف بمغربية طرفاية التي يحتلها الإنجليز.

12. الإيكوسي دونالد ماكنري Donald MC Kenzee⁽²⁾ :

مدير مرفأ Comptoir طرفاية، أكد سنة 1880 وسنة 1882م أن "كل هذه الأراضي الشاسعة، حتى الحدود مع السود، هي في ملكية السلطان"، وهو رأي قد سبق له أن ضمنه كتابه الصادر بلندن عام 1877م تحت عنوان: "The flooding of the Sahara".

13. أوكتاف هوداس Octave Houdas :

مؤرخ فرنسي ذو اطلاع كبير على المغرب الكبير، يعتبر أن "شنقيط هي أكبر مدينة في أدرار الواقعة جنوب المغرب". وقد ورد هذا التوضيح في هامش خاص، ضمن الهوامش التي خصصها لترجمة كتاب تاريخ السودان لمؤلفه السعودي التمبكتي.

14. كسافيي كوبولاني Xavier Coppolani⁽³⁾ :

مندوب حكومة فرنسا الأول في موريطانيا، مستشرق ومستعرب، على معرفة جيدة بتاريخ المغرب الكبير، له عدة مؤلفات حول الإسلام وحول المنطقة. وبصفته هاته، كتب لوزيره في المستعمرات سنة 1901م، قائلاً: "أرجو أن لا تكونوا قد نسيتم أن موريتانيا تعتبر امتداداً طبيعياً وسياسياً للمغرب"، وذلك حتى تشمل الحماية الفرنسية المغرب برمته، من البحر الأبيض المتوسط شمالاً، إلى نهر السنغال جنوباً.

-1 Ibid, p. 117.

-2 Ibid, p. 117.

-3 Ibid, p. 117.

الصحراوية الآتية من المغرب. كما أن عددا كبيرا من الأطباء، مسلمين ويهودا هم من شمال البلاد".

9. الجنرال الفرنسي غاليني Gallieni⁽¹⁾:

قائد الجيش الفرنسي بالسنغال، قام سنة 1879م بإحصاء الأفارقة غير السنيغاليين المقيمين بالسنغال، وتم ترتيب المغاربة حسب الجهات والمناطق التي ينتمون إليها. وهكذا فإن الترارزة والشناقطة وإداو علي، والسماسيد وأهل أقشار (الموريتانيين)، والركيبات وأولاد دليم وتكنة، كانوا يرتبون كمغاربة، مثل سكان فاس ومراكش وتارودانت. وقد أوصى غاليني أنه "من مصلحة فرنسا أن يتطور الشناقطة ضمن هويتهم المغربية، كما كتب سنة 1937م في مجلة الدراسات الإسلامية Revue des Etudes Islamiques أن "سلاطين المغرب كانوا يطبقون سياسة صحراوية نشيطة، وكانت "محلاتهم تجوب الصحراء، مقدمة بذلك عوناً لا يستهان به للمور Maures الذين يحظون كذلك برعاية المخزن وحمائته، ويمكن الحديث، حسب نفس المصدر، عن تدخلات مخزنية لسنة 1665م بأرطان Aratan، وتيشيت وودان، وتدخلات سنة 1678م بأدرار، وتدخلات سنة 1680م بتاكانت، وتدخلات سنة 1730م بشنقيط حتى السنيغال.

10. بونيلي Bonelli⁽²⁾:

تاجر إسباني، نزل للإقامة بالداخلة يوم 25 دجنبر 1884م. وبناء على ذلك، أبلغت إسبانيا الدول الأوروبية باحتلالها لفضاء Espace في الصحراء، من دون أن تطلع المغرب على ذلك، فأرسل السلطان المغربي جنوده لعين المكان، ليتم طرد بونيلي Bonelli ورجاله يوم 9 مارس 1885م. وفي يوم 29 من نفس الشهر، احتجت إسبانيا لدى السلطان، معاتبته إياه لكونه "طرد جنودها، مما يعتبر مسا بكرامة رعايا صاحب الجلالة الكاثوليكي، ملك إسبانيا". وكان جواب السلطان مولاي الحسن الأول أنه "سبق له أن أشعر جيرانه بالشمال، بأنه لا يسمح بأن تحتل أراضيه، من قبل الأجانب". وفي 8 يونيو 1885م، استعملت إسبانيا القوة لأول مرة لاحتلال الداخلات التي لم تغادرها إلا سنة 1976م.

Ibid, p. 116. - 1

Ibid, pp. 116 – 117. - 2

سيادة على مساحة شاسعة، تتضمن الفضاء الممتد بين البحر الأبيض المتوسط ونهر السنغال". كما يتحدث في نفس المصدر عن قوافل محمد الثالث⁽¹⁾ الصحراوية.

6. دون خوسي إسكازينا Don José Escazena⁽²⁾:

هو فنان ورسام إسباني، أقام بطنجة طيلة النصف الأول من القرن 19. وقد ترك صوراً ورسومات بالغة الأهمية في كتاب له يحمل عنوان: "حياة الرجال الزرق في الأقاليم المغربية من سوس والصحراء إلى جنوب وادي درعة"، المنشور سنة 1837م، وهذا الكتاب هو الذي يحيل عليه الإنجليزي السير ج. دروماند هاي Sir J. Drumond Hay ابن قنصل إنجلترا بطنجة، في كتابه: "المغرب وقبائله المترحلة"، المنشور سنة 1844م. التقى الرجلان بطنجة وتعرفا على بعضهما بشكل جيد، كما سافرا معاً، عبر جهات المغرب، عدة مرات. ويصف هاي Hay في هذا الكتاب القبائل الصحراوية بكونها "ساكنة مورية لا تختلف إثنيا عن سكان شمال المغرب". كما ذكر أنه في إحدى المرات رافقه جياة الضرائب باسم السلطان عبر كل الأقاليم الصحراوية حتى نهر السنغال.

7. الجنرال الفرنسي فيدريب Faidherbe حاكم السنغال⁽³⁾:

الذي أصدر أوامره سنة 1850م لكل مساعديه المدنيين والعسكريين قائلاً: "راقبوا جيداً قبائل الجنوب الصحراوي، وافرضوا إرادتنا على المور Maures ولا بد من الحيلولة دون مواصلتهم الحفاظ على علاقات البيعة لفائدة سلطان المغرب، وذلك عبر محاولة إقناعهم إما بالدبلوماسية أو بالعنف شاهرين بذلك قوتنا".

8. الجراح الفرنسي پيبي Pipy⁽⁴⁾:

من البحرية الفرنسية بدكار Dakar، يفيد في المجلة الكولونيالية Revue coloniale لشهر أكتوبر 1851م أن "مور Maures موريطانيا وجيرانهم الولوف Wolof السنغاليون يعيشون نفس عادات المغرب، ويعالجون أنفسهم بعقاقير طبية تجلبها إلى المنطقة القوافل

1- المقصود به سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790م).

2- Mohammed Boughdadi, op. Cit., p. 115.

3- Ibid, p. 116.

4- Ibid, p. 116.

2. دومينيك باديا Dominique Badia (علي باي العباسي) ⁽¹⁾ (1767-1818م):

الجاسوس الإسباني المعروف باسم علي باي العباسي، المتكرر في شخصية مسلمة. جاب كل شمال إفريقيا وتعمق في معرفتها بعد أن عاش بها عدة سنوات. وعن إمبراطورية المغرب، فهو يصفها بكونها تمتد جنوب بلاد السود، من حيث يستمد كل ثروته من التبر، وباقي المنتوجات الصحراوية.

3. الدبلوماسي البرتغالي مانويل روبيرو داسيلفا Le diplomate portugais Manuel Robero da Silva (1767-1849م) ⁽²⁾:

أستاذ العربية بكلية لشبونة، سافر في بعثة مرتين إلى المغرب سنة 1810 وسنة 1812م، من أجل مناقشة شراء مواد أولية لفائدة البرتغال، مثل الأبقار والصمغ العربي وبعض المنتوجات الزراعية المغربية. ولطالما أكد على "المنتوجات التي كانت تأتي من الصحراء مثل التبر والصمغ العربي، والعاج، وريش النعام وجلود الحيوانات الغريبة Exotique". كما أن مؤلفاته عن المغرب لا تفصل المغرب عن صحرائه.

4. ج. ماطرا، قنصل إنجلترا بالمغرب J. Matra ⁽³⁾:

من 1768 إلى 1806م، الذي أكد في رسالة له إلى اللورد Lord Sydney بتاريخ 28-3-1789م: "أن الصلاة التي تقام في المساجد، باسم السلطان، تعد بمثابة عقد بيعة، لفائدة سلطان فاس وتافلاليت والمغرب ومراكش وتوات، وتمبكتو وأروان.

5. القس Abbé Raynal:

له كتيب يحمل عنوان ⁽⁴⁾ "معلومات حول الأطلس والصحراء Notes sur l'Atlas et le Sahara" لسنة 1790م، يؤكد من خلاله أن "العلاقة بين المغرب والصحراء، هي علاقة

-1 Ibid. p. 114.

-2 Ibid. p. 114.

-3 Ibid. p. 114.

-4 Ibid. p. 114.

وضعت الكثير من رعايا السلطان خارج المنظومة القانونية العامة المعهودة في البلاد منذ القديم، وحرمتها من أهم موارده المالية، مثل معاهدة سنة 1856م مع إنجلترا⁽¹⁾، ومعاهدات 1860 - 1861م⁽²⁾ مع إسبانيا، واتفاقية 1863م مع فرنسا⁽³⁾. أما مقتضيات مؤتمر مدريد سنة 1880م، فكانت نتائج كارثية على المغرب، يضاف إلى كل هذا المتاعب التي خلفتها المجاعات في كافة مناطق البلاد ما بين 1879 و1884م، وما كان لها من تأثيرات قوية على التشكيلات الاجتماعية والبنى الاقتصادية⁽⁴⁾.

ونقدم فيما يلي مجموعة من الشهادات والاتفاقيات الدولية التي تؤكد على استمرار الصلات والروابط التاريخية بين شمال المغرب وجنوبه الصحراوي حتى نهري السنيغال والنيجر، من جهة، وعلى الدعم المخزني لرعاياه بالصحراء المغربية، من جهة ثانية.

1- حجج تاريخية على امتداد نفوذ المغرب حتى نهري السنيغال والنيجر⁽⁵⁾ :

1. شهادة بيير دوسينيغال Pierre de Cenival⁽⁶⁾ :

أورد هذا الباحث في الجزء الرابع، ضمن المجموعة الثانية من أعماله، حول الوثائق غير المنشورة لتاريخ المغرب سنة 1698م، ما يفيد أن مملكة سوس الكبرى التابعة للمغرب، تمتد إلى قريب من غينيا، مما يعني أن سوس الكبرى تضم كل الصحراء المغربية حتى نهر السنيغال.

1- Groupe d'auteurs, Histoire du Maroc, Hatier, Paris, Librairie Nationale, Casablanca, 1967, p. 289.

2- Ibid, p. 290.

3- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1985م، ج.3، ص. 249.

4- عبد الله لغمايد، بعض المظاهر الاجتماعية المقاومة للتدخل الاستعماري في الصحراء وسوس، 1895 - 1912م. ضمن أعمال ندوة علمية، الرباط، يومي 1 و2 غشت 2002م، في موضوع: تاريخ الشرفاء العروسيين كمظهر من مظاهر الوحدة الوطنية، مطبعة بني يزناسن، سنة 2004م، ص. 86.

5- هذه الحجج التاريخية، جمعها الباحث:

Mohammed Boughdadi, Le conflit saharien dans le contexte sécuritaire euro-maghrebin, édition Bouregreg, Rabat, 2007.

6- Ibid, p. 114.

شهادات تاريخية على مغربية الصحراء ودعم السلاطين العلويين لرعاياهم بها ضد الأطماع الأوربية

د. أحمد الأزمي

أستاذ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

من المعلوم تاريخيا أن جل الأسر التي تعاقبت على حكم المغرب، وصنعت أمجاده في التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر، ذات أصول صحراوية منذ دولة المرابطين، مروراً بالموحدين والمرينيين، إلى دولة السعديين، ودولة العلويين التي لازالت تسير دفة الحكم في المغرب إلى يومنا هذا. وهو ما يؤكد الباحث المرحوم محمد زنيبر في مقال له تحت عنوان: "مساهمة الصحراء في بناء الدولة المغربية"، حيث يقول: "ولئن كان هذا الجزء عانى منذ أزمان بعيدة من الخصائص والجذب والفقر، فقد قدر له، مع ذلك أن يكون له حضور مستمر، وأحيانا حاسم في تاريخ المغرب. ومن يتصفح ذلك التاريخ بإمعان، يخرج بانطباع عام، وهو أن منطقة الصحراء والواحات كانت أكثر فعالية ودينامية من المناطق الشمالية الغنية والخصبة في تحريك التاريخ"⁽¹⁾.

وانسجاما مع هذه الحقائق¹، ووعيا من السلاطين العلويين بمسؤوليتهم في الحفاظ على الوحدة الوطنية من شمال البلاد إلى جنوبها الصحراوي حتى نهر السنيغال، فقد وجهوا عنايتهم إلى توثيق الصلة برعاياهم هناك حاثين إياهم على ضرورة التزام اليقظة والحذر من الأطماع الأوربية الراغبة في التوغل في الصحراء المغربية، عبر الساحل الأطلسي، واضعين بين أيديهم من أجل ذلك، كل الإمكانيات المادية والمعنوية من مؤن وعتاد حربي، وخبرة عسكرية، رغم الحالة المزرية التي كان يوجد عليها المخزن خلال النصف الثاني من القرن 19، عندما وجدت أجهزته وحرية تحركاته مطوقة ومعطلة بفعل المعاهدات اللامتكافئة التي

1- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، عدد مزدوج، 1998م، ص. 77.

- تباين تعاطي السلطات الاستعمارية الفرنسية والإسبانية مع احتفال الحركة الوطنية والشعب المغربي بعيد العرش؛ ذلك أنه في المنطقة السلطانية واجه الوطنيون سياسة القمع والتضييق والمنع من إقامة الاحتفالات في كثير من الأحيان، كتخليد ذكرى العرش بعد نفي الملك محمد الخامس. بالمقابل تعاطت سلطات الحماية الإسبانية في المنطقة الخليفية مع الموضوع بنوع من المرونة، وسمحت للوطنيين بالتعبير عن حبهم للعرش وصاحبه كيفما شاؤوا، وهذا ما كان يَحْزُنُ في نفوسهم وَيُنْغِصُ عليهم فرحة الاحتفال بالعيد، عندما يرون إخوانهم في الجنوب غير قادرين على تخليد هذه الذكرى الوطنية العزيزة على قلوب كل المغاربة والاحتفال بها إلا قلبيا.

جلالة محمد الخامس عرش أسلافه الأمجاد، شعوران غريبان يختلف كل منهما عن الآخر؛ شعور السرور بالتمكن من إقامة الاحتفالات في هذا البلد المغربي المنفي منه محمد الخامس، وشعور الأسى والحزن على نفي البطل واغترابه عن أراضينا. فقد تحمل الآلام والتضحيات شيئا كبيرا في سبيل المغرب والدفاع عنه وإيصاله إلى حريته الكاملة واستقلاله التام¹. وجاء في مقال آخر للأستاذ عبد الواحد أخريف، بعنوان "من وحي الاحتفال بعيد العرش": "احتفلت البلاد المغربية التي مازالت تعتبر صاحب العيد ملكا شرعيا للمغرب الأقصى الذي تكالبت عليه قوى الشر وأبعدته عن عرشه ووطنه وأمته. والناظر إلى هذه الاحتفالات ليرى أن المغاربة متعلقون أشد التعلق بملكهم الأوحده الذي عاهد الله على أن لا يحيد قيد شعرة على ولوج أبواب السعادة والرفاهية لهذا الشعب"².

بعد هذا العرض السريع والوجيز لما تناولته الصحافة الوطنية في المنطقة الخليفية بخصوص تخليد ذكرى الاحتفال بعيد العرش المجيد، نصل إلى استخلاص بعض الاستنتاجات كالآتي:

- إجماع المنابر الإعلامية (الجرائد) في المنطقة الخليفية - على اختلاف تلويناتها وانتماءاتها الحزبية واتجاهاتها الفكرية والإيديولوجية - على أهمية تخليد ذكرى اعتلاء الملك عرش أسلافه الكرام.
- اعتبارها العرش العلوي رمزا لوحدة البلاد واستمرارها، وسفينة نجاتها ووصولها إلى بر الأمان.
- التعلق الشديد لسكان المنطقة الخليفية عامة، وزعماء الحركة الوطنية بالمنطقة خاصة، بأهداب العرش العلوي المجيد، وتفانيهم في المحبة والولاء والإخلاص لملكهم وقائدهم وإمامهم.
- التنسيق الكبير، والارتباط الوثيق بين شطري الحركة الوطنية المغربية في الشمال والجنوب.

1 - جريدة الأمة، عدد 74، بتاريخ 11 ربيع الأول 1373هـ الموافق 19 نونبر 1953م.

2 - نفسه.

من عنده، فأشادوا باسم الملك، واشتد كلف الرعية بملكها، فأحبوه حب قيس وليلى وهاموا في شمائله"¹.

وشكلت الذكرى السادسة والعشرين لعيد العرش، حدثا خاصا بامتياز، كون صاحب العرش، والملك الشرعي للبلاد، تعرض لمؤامرة دنيئة دبرتها سلطات الحماية الفرنسية بليب، بنفي محمد الخامس خارج البلاد، للحد من تأثيره الإيجابي على الحركة الوطنية، وبُغية الانتقام منه بسبب توجهه الاستقلالي، ورفضه التوقيع على الظهائر التي تمس بحقوق الشعب المغربي وكرامته. فنشرت جريدة "الأمة" مقالا موقعا باسم ابن بطوطة، بعنوان "المغرب الحر يحتفل"، وتطرق فيه الكاتب إلى التدابير العسكرية المشددة التي اتخذتها سلطات الحماية الفرنسية لمنع المغاربة من التعبير عن عواطفهم اتجاه ملكهم الشرعي، حيث قال: "غير أن جنوب المغرب يحتفل به احتفالا قلبيا لم يسبق له مثيل في تاريخ الوطن العزيز، لأنه محروم من إظهار عواطفه، والإفصاح عن تعلقه بملكه الشرعي الوحيد، والتعبير عما تكنه نفوس المواطنين فيه من المحبة والإعجاب وصدق الولاء، فجلالة الملك منفي عن البلاد، والسلطة الإفريقية ألغت الاحتفال بعيد العرش"². ويشيد الكاتب بموقف سلطات الحماية الإسبانية من حادثة نفي الملك محمد الخامس قائلا: "وأما شمال المغرب فسيحتفل كعادته كل سنة بملكه العظيم محمد الخامس رضي الله عنه، لأن السلطة المشرفة عليه تقدر إرادة الشعب المغربي حق قدرها، ويأبى عليها الشرف والوفاء للمعاهدات المبرمة أن تقر اعتداء على ملك تفرض الالتزامات المرعية حماية شخصه وعرشه وعائلته، وتتطلب منها صداقة الشعب المغربي أن تقف إلى جانبه لأنه جانب الحق والعدالة والإنسانية، في هذه المحنة التي يجتاها"³. وفي عددها الصادر يوم 19 نونبر 1953م، عنونت جريدة الأمة "المنطقة الخليفية تحتفل في جو من الهدوء التام احتفالا رائعا بملكها الأوحده محمد بن يوسف نصره الله. في المنطقة السلطانية إضراب عام واصطدامات ونشاط كبير للمقاومة"، وأوردت النص الكامل للخطبة الارتجالية الرائعة التي ألقاها معالي الزعيم الأستاذ عبد الخالق الطريس في المهرجان الخطابي العظيم الذي أقامه حزب الإصلاح الوطني، وافتتحها بقوله: "يتملكني وأنا أقف أمامكم في هذا الحفل العظيم الذي نقيمه احتفالا بالذكرى السادسة والعشرين لاعتلاء

1 - جريدة الأخبار، بتاريخ 4 محرم 1367هـ الموافق 18 نونبر 1947م.

2 - جريدة الأمة، عدد 73، بتاريخ 10 ربيع الأول 1373هـ الموافق 18 نونبر 1953م.

3 - نفسه.

وفي أسبوعية "الريف" دائما، كتب الأستاذ التهامي الوزاني مقالا بعنوان "مبلغ تعلق المغاربة بالعرش"، استعرض فيه الوقائع التاريخية التي تجسد مكانة السلطان بالنسبة للقبائل المغربية بما في ذلك تلك القبائل الثائرة التي شقت عصى الطاعة وأعلنت تمردا على المخزن، كواقعة قبيلة أومالو مع السلطان مولاي سليمان، وواقعة قبيلة غياثة - التي انخرطت في ثورة بوحمارة - مع السلطان مولاي عبد العزيز، فرغم كون هاتين القبيلتين ثارتا على السلطان، وتواجهتا مع جيوشه، إلا أنهما عند وصولهم إليه، ظلت أعناقهم خاضعة، "ولكنهم رغم كل شيء لم ينسوا أنه سلطانهم الشرعي، وأنهم متمردون عليه، فلا تطاوعهم نفوسهم وهي في أشد بحراتها وهياجها أن توقع به شرا أو سوءا"¹. ثم يعلق الكاتب على ذلك قائلا: "هكذا يحب المغاربة ملوكهم، وهذه هي العواطف التي يضمرونها للجالس على عرشهم ورمز وحدتهم وإمامهم المنظم لأمرهم، وهذه العواطف هي الموجودة في القبائل القليلة الثقافة والمحرومة من التربية والعلم، فليست هذه التربية صناعية ولا الدعوة للتشبت بالملك وتاجه وعرشه شيئا جديدا أو طرفة من طرف النهضة الحديثة"².

وكتبت جريدة "الوحدة المغربية" بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثالثة عشر لعيد العرش سنة 1940م ما نصه: "وإذا فعيد العرش هو عيد الوحدة المغربية، وعيد العرش هو رمز الوحدة المغربية، وعيد العرش هو شعار الوحدة المغربية، واحتفالنا به إنما هو احتفال بعيد قومي خالد بالأمس واليوم وغدا، نعم تحتفل "الوحدة المغربية" بعيد العرش، لأنها ترى في العرش نجاة المغرب، فالعرش دعامتنا، والعرش قائدنا، والعرش زعيمنا"³. وخلدت جريدة "الأخبار" الذكرى العشرين لتربع جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف على أريكة العرش العلوي، بمقال للأستاذ التهامي الوزاني بعنوان "ملك عظيم، أم ملك كريم؟"، سجل فيه دور الملوك ومكانتهم بالنسبة لرعيته، وكيف استبشر المغرب خيرا، وأحييت آمال المغاربة باعتلاء جلالة الملك محمد الخامس عرش البلاد "فأدرك ذووا الأحلام من الأمة أن الله وهبهم موهبة

1 - جريدة الريف، عدد 273، السنة السادسة، بتاريخ 4 ذي القعدة 1360هـ الموافق 25 نونبر 1941م.

2 - نفسه.

3 - مقال بعنوان: "عيد العرش في المنطقة الخليفة أفرح الوحدة المغربية"، جريدة الوحدة المغربية، عدد 159، السنة الرابعة، الجمعة 22 شوال 1360هـ الموافق 22 نونبر 1940م.

الشريفة التي أحسنت إلى المغرب في عهد نخوته كما أحسنت إليه في عهد محنته. إن عيد العرش، ويوم 18 نونبر يحدد في قلوبنا حب العائلة العلوية الكريمة، ويمتد العلائق القلبية بين الرعايا والملك وبين المؤمنين عامة وآل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولكن يوم عيد العرش خلق في نفوسنا أهواء مشتتة، وأعلن علينا هواجس مرعبة، فتذكرنا صاحب العرش وهو في منغزله بالدار البيضاء، محتجا على فرنسا وسياسة نوجس الخرقاء، وتجسم إمامنا الملك الوطني الشاب واضعا يده على خده تترقرق عيناه بالدموع، وتهزه نخوة الملك ليقول كلمته الفاصلة، ولكنه يلقي نفسه أمام فرنسا لا يملك حولا ولا قوة"¹. ثم تتأجج عواطف الكاتب ولا يستطيع كبح جماحها، فيتابع قائلا: "فريد أن ننتقم لصاحب العرش، ونريد أن ننتقم للأمة يوم عيد العرش، ونريد أن نرجع يوم عيد العرش المنفيين من مناهم، والسجناء من سجونهم، ونعالج المصابين بالجراحات، ونحيي الشهداء ليتمتعوا في يوم عيدهم القومي بالتغني بأعمال ملوكهم العظام وزعمائهم المخلصين"². ونشرت جريدة "الريف" في عددها الصادر يوم 14 دجنبر 1937م، في عمود أخبار المنطقة السلطانية، بيانا استنكاريا بعنوان: "الحكومة الحالية تحارب العرش"، قدمت من خلاله البراهين والأدلة الدامغة على محاربة الدولة الحامية لمشروع الاحتفال بعيد العرش المغربي، منها: إلقاء القبض على شاب هتف وسط جمع حاشد من المحتقلين بالعيد، بحياة الملك وولي عهده أمير الأطلس، والحكم عليه بثلاثة أشهر سجنًا. ومحاكمة أحد الوطنيين بالسجن سنتين، على برقية بعثت بها الحركة الوطنية إلى جلالة السلطان تهنئه فيها بمناسبة عيد جلوسه على كرسي الإمبراطورية الشريفة، مشفوعة بطلب العفو على المعتقلين، وتنفيذ المطالب الخاصة والعامة. وقس على ما لم يقل.

لقد كانت سلطات الحماية الفرنسية تدرك تمام الإدراك خطورة الالتحام بين العرش والشعب على مصالحها وأطماعها في المغرب، وخطورة الارتباط بين الملك وزعماء الحركة الوطنية على وجودها واستمرارها في احتلال البلاد. لذلك حاولت بشتى الوسائل احتواء تعلق الشعب عامة والوطنيين خاصة بالعرش العلوي المجيد، من أجل إضعاف ذلك التأثير القوي للعرش - باعتباره رمز الوحدة والقومية والعروبة والإسلام - في إذكاء لهيب المقاومة السياسية لمخططات الاستعمار وسياسته الاستغلالية.

1 - جريدة الريف، بتاريخ 12 رمضان 1356هـ الموافق 16 نونبر 1937م.

2 - نفسه.

ومستقبلها مجهول، ولكن بقي مع ذلك شيء عظيم وجامعة كبرى تجمع المغاربة من أقصى البلاد إلى أقصاها، لقد بقي العرش المغربي قائم الدعائم وكفى به ضماناً أدبية وتراثاً خالداً¹. وأضاف قائلاً: "كان عيد العرش المغربي في نظرنا هو عيد القومية المغربية الخالدة، فالمغاربة الذين يحتفلون اليوم بهذا العيد، إنما يحتفلون بما بقي بين أيديهم من تراث ثمين تركه الآباء والأجداد: دين وقومية، وأرض وجنسية. وإذا كان الوطنيون يلحون في إقامة عيد العرش، ويعملون كل ما في وسعهم لتأييد صاحب العرش، ويوجهون الوطنية المغربية في اتجاه الولاء والوفاء والإخلاص للعرش، فإنما يفعلون ذلك إيماناً بأن لا حياة لهذا الوطن إلا عن طريق تقوية العرش، والاحتفاظ بجميع ما بقي له من اختصاصات، واسترجاع ما ضاع له من حقوق وامتيازات، وإنما يفعلون ذلك إيماناً بأن العرش المغربي، هو القوة الكبرى التي وحدت الأمة المغربية، وجعلتها في زمن قصير سيدة القارة الإفريقية، وحامية قسم غير قليل من القارة الأوروبية". ثم يختم مقاله هذا بالتحية قائلاً: "فليحيى صاحب العرش! وليحيى عيد العرش! وليحيى العرش المغربي الخالد!"². وكتب الأستاذ سعيد حجي في العدد نفسه من جريدة "الحياة"، في مقال بعنوان "المؤسس الأول لعرش المملكة المغربية الإسلامية" قائلاً: "فالعرش الذي يحتفل الشعب المغربي اليوم به، ويتخذ من يوم جلوس ملكه المفدى على أريكته عيداً وطنياً، هو العرش الذي دعم أساسه مولانا إدريس وبنت صرحه الخالد، هذه الدول التي تعاقبت على التاريخ المغربي إلى اليوم، وسوف تتعاقب السنون، والعرش المغربي قائم الدعائم، خالد البنیان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فليهنأ الشعب المغربي بعيده القومي، وليحيى جلاله ملكه المنصور بالله، والمؤيد بإيمان الشعب وآماله".

ونقرأ في جريدة "الريف" الصادرة يوم 16 نونبر 1937م، مقالا موقعا باسم ابن جلا، طغت عليه نبرة الحزن على فرحة الاحتفال بالعيد القومي، بسبب ما كان يعرفه المغرب من أحداث دامية، واعتقالات تعسفية، وقمع مفرط لقوات الاحتلال الفرنسية، جاء فيه: "ليست الأعياد الدينية والقومية مشابهة لباقي الأيام، فهي أيام ممتازة، يكون الإنسان فيها ماسكا بأحد الطرفين، فإما سرور متناهي، وإما ألم متناهي، وإن الدموع التي تهرق في يوم العيد تكاد تعدل الدموع التي أهرقت في السنة كلها. وقد حل علينا عيد قومي عزيز علينا، عيد كان من برنامج الوطنيين عندما اقترحوه أن يكون يوما يشاد فيه بذكرى العائلة العلوية

1 - جريدة الحياة، عدد 36، بتاريخ 18 نونبر 1934م.

2 - نفسه.

من هذا الكتاب بوجود سيدنا أيده الله أن جناب المخزن الشريف أمر بما يأتي"، وفي النص الفرنسي: "بعد القبول والرضى التام من سعادة الكومسيير المقيم العام قررنا ما يأتي". وفي الفصل الثاني من القرار العربي: "يقوم باشا كل مدينة من مدن الإيالة الشريفة بتنظيم الأفراح الجارية في عهد السلاطين المقدسين"، بينما هي في القرار الفرنسي بدل المقدسين "القدماء". وفي الفصل نفسه عند ذكر ما يكون علامة على يوم العيد في النص العربي "تزيين المدن"، وفي النص الفرنسي "الإشهار في الأسواق". وفي الفصل نفسه بالنص العربي: "يوم عطلة لسائر موظفي المخزن الشريف"، وفي النص الفرنسي: "لسائر الموظفين المخزنين". وفي الفصل الرابع بالنص العربي: "كما أنه لا تكون خطب ولا أوفاد الناس"، وفي النص الفرنسي: "ولا تكون خطب ولا تجمهر الناس". ويعلق صاحب المقال على ذلك قائلا: "إن من يقرأ هذا القرار يجده في غاية الجحوف كأنما هبت عليه السموم فأخذت منه كل حياة وتركته عظاما نخرة لا تدل على شيء حي"¹. ويُعقَّبُ أيضا على منع التجمهر والاجتماع الذي هو من عادات المغاربة في المواسم والأعياد، بأن الهدف منه هو منع التواصل بين المغاربة حضريين وقرويين، وفي تخصيص باشوات المدن بالإشراف على هذه الاحتفالات وتنظيمها، إقصاء ومنع لقواد القبائل من المشاركة في هذه الأفراح، "كأن سلطة جلالة الملك لا تتسحب على القبائل، مع أن نسبة المدن إلى القبائل نسبة ضئيلة جدا، وفي هذا التفريق تنفيذ للاتجاه الذي تتجهه السياسة الإفريقية من قطع أشلاء هذا القطر الموحد"².

وعموما فقد استقبل رجال الحركة الوطنية في الشمال كما في الجنوب هذا القرار التنظيمي - على عيوبه ونقائصه - بانسراح كبير، واعتبروا صدوره انتصارا لإرادة الشعب المغربي الذي أرغم سلطات الحماية على الاعتراف بحقه في التعبير عن عواطفه ومشاعره النبيلة اتجاه ملكه ورمز وحدته، عن طريق تخليد ذكرى جلوسه على عرش أسلافه المقدسين³.

وكتب الأستاذ عبد الخالق الطريس في جريدة "الحياة" مقالا بعنوان "عيد العرش عيد القومية المغربية" قائلا - بعدما استعرض أوضاع المغرب في عهد الحماية، وما تعرفه البلاد من تجزئة وتفكك ترابي قطع أوصالها - : "نعم كل هذا واقع، وحاضر المملكة سيء،

1 - جريدة الحياة، العدد 36، السنة الأولى، بتاريخ 18 نونبر 1934م.

2 - نفسه.

3 - أبو بكر القادري: مذكراتي في الحركة الوطنية، ج 1، ص 164.

من سلا والرباط وفاس ومراكش وطنجة والدار البيضاء، حيث يصف الأستاذ أبو بكر القادري في مذكراته مظاهر ذلك الاحتفال في مدينة سلا قائلا: "إنني لا أنسى ذلك اليوم الأغر في حياتنا الوطنية، فلقد لبسنا ثيابنا الوطنية الجديدة، وأخذنا تلامذة المكتب الإسلامي إلى المكان الذي أعدناه للاحتفال، وهم ينشدون الأناشيد الوطنية، ويتغنون بأعجاء العرش العلوي ... وبعد انتهاء الحفل الوطني الأول من نوعه، نظمت جموع الشباب التي كانت مجتمعة، تظاهرة وطنية، وقصدت منزل الباشا، مطالبة بأن يصبح هذا اليوم عيداً رسمياً تعطّل فيه الأعمال وتظهر معالم الزينة والأفراح".¹ ورغبة منها في احتواء هذه المبادرة الوطنية الجريئة، والحوّل دون تحولها إلى تظاهرة شعبية عارمة، والحد من تأثيرها في إلهاب الشعور الوطني للمغاربة وإذكائه، عمدت سلطات الحماية الفرنسية - في السنة الموالية -

إلى إعطائها طابعاً رسمياً، وتقنيناً جائراً، باستصدار القرار الوزيري الذي يؤسس بموجبه "عيد التذكّار" في 31 أكتوبر 1934م، والذي نشر في الجريدة الرسمية بالمنطقة السلطانية في عددها 1149 بتاريخ 2 نونبر 1934م موافق يوم الجمعة 23 شعبان 1353هـ، وجاء في فصله الأول: "يؤسس اليوم الثامن عشر من شهر نوفمبر عيد تذكّار صعود جلالة السلطان على عرش أسلافه المقدسين ابتداء من هذه السنة فصاعداً"²، ونص الفصل الثاني على قيام بشوات المدن بالإشراف على تنظيم تلك الأفراح من خلال: تزيين المدن، الطرب في الأسواق، تفريق الثياب والطعام على يد الجمعيات الخيرية، منح يوم عطلة لسائر موظفي المخزن الشريف. ونص القرار أيضاً في فصله الرابع على منع "الخطب وأوفاد الناس" بذريعة المحافظة على العوائد وتحسباً لأي حدث يمس بالحياة التجارية أو الإدارية في المملكة الشريفة.

وقد أبدت جريدة "الحياة" جملة من الملاحظات على هذا القرار تتمثل في: الاختلاف الواضح بين مضمون النصين العربي والفرنسي للقرار، ذلك أنه "في مواضيع النص العربي تدليسا فيما تقتضيه المجاملات، بينما أنها في النص الفرنسي صريحة في المقصود، وعارية عن مظاهر الاحتراس المتكلف"³. وكمثال على ذلك: ففي طليعة القرار بالنص العربي: "يُعلم

1 - أبو بكر القادري: مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 - 1940م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1992م، ج1، صص 160 - 161.

2 - أنظر نص القرار: في جريدة السعادة، عدد 4174، السنة 31، بتاريخ السبت فاتح شعبان 1354هـ موافق 10 نونبر 1934م / محمد حسن الوزاني: مذكرات حياة وجهاد، ج3، صص 482 - 483 / وأيضاً مقال: رسمية عيد العرش المغربي، الصادر في جريدة الحياة، العدد 36، السنة الأولى، بتاريخ 11 شعبان 1354هـ موافق 18 نونبر 1934م.

3 - جريدة الحياة، العدد 36، السنة الأولى.

المصور" التي أسسها الأستاذ محمد داود في فاتح أكتوبر 1933م، ولم تعمر طويلا، إذ توقفت في نونبر سنة 1934م، وجريدة "الحياة" التي أسسها الأستاذ عبد الخالق الطريس في فاتح مارس 1934م، واتخذت كشعار لها "جريدة حرة تدافع عن المصالح القومية"، إلا أنها سرعان ما أجبرت على التوقف في غشت 1935م، بسبب المضايقات المالية المفروضة عليها باسم الغرامات نظرا لتهجها وجرأتها النقدية الواضحة¹، وجريدة "الأخبار" التي أسسها الأستاذ محمد داود في مارس 1936م، وجريدة "الريف" لتهامي الوزاني، الصادرة في غشت 1936م، وجريدة "الوحدة المغربية" لسان حزب الوحدة المغربية لمحمد المكي الناصري، التي صدرت في فبراير 1937م، وجريدة "الحرية" لسان حزب الإصلاح الوطني للأستاذ عبد الخالق الطريس، الصادرة في مارس 1937م، وجريدة "الأمة" التي صدرت في فاتح ماي 1952م لتحل مكان جريدة "الحرية" التي توقفت عن الصدور سنة 1947م².

رغم سياسة التضييق على حرية التعبير والصحافة، وفرض التعتيم الإعلامي ومحاربة المنابر الإعلامية الوطنية الحرة، التي كانت تتهجها سلطات الحماية الإسبانية بالمنطقة الخليفية، فإن ذلك لم يثن من عزيمة رجال الحركة الوطنية في الشمال، إذ نجدهم بمجرد توقيف إحدى الجرائد، يشرعون في التحضير والإعداد لتأسيس جريدة أخرى، محافظين على نفس الخط التحريري والنفس النضالي والتعبوي الذي لا يتوانى في توجيه النقد للسياسة الاستعمارية الإسبانية والفرنسية على حد سواء، وكشف مخططاتها وأساليبها في فرض الهيمنة وقمع الحريات.

2- ذكرى عيد العرش المجيد في الصحافة بالمنطقة الخليفية: الدلالات الرمزية:

إن فكرة الاحتفال بعيد العرش برزت لأول مرة في "مجلة المغرب" في شهر يوليوز 1933م، في نهاية مقال بعنوان "حكومتنا والأعياد الإسلامية"، جاء فيه: "كما نطلب منها - أي الحكومة الفرنسية - أن تصدر قرارا باتخاذ يوم جلوس صاحب الجلالة على العرش المغربي عيداً وطنياً"³. وفي يوم 18 نونبر 1933م، خرجت الفكرة من القوة إلى الفعل حيث احتفل الوطنيون - لأول مرة - بعيد جلوس الملك محمد الخامس على عرش المغرب، في كل

1 - ينظر: الخراز: الصحافة بشمال المغرب، ص 233.

2 - اقتصرنا هنا على ذكر نماذج فقط من الصحف الصادرة في المنطقة الخليفية، وهي النماذج ذاتها التي سوف نستثمرها في المحور الثاني من هذه الدراسة.

3 - انظر: عادل بنمنصر: فكرة الاحتفال بعيد العرش... ص 282/ الوزاني: مذكرات حياة وجهاد، ج 3، ص 468.

1- نظرة على الصحافة في المنطقة الخليفية:

استفادت الحركة الوطنية في المنطقة الخليفية من "سياسة التعايش" مع سلطات الحماية الإسبانية التي كانت تسعى إلى بسط سيطرتها على المنطقة مقابل التفاهم مع الوطنيين على إدخال الإصلاحات المناسبة بالتعاون مع حكومة الخليفة¹، لتحقيق سبقا وطنيا في إصدار الصحف والمجلات، إيمانا منها بأهمية العمل الصحافي ودوره الكبير في التعبئة الوطنية، حيث نجدها في أول مذكرة مطلية رفعتها إلى السلطات الإسبانية في مدريد في شهر ماي 1931م، تركز على احترام الحريات العامة². وعموما فإن الإرهاصات الأولى لظهور الصحافة الوطنية العربية بالمنطقة كانت خلال العقدين الأول والثاني من عهد الحماية، وجاءت رياح النهضة الصحافية العربية بتطوان من الشرق العربي عبر الصحف السيارة من مصر وسوريا ولبنان، والتي كانت تصل عبر البريد الإنجليزي غير الخاضع للمراقبة الاستعمارية³. كما نشط الطلاب المغاربة بمصر والشام في الكتابة بالصحف المشرقية للتعريف بحركة المقاومة المسلحة المغربية. ومن أبرز العوامل التي دفعت برجال الحركة الوطنية في الشمال إلى إصدار الصحف والدوريات، هو الرغبة في تأسيس صحافة وطنية حرة ومستقلة، تعبر عن طموحاتهم ومواقفهم وآرائهم في مواجهة صحافة الحماية التي كانت تحتكر المشهد الإعلامي في المنطقة⁴. فألى جانب الصحافة المخزنية الصادرة في تطوان⁵، عرفت عاصمة المنطقة الخليفية تأسيس العديد من الصحف والمجلات الحرة كمجلة "السلام

الاحتفال بعيد العرش لأول مرة يوم 18 نونبر 1933م، راجع: محمد حسن الوزاني: مذكرات حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، مرحلة الانطلاق والكفاح (1930-1934م)، منشورات مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1982-1986م، ج3، صص 468-481.

1 - عبد الرحيم برادة: إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية (1931-1956م)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007م، ج2، ص 229.

2 - نفس المرجع، صص 233-234.

3 - محمد الحبيب الخراز: الصحافة بشمال المغرب، ص 201/ برادة: إسبانيا والمنطقة الشمالية، ج2، ص 271.

4 - تجدر الإشارة هنا إلى أن سلطات الحماية الإسبانية فرضت هيمنتها على المشهد الصحافي بالمنطقة الخليفية من خلال إصدار عدة صحف ومجلات ناطقة باللغة الإسبانية مثل: Boletín Oficial de la zona protectorado Español en Marruecos، التي صدرت سنة 1913م، ويومية El Norte de Africa سنة 1918م، وأسبوعية Marruecos سنة 1926م، ويومية La Gaceta de Africa سنة 1930م، وأسبوعية Hoja Gráfica سنة 1937م وغيرها. أنظر: الخراز: الصحافة بشمال المغرب، صص 161-197.

5 - نشير هنا على سبيل المثال لا الحصر إلى جريدة الإصلاح الصادرة عن المجمع العلمي بتطوان في يناير 1917م، والتي تولى الأستاذ محمد العربي الخطيب رئاسة تحريرها.

حزب الإصلاح الوطني الأستاذ عبد الخالق الطريس في جريدة الحياة¹، التي خَصَّصَتْ عددها السادس والثلاثين الصادر يوم 18 نوفمبر سنة 1934م، لتخليد ذكرى عيد العرش المجيد، حيث تضمن ذلك العدد أربعة مقالات سلَّطت الضوء على هذه الذكرى الخالدة تحت عناوين: "يوم المغرب الموحد" بإمضاء الأستاذ عبد السلام بن جلون، و"عيد العرش عيد القومية المغربية" من توقيع الأستاذ عبد الخالق الطريس (أبو الفداء)، و"المؤسس الأول لعرش المملكة المغربية الإسلامية" بقلم الأستاذ سعيد حجي، و"رسمية عيد العرش المغربي". فالعرش المغربي على حد تعبير الأستاذ عبد الخالق الطريس "هو الضامن الوحيد للجنسية المغربية الموحدة ... وهو الحارس الأمين للأرض المغربية ... وهو عماد الدولة المغربية ... وهو حامي الراية القومية الحمراء"²، ثم يضيف قائلاً: "ولولا أن العرش المغربي موجود، لانمحت الجنسية المغربية من الوجود، ولأصبح مغاربة كل منطقة مندمجين في جنسية الأجانب المسيطرين أو المشرفين عليها"³. فرغم كل المحاولات اليائسة التي ما فتئت سلطات الحماية تقوم بها، ورغم كل المؤامرات الدنيئة، الخسيسة، التي كانت تحيكها للإيقاع بين السلطان وزعماء الحركة الوطنية وإحداث القطيعة بينهما، فإن ذلك لم يزداهم إلا إصراراً على التشبث بالعرش العلوي، وإقامة الحجة والبرهان على الولاء والإخلاص للجالس على أريكته صاحب الجلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه. وما المبادرة الجريئة التي اتخذتها الحركة الوطنية باقتراح جعل تاريخ 18 نونبر، يوم جلوس محمد بن يوسف على عرش البلاد، عيداً وطنياً وقومياً، يُخلَّد بالاحتفالات والأفراح في كافة ربوع المملكة الشريفة ابتداءً من سنة 1933م، إلا دليلاً ساطعاً على هذا التلاحم والتعاقد بين الملك والشعب⁴.

1 - أسبوعية الحياة، العدد 36 (عدد ممتاز خاص بعيد العرش) السنة الأولى، بتاريخ 11 شعبان عام 1353هـ / 18 نوفمبر

1934م. الجريدة محفوظة في خزانة الأستاذ عبد الخالق الطريس بمدينة تطوان.

2 - الأستاذ عبد الخالق الطريس: عيد العرش عيد القومية المغربية!، جريدة الحياة، عدد 36، السنة الأولى، بتاريخ 18 نوفمبر 1934م، الصفحة الثانية والسابعة.

3 - نفس المصدر.

4 - يَخْلُصُ الأستاذ عادل بنمنصر - بعد تحليل نقدي دقيق - إلى أن فكرة الاحتفال بعيد العرش، ليست من بناء أفكار الوطنيين المغاربة، حيث نسبها البعض لمحمد حصار، ونسبها آخرون لمحمد صالح ميسة. بل يرجع أصلها إلى الأستاذ عبد القادر المغربي أحد رجالات الشرق العربي. أنظر: عادل بنمنصر: فكرة الاحتفال بعيد العرش في الأدب المغربي، دراسة نقدية، ضمن مجلة المناهل، وزارة الثقافة المغربية، عدد مزدوج 77-78 بعنوان: محمد الخامس وتاريخ المغرب المعاصر، صص 259-300/ وبخصوص الدور الإعلامي والدعائي الكبير الذي قامت به جريدة "عمل الشعب" في الترويج لفكرة

تخليد الصحافة في المنطقة الخليفية لذكرى عيد العرش المجيد

د. محمد البغياي - تطوان -

غني عن البيان ما اضطلعت به الصحافة الوطنية المغربية خلال فترة الحماية، من دور نضالي ريادي في إطار تنظيم المقاومة السياسية وصياغة المطالب الوطنية، وكشف أهداف ومخططات سياسة المستعمر الإدماجية للرأي العام الوطني والعربي وحتى الدولي، وتوجيه النقد لإدارة الحماية من أجل الضغط عليها وحملها على الالتزام بمنطوق معاهدة الحماية متى لاحظت جُتُوحَهَا عن ذلك واتجاهها نحو الحكم المباشر. ولعل القيام بهذا الدور النضالي النبيل كان سببا في توتر الأجواء بين سلطات الحماية وجل الصحف والجرائد الوطنية التي كان مصيرها ينتهي في أحسن الأحوال بمنع صدورها واعتقال مُدَرِّأَتِهَا. إلا أنه خلال الأربع والأربعين سنة التي أعقبت توقيع عقد الحماية، تأرجحت العلاقة بين الصحافة الوطنية المغربية وسلطات الحماية، بين التوتر وشد الحبل حيناً، وبين الانفراج وتوسيع هامش حرية التعبير حيناً آخر، في ارتباط وثيق بالأحداث والتحويلات السياسية التي تعرفها الساحة السياسية في الدولتين الحاميتين¹. ويُجمع الباحثون في تاريخ الصحافة المغربية على أن سنوات الثلاثينات شكّلت مرحلة إعادة إحياء للصحافة المغربية؛ بتأسيس العديد من الجرائد والدوريات سواء في المنطقة السلطانية، كجريدة "عمل الشعب" التي أسسها محمد بن حسن الوزاني سنة 1933م، أو في المنطقة الخليفية حيث أسس عبد الخالق الطريس جريدة الحياة سنة 1934م. وبعد هذه المرحلة اتجهت الصحافة الوطنية صوبَ الحزبية، فصارت الجرائد منابر إعلامية ناطقة بلسان الأحزاب والتيارات السياسية، ومُعَبِّرة عن مبادئها وأفكارها وقيمها. وبخصوص المنطقة الخليفية - التي جعلناها إطاراً جغرافياً لهذه الدراسة - فقد عرفت صدور العديد من الجرائد والصحف، اختلفت توجهاتها وانتماءاتها بين الصحافة المخزنية، والصحافة الوطنية الحرة، والصحافة الوطنية الحزبية، والصحافة الوطنية المستقلة². ورغم هذا التنوع في المشهد الصحافي بالمنطقة، فقد كان هناك إجماع تام على اعتبار السلطان محمد بن يوسف رمزا لوحدة البلاد، وحاميا لتراث أسلافها، والمرشد الأول في نهضتها، كما عبر عن ذلك زعيم

1 - تجدر الإشارة في هذا المقام إلى الانفراج الذي عرفته الصحافة الوطنية المغربية في عهد حكومة الجبهة الشعبية الاشتراكية بفرنسا، والحرب الأهلية الإسبانية ما بين 1936 - 1939م، التي أوصلت الديكتاتور فرانكو إلى سدة الحكم بإسبانيا بمساعدة سكان المنطقة الخليفية.

2 - محمد الحبيب الخراز: الصحافة بشمال المغرب، من التأسيس إلى الاستقلال، تطوان، 2012م، ص 202.

ولقد ذكر الدكتور عبد الحق المريني في مقدمة كتابه هذا أهمية إنجاز مثل هذا العمل، بل جعله من الأعمال اللازم إنجازها من قبل المؤرخين المختصين، ليسهل على الباحثين والمهتمين الاستفادة منها، وليقتنوا منها ما يساعدهم على إنجاز بحوثهم ودراساتهم¹، وهو ما تحقق بفضل هذا العمل الكبير الذي نهل وسينهل منه المهتمون بتاريخ جلالته الملك محمد الخامس، على أن هناك رغبة كبيرة من قبلهم في إنجاز مثل هذه الأعمال لأنها فعلا تستحق كل عناء وعناية، فالبيبليوغرافية ضرورية في العلوم الإنسانية. وفي الختام أذكر أن كثيرا من الباحثين الذي اطلعوا على هذا العمل الجليل، يتمنون، إذا سمح الوقت لأستاذنا الكريم، أن يصدر هذا العمل القيم في نسخته الثانية، معززا بالفهارس العامة، أو ما يصطلح عليه عند المفهرسين بالكشافات، باعتبارها مفاتيح النص، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: فهرس المؤلفين، فهرس عناوين الكتب، فهرس الأعلام الواردة في الكتاب، ثم فهرس المحتويات.

1- عبد الحق المريني، بيبليوغرافيا مفصلة، ص. 5.

غشت 1953 - 20 غشت 2003م: ندوة الجامعة الصيفية، 25 و 26 شتبر 2003م. كما نجد مجموعة من الكتب الجماعية التي قامت بنشرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير وقد ذكر المؤلف مجموعة منها: ثورة الملك والشعب 1956م، المنشور ضمن منشوراتها سنة 2001م. وكتاب تحت عنوان: الذكرى الأربعون لعودة بطل التحرير المغفور له محمد الخامس رضوان الله عليه وأسرتة الملكية الشريفة من المنفى إلى أرض الوطن، 16 نونبر 1955 - 16 نونبر 1995م. مطبعة الأمنية بالرباط، 1995م. وكتابتها المعنون ب: الخطب الملكية السامية بمناسبة ذكرى 20 غشت المجيدة من محمد الخامس إلى محمد السادس: ذكرى ثورة الملك والشعب، المنشور ضمن منشوراتها عام 2001م، ونذكر أيضا ضمن الكتب الصادرة عن المؤسسات والمنتديات كتاب نشرته كل من مؤسسة محمد الزرقطوني للثقافة والأبحاث ومنتدى أصيلا تحت عنوان: ثورة الملك والشعب، مرجع الوحدة الترابية والتكامل الوطني، ندوة: أصيلا - غشت 2002م.

أما المجلات والجرائد التي صدرت كأعداد خاصة بهذه المناسبة فنقتطف منها عناوين على سبيل المثال لا الحصر، العدد الخاص من مجلة دعوة الحق: ثورة الملك والشعب، عدد غشت 2008م. عدد خاص بثورة الملك والشعب، غشت 2009م. ثم جريدة الاتحاد الاشتراكي: «عدد خاص عن ذكرى 20 غشت ثورة الملك والشعب»، 20 غشت 1987¹. ومن المقالات المفردة في الجرائد وردت مجموعة منها، مثل مقال أحمد مهابة المصري، تحت عنوان: «ملاحم شخصية محمد الخامس القدوة والمثل الأعلى كزعيم شعب ورائد نهضة وقائد ثورة»، نشر في جريدة الأخبار المصرية²، ومقال عبد القادر الإدريسي، «عندما قاد الملك ثورة شعبه وبث روحها بعد الإستقلال»³. ومن المسرحيات ذكر المؤلف مسرحية أبي بكر اللمتوني تحت عنوان: «بقيت وحدي»، مسرحية شعرية عن ثورة الملك والشعب في أربعة فصول⁴.

يتبين لنا من خلال هذا الجرد السريع الذي اقتطفناه من كتاب «بيبلوغرافيا مفصلة» زخم ما ألف ودون حول عيد العرش وثورة الملك والشعب، وكل ذلك يدل على المجهود الكبير الذي بذله المؤلف في الجمع والتصنيف والترتيب، ويبرز أيضا أهمية البحث البيبلوغرافي،

1- عبد الحق المريني، بيبليوغرافيا مفصلة، ص. 80.

2- نفسه، ص. 89.

3- نفسه، ص. 78.

4- نفسه، ص. 101.

- ب: ثورة الملك والشعب

إن المؤلفات التي ذكرها الدكتور عبد الحق الميرني في ببليوغرافيته المفصلة المصححة والمتعلقة بثورة الملك والشعب يمتد مجالها التاريخي من نفي جلالة الملك في 20 غشت 1953م إلى تاريخ صدور الكتاب عام 2014م، وهي منشورة بالجرائد والمجلات المغربية والمغاربية والعربية، كرسالة المغرب والمعرفة والأنوار والمغرب والاتحاد والأفكار والأطلس والثقافة والأنيس والعلم والبصائر، وغيرها مما صدر في وقته كرد فعل من كتاب معاصرين، كما يمكننا من الوقوف على جملة مما ألف فيما بعد تاريخ النفي حول هذه الثورة التي قادها هذا الملك المحرر مع شعبه الوفي. ومن جملة هذه المؤلفات نذكر ما يلي: أبو بكر القادري: مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية. ج. 5: تأمر الجنرالين جوان وكيوم على العرش المغربي وصمود محمد الخامس دفاعا عن السيادة المغربية¹، وعبد القادر الإدريسي، مواقف مغربية فصول في التاريخ والثقافة والفكر، وهو كتاب نفيس يتضمن ضمن سلسلة مقالاته مقالا حول أرشيف ثورة الملك والشعب، في الصحف والمجلات الصادرة بمصر وسورية وبالمغرب في المنطقة الخليفية مع التذكير بالرصيد الرسمي في كل من باريس ومدريد الذي «يحفل برصيد ضخم من المعلومات والوثائق والمجموعات الكاملة من الجرائد والمجلات التي تضم أخبارا وموضوعات غزيرة عن ثورة الملك والشعب»²، وقد خرج كاتب المقال بخلاصة نتيجتها وجود أرشيف مهم متفرق، ودعا إلى جمعه والحفاظ عليه من خلال إحداث متحف يحمل اسم «متحف ثورة الملك والشعب».

وضمن سلسلة الندوات أورد المؤلف مجموعة منها ندوة: الذكرى الذهبية لثورة الملك والشعب، 20 غشت 1953م. 20 غشت 2004م. وهي أشغال الندوة العلمية للجامعة الصيفية / شتبر 2004م. والندوة التي نظمتها أكاديمية المملكة المغربية، بمناسبة الذكرى الخمسون لثورة الملك والشعب، وهي أعمال دورة خاصة، بالرباط، 22- 24 غشت 2003م، وقد صدرت ضمن منشورات الأكاديمية ذاتها، بمطبعة المعارف الجديدة، في السنة الموالية. مع الندوة التي نظمتها جامعة محمد الخامس السويسي/كلية علوم التربية الرباط تحت عنوان: ثورة الملك والشعب، الجذور والامتدادات، الذكرى الذهبية لثورة الملك والشعب 20

1- عبد الحق الميرني، ببليوغرافيا مفصلة، ص. 33.

2- عبد القادر الإدريسي، «أرشيف ثورة الملك والشعب»، ضمن كتابه: «مواقف مغربية: فصول في التاريخ والثقافة والفكر»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. 2007م، صص. 106، 111.

معظم ديوان الشاعر البلغيثي ما يزال مخطوطا عند ورثته، وبه أشعار في العرشيات والوطنيات، وهناك أيضا "ديوان العرش" الذي تم طبعه بالمطبعة المحمدية تحت عنوان: مختارات شعرية في مدح الجلالة الشريفة، وهو السلسلة الأولى الصادرة عام 1386هـ/ 1948م¹. أما السلسلات الباقية فما تزال مخطوطة، ونجد قصائد في مدح العرش العلوي ضمن ديوان الشاعر المجيد محمد بن محمد المعمرى الزواوي ب: حسن الوفاء لآل البيت النبوي، في مآثر ملوك العرش العلوي، وقد صدر هذا الديوان مطبوعا عن المطبعة الملكية الرباط، عام 1384هـ/ 1964م. ونختم بذكر ديوان يتضمن العرشيات وهو للعلامة عبد الله گنون، المعنون بـ لوحات شعرية، الصادر بتطوان، 1966م.²

أما الأطروحات فذكر الدكتور عبد الحق المريني مجموعة منها: رسالة الباحث عادل بنمنصر، تحت عنوان: "العرشيات في عهد محمد الخامس"، رسالة دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1992م، ورسالة عبد الحق ابن طوجة، المعنونة بـ "شعر محمد بن اليميني الناصري"، جمع وتحقيق ودراسة، وهي رسالة د.د.ع. بكلية الآداب الرباط، 1991م. وضمنها نجد مقطعات شعرية في العرشيات والوطنيات. ومن ضمن الكلمات التي ألفت بهذه المناسبة ذكر المؤلف كلمة العلامة محمد بن أبي بكر التطواني، تحت عنوان: «جلال العرش المحمدي في ظل راية القرآن»، وقد فاز بها بالجائزة الأولى في الذكرى العشرين لجلوس صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف على عرش أسلافه المقدسين 1367هـ. 1947م³. ومن خطب المغفور له جلاله الملك محمد الخامس التي ألقاها بهذه المناسبة أشار المؤلف إلى مجموعة مهمة، منها مجموع خطبه المنشورة بالمطبعة المحمدية⁴. ومن التمثيليات والمسرحيات الإذاعية أورد المؤلف تمثيلية من إنجاز عبد الواحد الشاوي تحت عنوان: "في ظلال العرش"، تمثيلية ذات فصلين، أكتوبر 1950م⁵.

1- عبد الحق المريني، ببليوغرافيا مفصلة، ص. 73.

2- نفسه، ص. 75.

3- نفسه، ص. 92.

4- نفسه، ص. 93.

5- نفسه، ص. 101.

العلامة عبد الله گنون تحت عنوان: «الذاتية المغربية وعيد العرش»¹، ومقال أحمد ابن سودة، بعنوان: «عيد العرش أمل وعمل»²، وأحمد معينو في مقال بعنوان: «الاحتفال بعيد العرش»³، وعبد الحق الميرني «18 نونبر يوم خالد في تاريخ المغرب»⁴ ومحمد المكي الناصري، «فكرة عيد العرش»⁵، وللعلامة الوزير محمد الفاسي مقال بعنوان: «عيد العرش، ذكريات وآمال»⁶، ولأحمد متفكر، «خاطرة: عيد العرش في الذاكرة المراكشية»⁷، والسلسلة التي نشرها الدكتور عبد الهادي بوطالب تحت عنوان: «فكرة إحياء عيد العرش»⁸، وعبد الكبير الفاسي: «أدب عيد العرش شاهد»⁹، وأحمد إيشرخان، وحسن مومني حول: «من وثائق الاحتفال بعيد العرش، مسألة الأسبقية في الاحتفال بالعيد المجيد»¹⁰، وغير ذلك من المقالات في هذا الباب. كما وثق المؤلف لمجموعة من الجرائد والمجلات التي صدرت كأعداد خاصة بهذه المناسبة ومنها على سبيل المثال: - جريدة الحياة: «عدد خاص بعيد العرش»، رقم 36، 18 نونبر 1934م، جريدة الوداد: «عدد خاص بعيد العرش»، 18 نونبر 1941م، وجريدة الصحراء المغربية: «ملحمة العرش والشعب»، غشت 2004م. ومن المجلات نذكر مجلة رسالة المغرب: أعداد خاصة بعيد العرش 18 نونبر 1942 و1947 و1951 و1952م.

أما الدواوين والأشعار فقد ذكر المؤلف عدة مجاميع ودواوين ومقطعات شعرية التي أنشدت بهذه المناسبة الوطنية المجيدة، ومنها على سبيل المثال: ديوان عبد المالك البلغيثي: "راح الأرواح"، مطبعة السلام، فاس، 1403 / 1983م¹. وقد أشار مؤرخ المملكة إلى أن

1- عبد الحق الميرني، بيبليوغرافيا مفصلة، ص. 26.

2- نفس المصدر، ص. 39.

3- نفس المصدر، ص. 58.

4- نفس المصدر، ص. 57.

5- نفس المصدر، ص. 39.

6- نفس المصدر، ص. 88.

7- نفس المصدر، ص. 88.

8- نفس المصدر، ص. 88.

9- نفس المصدر، ص. 39.

10- نفس المصدر، ص. 49.

11- نفس المصدر، ص. 71.

ومنها الطبعة الثالثة، الصادرة سنة 2008م¹. ومن الكتب التي تضمنت بعض فصوله معلومات مهمة ودقيقة حول هذا العيد المجيد ذكر المؤلف كتاب قاسم الزهيري، المعنون بـ: "محمد الخامس الملك البطل، قصة جهاد"²، وهو كتاب تضم صفحاته الحديث عن عيد العرش، ففي فصل دخول محمد الخامس حلبة الجهاد، المستهل بقول جلالة الملك: « منذ الآن لن يضيع حق من حقوق البلاد، بل سأسعى لاسترجاع ما ضاع »، يتحدث الكاتب قاسم الزهيري، وهو معاصر للأحداث، عن ملابسات تأسيس عيد العرش من قبل كتلة العمل الوطني بعد عودة الملك من زيارته لفاس التي تعرض فيها العاهل الكريم لمضايقات الفرنسيين، فكان رد فعل الكتلة أن « قررت تأسيس عيد العرش يوم 18 نوفمبر من كل سنة ابتداء من 1934م، احتفاء بيوم اعتلاء محمد الخامس عرش أجداده الأماجد، وتثبيتا للشرعية المغربية، التي كانت الإدارة الفرنسية تسعى لتقويضها، وإظهارا لمشاعر الولاء والامتنان لما كان يقدمه العاهل الكريم من جليل الأعمال لبلاده وشعبه »³.

وضمن الكتب التي صدرت عن الهيئات والمنظمات والأحزاب والتي تؤرخ لعيد العرش ذكر الأستاذ عبد الحق المريني مجموعة منها، وضمنها كتاب صادر عن حزب الاستقلال بعنوان: "عيد العرش"، وقد صدر بالقاهرة، 18 نونبر 1946م⁴. ثم كتاب بمناسبة الذكرى الثامنة لجلوس الملك محمد بن يوسف على العرش، أصدرته كتلة العمل الوطني: بعنوان: "مفاخر العلويين"، وهو مؤلف موجز في تاريخ الدولة العلوية وأعمالها الخالدة، حيث نشر هذا الكتاب عام 1935م⁵. ثم كتاب صادر عن مكتب المغرب العربي بعنوان: "جلالة محمد الخامس، ملك دولة وقائد نهضة"، العيد العشرون لجلوس جلالته على العرش: 18 نونبر 1927 - 18. نونبر 1947م، نشر بالقاهرة 1947م⁶.

أما المقالات الصادرة برسم هذه المناسبة فهي كثيرة ومتنوعة، مثل المقال الذي كتبه

1- عبد الحق المريني، بيبليوغرافيا مفصلة، ص. 16.

2- نفس المصدر، ص. 25.

3- قاسم الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، قصة جهاد، منشورات دار النشر التقنية للشمال الإفريقي، مطبعة أكسال، الرباط، 1984م، ص. 32.

4- نفس المصدر، ص. 23.

5- نفس المصدر، ص. 34.

6- نفس المصدر، ص. 50.

وصدى القضية الوطنية في المشرق العربي، ... كما نقف فيه على مجموعة من المؤلفات ذات الصلة بالمناسبات الوطنية.

ومادامت المناسبة شرطا فسأكتفي بذكر مجموعة من المصادر والمراجع والمقالات ذات الصلة بعيد العرش المجيد، وبثورة الملك والشعب، والتي أوردتها الأستاذ عبد الحق المريني في عمله الجغرافي، وقد بلغ عددها خمسون عنوانا: ثلاثون عنوانا متعلقة بعيد العرش، في حين بلغ عدد المتعلقة بثورة الملك والشعب حوالي عشرين عنوانا، موزعة ما بين كتب ومقالات ورسائل جامعية ودواوين شعرية وتمثيلات إذاعية، وفيما يلي بعض المراجع المتعلقة بالمناسبتين الوطنيتين:

أ- عيد العرش المجيد

ذكر المؤلف مجموعة من المصادر والمراجع والمقالات المتعلقة بعيد العرش، وهي مختلفة من حيث الشكل والمضمون، فمنها مؤلفات اختصت بالموضوع وجعلته عنوانا لها، ومنها مؤلفات تضمنت الموضوع وجعلته ضمن أبوابها أو أحد فصولها، وضمنها كتابات عاش كتابها أحداث هذه المناسبة الوطنية ووصفوا إطارها التاريخي الذي أبدعت فيه هذه المناسبة المجيدة ومظاهر الاحتفالات ومغزاها، كما ذكر المؤلف مجموعة من الخطب والمقالات المرتبطة بهذه المناسبة الوطنية المجيدة، فمن الكتب التي جعلت عيد العرش محورا لها نقتطف على سبيل المثال لا الحصر:

- الكتاب الجماعي الذي نشرته المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير تحت عنوان: «دور عيد العرش في التعبئة الوطنية خلال فترة الكفاح من أجل الاستقلال»، وهو نتاج ندوة علمية نظمتها المندوبية المذكورة بسلا، 29 يوليوز 2003م، وصدر ضمن منشوراتها بمطبعة بني إيزناسن، سلا، 2004م¹. ثم كتاب المؤرخ الشهير محمد بن عزوز حكيم بعنوان: «موقف شمال المغرب من الاعتداء على العرش المغربي يوم 20 غشت 1953م» تعرض فيه إلى أثر هذا الاعتداء الذي غير مجرى التاريخ وإلى تجديد بيعة الشمال المغربي، وتشبث المغاربة ببيعة أمير المؤمنين جلالة الملك محمد الخامس، والكتاب يبرز أيضا جوانب غميسة من ثورة الملك والشعب، وقد طبع الكتاب بمطابع الشويخ، تطوان، عدة مرات

1- عبد الحق المريني، بيبليوغرافيا مفصلة، ص. 63.

الصفحات	عدد العناوين	صنف المؤلفات
44 - 11	214	الكتب والمؤلفات
46 - 45	9	الأطروحات والرسائل الجامعية
48 - 47	9	الموسوعات والمعلومات
59 - 49	78	المجلات والدوريات والنشرات
70 - 60	55	الندوات والمحاضرات
76 - 71	31	القصائد والدواوين الشعرية والأناشيد
91 - 77	104	الصحف والجرائد
100 - 92	27	الكلمات والخطب والنشرات
101	4	المسرحيات والتمثيلات الإذاعية
		المراجع باللغات الأجنبية
118 - 105	110	كتب ومؤلفات باللغة الأجنبية
136 - 119	165	صحف ومجلات ونشرات وأحاديث ومحاضرات
	806	المجموع العام للعناوين الواردة في الكتاب

رابعاً: كتابات حول عيد العرش وثورة الملك والشعب

يتمكن الباحث من خلال كتاب مؤرخ المملكة الدكتور عبد الحق الميرني من الوقوف على مجموعة من الكتابات الجماعية والمؤلفات المفردة، التي تنير له الطريق للبحث في مواضيع مختلفة، من مثل: شخصية محمد الخامس وسيرته وقوته في مواجهة الاستعمار، وخطبه ومشاركاته الفعالة في النهوض بشؤون الأمة، وصبره وتجلده وهو في طريقه إلى المنفى، وما أبداه الشعب المغربي من مواقف تعبر عن أواصر الترابط بين الشعب والعرش،

اسمه محمد من الملوك»¹، على أن آخر مطبوع من الناحية الزمنية متعلق بجلالة الملك محمد بن يوسف ذكره المؤلف هو سلسلة ندوات جامعة مولاي علي الشريف التي جرت دوراتها ما بين 2012- 2014م.

ولعله من المفيد أن أشير إلى مجموعة من العناوين لكتب تعتبر في نظري من نواذر المؤلفات التي ذكرها الأستاذ الدكتور عبد الحق المريني، وهي كثيرة ومتنوعة يمكن للقارئ أن يقف عليها عبر صفحات هذا الكتاب والتي بلغ عددها 136 صفحة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب عبد الرحمان محمود الحص اللبناني² وهو بعنوان: مراكش في عهد ملكها صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف، ملك المملكة المغربية الشريفة، من منشورات دار النشر للآداب، بيروت، 1957م³، وهو كتاب تعرفت عليه أول مرة من خلال هذا الجرد البيبليوغرافي، وقد دفعني فضولي العلمي إلى البحث عن نسخة منه فوقفت عليه، ووجدته كتابا نفيسا ونادرا، يستحق إعادة الطبع والنشر، بما تضمنه من إفادات حول جلالة الملك محمد الخامس، وحول نضالاته السياسية، ومواجهته للمستعمر الغاشم، ثم ما سببته من جهود في السنة الأولى من الاستقلال من أجل وضع لبنات المغرب المستقل وتجديد بنياته، ويتضمن الكتاب أيضا مجموعة من الصور التاريخية القيمة.

- ثالثا: منهج إحصائي في مضامين الكتاب

قسم المؤلف الكتاب إلى قسمين كبيرين، قسم يشتمل على المراجع باللغة العربية، وقسم يشتمل على ما كتب باللغات الأجنبية، ويحتوي القسمان على ثمانمائة وستة (806) عنوانا، منها 531 في القسم العربي، في حين بلغ عدد العناوين في قسم اللغات الأجنبية 245 عنوانا، وقد حاولنا وضعها في جدول توضيحي، وهو كما يلي:

1- طبع هذا الكتاب في المطبعة الأهلية، الرباط، 1346هـ / 1927م.

2- هو الأديب الكاتب المؤلف الشهير صاحب «دار النشر للآداب» الشهيرة ببيروت لبنان، له مراسلات مع مجلة دعوة الحق نشرت إحداها مع جوابها بالعدد 13 من المجلة نفسها، السنة الثانية 1958م.

3- عبد الحق المريني، بيبليوغرافيا مفصلة، ص. 22.

بن يوسف سلطان مراکش»، والذي تم طبعه 1956م.¹

وهناك أيضا ضمن هذا الدليل مجموعة من الكتب التي صدرت بمبادرة من الهيئات والجماعات، مع سلسلة من الدراسات بأقلام جماعة من العلماء عن الملك محمد الخامس باعتباره كان خير سند للعلم ورواده، في فترة حاولت فيها سلطات الحماية تقزيم دور العلم الشرعي وضرب مؤسساته والتشكيك في نجاعته.

وفضلا عما ذكر سيجد القارئ في الكتاب سلسلة من الدراسات والبحوث التي صدرت عن ندوات ولقاءات علمية نظمها جهات مختلفة تعنى بالتاريخ والثقافة والفن، وهكذا تضمن هذا الجرد مؤلفات ونشرات صادرة عن مؤسسات عمومية وجمعيات تنتمي إلى المجتمع المدني.

وعلاوة على ذلك فإن مؤرخ المملكة لم يكتف في هذا الدليل بإثبات الكتب والمؤلفات المباشرة المتعلقة بشخصية جلالة الملك محمد الخامس فقط، بل عمل على إدراج مؤلفات وأبحاث تعالج قضايا وجوانب ذات الصلة بعصره.

وغير خاف على من يمارس البحث التاريخي الصعوبات التي تعترض طريق الباحث الذي يقتحم مجال التتقيب عما ألف عن شخصية من حجم محمد الخامس، فقد كتب حول شخصه وحول عصره كثير من الكتابات في مختلف المجالات، مثل: المؤلفات المفردة في سيرته، وأخرى في أحداث عصره، وفي تنقلاته وفي لقاءاته ورحلاته، وفي كلماته وخطبه، وفي بناءاته وتدشيناته، وفي ترأسه للمناسبات الدينية والوطنية، وما قيل في ذلك من قصائد شعرية ومقالات نثرية، مثل: أشعار في مدحه وفي عيد عرشه المشهورة بالعرشيات، ومقالات مقتضبة وأخرى مفصلة في ثورة الملك والشعب وما خلفته من ردود فعل منذ نفي أب الأمة في 20 غشت عام 1953م.

أما المجال الزمني لطبع ونشر هذه المؤلفات فيمتد من تاريخ بيعة السلطان محمد بن يوسف إلى السنة التي صدر فيها الكتاب وهي 2014م، مما يدل على حرص المؤلف على تحيين معلوماته، حيث نجد أول كتاب ورد ضمن قائمة الببليوغرافيا المفصلة، يعود تاريخه إلى سنة 1927م، وهو كتاب عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي المعنون ب: «التاج فيمن

1- عبد الحق المريني، ببليوغرافيا مفصلة، ص. 26.

في هذا الكتاب، ذكرنا الاسم الكامل للمؤلف، والعنوان الكامل للكتاب، ثم الناشر، والمطبعة، ومكان الطبع، وسنة الطبع، ويذكر في بعض الأحيان معلومات إضافية تساعد الباحث، مثل ذكره ترجمة الكتاب إن كان مترجما.

- ثانيا: مضامين عامة وأخرى خاصة في الكتاب

استطاع الدكتور عبد الحق الميرني استقصاء جل ما كتب حول الملك الراحل محمد الخامس، من تاريخ بيعته سنة 1927م إلى سنة 1961م، ومعلوم أن الكتابات التي تناولت شخصيته وأحداث عصره بالدراسة والتحليل تمثل اجتهادات وتوجهات مختلف المهتمين بتاريخ المغرب المعاصر، وتعكس تأويلات وآراء يتجلى من خلالها الحس السياسي المرهف وبعد النظر الثاقب لهذا العاهل الذي وفق في قيادة السفينة المغربية وسط الأمواج العاتية للهيمنة الاستعمارية قبل سنة 1956م من جهة، كما تبرز المجهودات الحميدة التي بذلها بعد عودته المظفرة من المنفى، وجهاده الأكبر من أجل إرساء قواعد وأسس المغرب المستقل من جهة ثانية.

ويعتبر اهتمام رجال السياسة والباحثين في تاريخ المغرب بجلالة الملك محمد الخامس دليلا قاطعا على قوة شخصيته، كما تدل على زخم الأحداث في هذه المرحلة التي واجه فيها هذا الملك البطل بصبر كبير، مع ثبات منقطع النظير، دهاء الحماية وطواير الاستعمار، ويكفي أن نذكر فقط بأن عدد المقيمين العامين الذين تداولوا على السلطة من بيعته إلى الاستقلال بلغ عددهم أربعة عشرة مقيما عاما، من ثاني مقيم عام وهو الجنرال غورو G. Gouraud إلى آخر مقيم عام وهو الجنرال أندري لوي دبوا A. L. Dubois، وكل واحد منهم جاء بدهائه ومكره وحماسه لمواجهة ملك واحد يزود عن وطنه وعرشه.

وسيلاحظ الباحث المتفحص لكتاب «ببليوغرافيا مفصلة» نوعا من الإجماع في ما ألف حول الملك محمد الخامس بأقلام مغربية وأجنبية، باعتباره شخصية فذة، وملك مفدى، وهو الأمر الذي يستتج منه الإجماع عليه والثناء على ما قدمه من أعمال جليلة وعظيمة لبلده وشعبه المتقاني في حبه، المتشبت ببيعته الشرعية. كما يقف الباحث المهتم في هذا الكتاب على مؤلفات دوت بأقلام كبار الكتاب الشرقيين أمثال طه حسين، وسعيد أمين، وصلاح العقاد، وغيرهم كثير ممن عاصروا المرحلة، مما يدل دلالة هامة على تجاوب الأدب العربي في المشرق مع نضال الملك محمد الخامس والشعب المغربي، ومن ذلك الكتاب الذي أشرف على جمعه محمد عبد الله السمان ومحمد الزيزي تحت عنوان: «السلطان الثائر سيدي محمد

السباقين إلى اختراقها، مثل: أدب الجهاد في تاريخ المغرب¹، والجيش المغربي²، و قضايا المرأة المغربية³، ودراسات في تاريخ المغرب المعاصر⁴ وفي الشاي والمجتمع⁵، وغيرها من المواضيع التي أبان فيها عن قدرة فائقة في الجمع والتصنيف، وفي الإعداد والتأليف. وفي سياق هذا المسار التراكمي المعرفي يتوج مجهوده العلمي بإعداد كتاب: «ببليوغرافيا مفصلة حول محمد الخامس (1927 - 1961)»، وهو كتاب نفيس في بابه، متفرد في مجاله، لكونه يسمح بالاطلاع على رصيد هام من الكتب والمؤلفات، والمجاميع والمقالات، والتمثيلات والأفلام والمسرحيات، المرتبطة بجلالة الملك محمد الخامس، وهي كما سيلاحظ القارئ كثيرة ومتعددة بالنظر إلى زخم ما ألف حول هذا الملك الرائد، وهو ما قرره المؤلف بقوله: «لئن حظي معظم سلاطين الدولة العلوية، الذين تبوأوا العرش المغربي منذ ما يزيد عن ثلاثة قرون ونصف بتأليف شتى حررها عدد من المؤرخين البارزين، فإن جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، قد نال نضاله وعصره القسط الأكبر من المؤلفات والبحوث والأطاريح الجامعية، والمحاضرات والمقالات والخطب حررتها يراعة عدد ملفت للنظر من مؤرخين وأدباء ورجالات الدولة، ومختصون في مختلف فنون المعرفة، وسياسيون مغاربة، وأجانب على مختلف مشاربهم ومذاهبهم»⁶، وقد خلف كل هؤلاء رصيذا هائلا، استطاع الدكتور عبد الحق الميريني جمعه

1- عبد الحق الميريني، شعر الجهاد في الأدب المغربي من عهد الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي حتى عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام العلوي، رسالة لنيل شهادة دكتوراة الدولة من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1417هـ / 1996م. (جزآن).

2- عبد الحق الميريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، الطبعة السادسة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011م.

3- عبد الحق الميريني، دليل المرأة المغربية، في ثلاثة أجزاء طبع عام 1993، 2000، و 2007م. وكتاب ثريا الشاوي أول طيارة بالمغرب الكبير، طبعتان، 1956م، 2009م.

4- عبد الحق الميريني، مدخل إلى التاريخ المغرب الحديث، منشورات وزارة الثقافة الرباط، 1996م، وكتاب محطات في تاريخ المغرب المعاصر (1894 - 1956م)، منشورات الزمن، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2012م.

5- عبد الحق الميريني، الشاي في الأدب المغربي، منشورات سلسلة شراع، رقم 7، 1999م، وكتاب قضايا ووجوه نظرات وتأملات، مطبعة دار النشر المغربية، 2007م.

6- عبد الحق الميريني، ببليوغرافيا مفصلة حول محمد الخامس، (1927 - 1961م)، منشورات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1435هـ - 2014م. ص. 6.

ولقد تناول الباحثون في هذا الميدان في كتاباتهم أنواعا من التصنيف البيبليوغرافي همت التاريخ والأدب والسياسة والمسرح والطفل والدراسات الأدبية الجامعية¹، فمنهم من جمع بيبليوغرافيا حول مجموعة من المدن المغربية مثل فاس ومراكش أوجهة من الجهات²، أو شخصية من الشخصيات³، ومنهم من ألف بيبليوغرافيا عن معركة من المعارك، مثل معركة وادي المخازن⁴، أما الذين اهتموا بما دون حول سلاطين وملوك المغرب، فلم يسبق أن وقفت على تأليف مخصص لملك بعينه، كما فعل الدكتور عبد الحق المريني حول الملك محمد الخامس، لكن هناك كتابات حول مآثر مجموعة من الملوك وأعمالهم العلمية، وهو ما نجده عند العلامة لحسن وجاج، عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وعند الدكتور عبد المجيد خيالي حول السيرة البيبليوغرافية للسلطان مولاي عبد الحفيظ⁵.

سنحاول في هذا الموضوع الذي نساهم فيه نذكر مجموعة من عناوين المؤلفات المتعلقة بمناسبتين وطنيتين هما ذكرى عيد العرش المجيد وثورة الملك والشعب الواردة في كتاب بيبليوغرافية مفصلة، ممهدين لذلك بذكر لمحة عن المؤلف، والإشارة إلى مضامين عامة وأخرى خاصة في الكتاب، مع اعتماد منهج إحصائي في مضامينه، وفي المحور الأخير سنتحدث عن كتابات حول عيد العرش وثورة الملك والشعب.

- أولا: مؤلف الكتاب د. عبد الحق المريني

من المعلوم أن الأستاذ عبد الحق المريني معروف بشجاعته وإقدامه على تناول الموضوعات الصعبة والشائكة، فقد سبق له إنجاز مجموعة من البحوث في مجالات اعتبر من

1- سعيد علوش، بيبليوغرافيا الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة شركة بابل، الرباط، 1990م.

2- سعيد واحيحي، تافيلات الكبرى: مقارنة بيبليوغرافية، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط 2011م.

3- عباس الجراري، بيبليوغرافيا اليوسي، مجلة المناهل العدد 15، 1979م.

4- قائمة بيبليوغرافية عن معركة وادي المخازن، منشورات وزارة الثقافة، الرباط 1986م.

5- عبد المجيد خيالي، السيرة البيبليوغرافية للمولى عبد الحفيظ بن الحسن العلوي، سلطان المغرب (1907 - 1912م)،

تقديم ومراجعة د. أحمد شوقي بنين، مطبعة أبي رقراق، الرباط 2014م.

مؤلفات حول ذكرى عيد العرش وثورة الملك والشعب من خلال كتاب يبليوغرافيا مفصلة حول محمد الخامس (1927-1961م) لمؤرخ المملكة الدكتور عبد الحق المريني

د. أحمد إيشرخان

باحث - الرباط

نادرا ما ينتبه رواد البحث العلمي إلى أهمية التأليف في مجال الببليوغرافيا، لأن انشغالاتهم في ميادين البحوث الموضوعاتية تحول دون التفكير في الخوض في هذا الميدان، وحتى إن فكروا فيه فإنهم يعتبرونه عملا شاقا ومضنيا، وحجتهم البالغة في ذلك هي كون الوقت لا يسمح بإنجاز عمل من هذا النوع، لأن العمل الببليوغرافي يحتاج إلى تتبع كل ما ألف من الكتب، والكتابة حول هذه الكتب¹، لذلك فإن قلة من الباحثين المغاربة، هم من اشتهروا وذاع صيتهم في التصنيف في هذا الميدان، كالفقيه محمد بن عبد الهادي المنوني²، ومحمد حجي³ وعبد العزيز بنعبد الله⁴، وغيرهم قليل، «فلا يزال علم الببليوغرافيا وكذا الاهتمام به يحبو في بلادنا، هذا إذا تمت ولادته»⁵.

1- هناك عدة تعاريف لمعاني الببليوغرافيا وهو مصطلح يوناني وقد كانت تعني كتابة الكتب، أي النسخة، وقد تطور مدلول الكلمة في القرن التاسع عشر، فانتقل من كتابة الكتب إلى الكتابة عن الكتب. وقد تحدث عن الببليوغرافيا ومعناها وأنواعها وتاريخها، والتأليف فيها، د. أحمد شوقي بنين في بحوث مفصلة ضمن كتابه، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، الطبعة الثانية، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2004م، صص. 225، 267.

2- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الجزء الأول 1983م.

3- محمد حجي، فهرس الخزانة العلمية الصبغية بسلا، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت 1985م.

4- عبد العزيز بنعبد الله، مجموع المعلمات حول المغرب، ثم معلمة التصوف الإسلامي، مطبعة المعاريف الجديدة، الرباط، 2001م.

5- أحمد شوقي بنين، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، الطبعة الأولى، 1993م، ص. 27.

بالاستقلال وانتهاء عهد الحجر والحماية، واستمر الاحتفال بعيد العرش بعد الاستقلال بنفس الحماس الوطني.

إن التعديل الوحيد الذي أدخل على هذه الاحتفالات هو حذف حفلات الهدية، وتعويضها بحفلة الولاء، فأصبح عيد العرش مناسبة لتجديد البيعة بين العرش والشعب، حيث يحضر كبار رجال الدولة مدنيين وعسكريين ومنتخبين عن جميع جهات المملكة وممثلو الشعب المغربي إلى ساحة المشور بأحد القصور الملكية التي يتم فيها الاحتفال، من أجل تقديم فروض الطاعة والولاء وتجديد العهد للعرش المغربي، والتأكيد على التمسك بـ: «أهداب العرش».

بعد وفاة الملك سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس)، واعتلاء نجله الحسن الثاني عرش المغرب يوم 3 مارس سنة 1961م، أصبح هذا التاريخ أي 3 مارس هو التاريخ السنوي الجديد للاحتفال بعيد العرش، بينما سار يوم 18 نونبر عيداً للاستقلال إلى الآن.

وبوفاة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه في 29 يوليوز 1999م، أصبح يُحتفل بعيد العرش في عهد خلفه الملك محمد السادس نصره الله، يوم 30 يوليوز من كل عام.

رجال الحماية وكبار رجال المخزن. أما الضيوف الفرنسيون والمغاربة فينتشرون في أبهاء الرواق الفسيح الذي مدت فيه موائد الحلويات المتنوعة وأكواب المبردات والشاي، فيتناول الجميع ما لذ وطاب، مع الاستماع إلى نغمات مسلية يرددوها تارة الجوق الملكي الخاص وطوراً آخر موسيقى الحرس السلطاني؛ ولما تأذن الشمس بالغروب يودع المقيم العام وحاشيته السلطان، ثم يأخذ الضيوف ينصرفون إلى حال سبيلهم بين مظاهر الابتهاج والحبور هاتفين بحياة السلطان وداعين له بطول العمر.

❖ خاتمة:

بعد أن تتبعنا كيفية ظهور عيد العرش كأول عيد وطني للمغرب الحديث، وتطور وترسيخ عادات وتقاليد الاحتفالات بهذه المناسبة المفعمة بالروح الوطنية والتعبير عن الوشائج والروابط المتينة بين العرش والشعب، نلفت الانتباه إلى أنه مع توالي السنوات، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت الاحتفالات الشعبية بعيد العرش فرصة كبرى لرجال الحركة الوطنية بزعامة السلطان محمد بن يوسف، لإعلان السيادة المغربية والتعبير عن حق المغرب والمغاربة في الحرية والاستقلال؛ فغيرت أسلوب عملها النضالي الذي كان مقتصرًا من قبل على المطالبة بالإصلاحات في ظل الحماية إلى المطالبة بالاستقلال ابتداء من 11 يناير 1944م؛ خاصة وأن الظروف الدولية الجديدة أصبحت ملائمة لإسماع صوت المغرب بسبب انتشار الأفكار التحررية في العالم. وقد بلغت هذه المطالب ذروتها في مطلع خمسينيات القرن الماضي، حيث أصبح الاحتفال بعيد العرش حينها مجالا لمواجهة مفتوحة قوية مع المستعمر.

لقد كانت تلك الاحتفالات الشعبية والرسمية بعيد العرش في المغرب، فرصة لتعزيز اصطفااف العرش مع الشعب في ما أصبح يحمل صفة «ثورة الملك والشعب»، وبهذا المعنى كان هذا العيد له معنى العيد الوطني للمغاربة.

بيد أن الاحتفال بعيد العرش سيتوقف، باستثناء شمال المغرب، حين تم تنصيب محمد بن عرفة سلطانا على البلاد، ونفي السلطان سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس) وعائلته يوم 20 غشت 1953م، إلى جزيرة كورسيكا ومن ثم إلى مدغشقر. لكن عقب عودته من المنفى يوم 16 نونبر 1955م استؤنف الاحتفال بعيد العرش في نفس التاريخ، أي يوم 18 نونبر، فألقى سيدي محمد بن يوسف أول خطاب للعرش بهذه المناسبة مبشرا شعبه

الملكية ويكتمل نظامهم ويأخذون مقاعدهم، يدخل عليهم السلطان فيقفون إجلالاً لجلالته، فيتقدم ولي العهد الأمير مولاي الحسن (الملك الحسن الثاني رحمه الله) فيلقي خطاباً بالمناسبة¹. وإثر انتهاء سموه يقوم السلطان فيلقي خطاب العرش، وهذا نص أول خطاب للعرش؛ حيث كانت سنة 1940م بداية هذه العادة التي استمرت إلى الآن:

«يسرني أن أراكم اليوم مجتمعين حول عرش سلطانكم الذي يقدر تعلقكم بأذياله وإخلاصكم لسدته الشريفة، كما تعلمون أنتم ما نكنه لرعايانا من المحبة المتفانية، وتصميمنا على أن نبذل النفس والنفيس في سبيل رقي البلاد ومصلحة العباد، ساهرين على حفظ أركان ديننا الزكي الطاهر، ومراعاة تقاليدنا القومية العتيقة التي يمتاز بها المغرب، متمسكين في ذلك كله بحبل الله المتين وسلوك صراطه المستقيم؛ وتيقنوا أنه لا يدخل علينا السرور مثل تحقيق سعادتكم ومشاهدة رقيكم والحصول على أسباب رفاهيتكم؛ فلنخلص العمل لله، ولنمحص النصيحة لدينه القويم، مجتمعين متآزرين لإعلاء كلمته والتمسك بمحجته، متيقنين أنه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً (إن تتصروا الله ينصركم)»². وبعد انتهاء الخطاب السلطاني تتقدم تلك الوفود للسلام على السلطان وتقبيل راحته وتهنئته بعيد العرش؛ وبانتهاء هذه التشريفات تنتهي بذلك حفلات يوم العيد الصباحية.

وبعد صلاة العصر من يوم عيد العرش تتدفق من جديد على الروض الملكي بالأعتاب الشريفة وفود المعيددين الآتية من مختلف مدن المغرب لحضور حفلة الشاي الكبرى التي اعتاد السلطان إقامتها في مثل هذا اليوم من كل سنة. وحوالي الساعة الرابعة يصل مرة أخرى المقيم العام محفوفاً بكبار رجال الحماية وقناصل الدول الأجنبية، فيؤدي له الحرس الشريف مراسيم التحية، وبعد تحية العلم على نغمات النشيد الملكي والفرنسي يدخل القصر العامر وسط صفوف الهيئة المخزنية والكتاب والشرفاء وأعيان العدوتين ومختلف الوفود القادمة من فاس ومراكش والدار البيضاء وغيرها للمشاركة في حفلات السلطان. فيلتقاه السلطان ببشر وترحاب في القبة الكبرى، فيجلسان يتبادلان أطراف الحديث، ونفس الشيء يقع بين كبار

1 - بدأ الأمير مولاي الحسن يلقي خطبه العرشية بين يدي والده السلطان محمد بن يوسف وأمام وفود المهنيين سنة 1942م. حيث كان يلقي خطابه بعد خطاب العرش. إلا أنه انطلاقاً من سنة 1944م أصبح خطاب ولي العهد قبل خطاب السلطان.

2 - مجموعة خطب، «من سلطان المغرب إلى شعبه الوفي» - نص خطب ألقاها جلالة أمير المؤمنين سيدي محمد بن يوسف أيده الله ونصره 1940 - 1944م، المطبعة المحمدية، الرباط. د.ت.

وقع تغيير أوقات الاحتفال، إذ حدثت حفلة الاستقبال في الساعة الرابعة بعد الزوال، وحفلة الشاي في الساعة الثامنة والنصف مساءً.

وانطلاقاً من سنة 1939م انتظمت احتفالات عيد العرش بالقصر السلطاني بالرباط، فأصبح من سنن وتقاليد هذا العيد الوطني الجديد أن يستقبل السلطان حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحاً كبار رجال المخزن والحماية وقناصل الدول الأجنبية¹، بالإضافة إلى شخصيات بارزة مغربية وأجنبية من الذين يتوافدون على القصر الملكي لتقديم مراسيم التهاني والتبريك بالعيد الميمون للسلطان؛ ثم يتجدد مساءً حضور هؤلاء المهنيين في حفلة الشاي التي يقيمها السلطان بقصره العامر.

وقد حرص المقيم العام الجنرال نوغيس (général Maurice Noguès) في هذا المقام أن يلقي خطاباً بين يدي السلطان، ثم يرد السلطان بعد ذلك بخطاب مماثل. وكان يُذاع هذان الخطابان على أمواج الإذاعة مع ترجمتهما؛ وبانتهاء مقيمة نوغيس انتهت عادة تبادل الخطب بين المقيم العام والسلطان، واقتصر الأمر بعد ذلك على محادثة ودية بينهما.

وعقب المحادثة يودع المقيم العام وحاشيته السلطان، ويفارق موكبه القصر الملكي مودعاً بالنشيد السلطاني ونشيد لامارسييز²؛ وبمجرد خروج الموكب المقيمي من ردهة العرش تتم المناداة على الشرفاء وتلاميذ المعهد المولوي ووفود قدماء تلاميذ المدارس وطلبة المعاهد مع أساتذتهم³، وكُتاب المخزن الشريف ووفود أعيان الرباط وسلا ومختلف الأعيان القادمين من المدن المغربية لمشاركة السلطان في حفلات عيد العرش⁴. ولما يدخل الجميع إلى الردهة

1 - بمناسبة عيد العرش لسنة 1942م استقبل السلطان الجنرال باتن القائد الأعلى للقوات الأمريكية بالمغرب مع حاشيته المتكونة من كبار الضباط الأمريكيين، فأعرب للسلطان عن الفرح الذي خامره من حضور تلك الحفلة وقال: «باسم رئيس الولايات المتحدة يعرب لسدتكم ممثله عما يتمناه من رفاهية وسعادة لمقامكم العالي ولشعبكم: وإن حضوري بجانب الجنرال نوغيس لأجل البرهان على روابط الصداقة التي تجمع بين الأمتين الفرنسية والأمريكية...» (انظر: جريدة السعادة ليوم الخميس 19.11.1942م).

2 - أثناء حفلة الاستقبال هذه، وقبل انصراف المقيم العام كان السلطان يقوم بتوشيح صدور عدد من الشخصيات الفرنسية والمغربية (راجع: جريدة السعادة ليوم الأربعاء 20.11.1935م، ويوم السبت 12.12.1936م، ويوم الثلاثاء 22.11.1938م والجمعة 19.11.1943م).

3 - ابتداء من سنة 1942م أصبح من المؤلف حضور الشباب الوطني المتمدرس والمتثقف في حفلة عيد العرش السلطانية.

4 - تشكل سنة 1944م بداية لقدوم الوفود من المدن المغربية الأخرى لمشاركة السلطان في حفلات عيد العرش بعد أن كانت من قبل مقتصرة على المدينة التي يحتفل فيها السلطان.

بوسام جوقة الشرف، من رتبة فارس، الدرجة الخامسة، وامتدت هذه الحفلة إلى الساعة السادسة مساءً¹.

وكانت احتفالات السلطان بعيد العرش في تلك السنة بمدينة الرباط. ففي صباح يوم العيد، أي يوم الإثنين 18 نونبر توجه إلى القصر السلطاني رجال السلطة المخزنية بالرباط وسلا والأعيان والشرفاء والعلماء والطائفة اليهودية بالعدوتين، فتشرف الجميع بمقابلة السلطان، وأعربوا له عن عبارات تهنيتهم بهذا العيد السعيد. كما أمر السلطان أيضا بتوزيع الكسوة والطعام والصدقات على الفقراء والمساكين الذين جاؤوا لساحة المشور. وفي الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال سُمعت طلاقات المدافع إيذاناً بحلول وقت ارتقاء السلطان محمد بن يوسف على عرش أجداده. وفي الساعة الرابعة مساءً يمم القصر السلطاني جمهور غفير من الوجهاء والأعيان، مغاربة وأوربيين. كما أقبل المقيم العام بونصو في موكبه الرسمي مرفوقاً بحاشيته المدنية والعسكرية، فاستقبله السلطان بقاعة العرش وسط وزرائه وكبار رجال المخزن، فأعرب بونصو عن تهانیه وتهاني الحكومة الفرنسية بعيد العرش، فأجابه السلطان معرباً عن تشكراته. ثم وشح السلطان صدور عدد من رجال الحماية والمخزن بأوسمة علوية رفيعة، وفي أعقاب ذلك انتقل الجميع إلى بهو آخر حيث الحلويات والمشروبات. وقد استمرت هذه الحفلة إلى ما بعد الساعة الخامسة مساءً فودع المقيم العام السلطان وانفض هذا الجمع السعيد².

أما الاحتفال الثالث للسلطان سيدي محمد بن يوسف بعيد العرش فتم بقصره العامر بالدار البيضاء، وكان مماثلاً لاحتفالات الرباط، إذ حضرت الهيئة المخزنية بأجمعها ورجال السلطة المحلية بالبيضاء وأعيانها مغاربة وأوربيين وكثير من الوجهاء وغيرهم، بالإضافة إلى رجال الحماية بطبيعة الحال وقناصل الدول الأجنبية³.

هذا وقد صادف عيد العرش لسنتي 1937م و1938م أيام شهر رمضان المبارك، فجرت الاحتفالات الشعبية والرسمية على أحسن ما يرام، وتمت الاحتفالات السلطانية بالرباط. وقد

وتشجيعاً لهم على خدماتهم إزاء الحماية والمخزن الشريف: كما كانت تقام حفلة أخرى مماثلة بمناسبة رأس السنة الميلادية: ثم انضافت حفلة عيد العرش لحفلات الأعياد المذكورة.

1 - جريدة السعادة ليوم الأربعاء 20. 11. 1935م.

2 - جريدة السعادة ليوم الأربعاء 20. 11. 1935م.

3 - جريدة السعادة ليوم الأربعاء 2 والسبت 12. 12. 1936م.

وعلى الساعة الرابعة مساءً أقام السلطان حفلة شاي فاخرة حضرها قناصل الدول، وطائفة من رجال الحماية والصحفيين والقواد والقضاة والعلماء وغيرهم. وفي أثناء هذه الحفلة الشيقة قام الجنرال كاترو وألقى كلمة بالمناسبة هنأ فيها السلطان بعيده السعيد؛ واسترسلت الحفلة إلى مغيب الشمس. وقد وزّع السلطان في هذا العيد على الفقراء والمساكين عدداً كبيراً من الملابس ومبالغ مالية مهمة¹.

ثانياً - تطور الاحتفالات بعيد العرش

هكذا أصبح للمغرب عيد وطني يُحتفل به كل عام؛ وقد تطورت الاحتفالات بعيد العرش من سنة لأخرى، أي من حسن إلى أحسن حتى أصبح من الأعياد المهمة في البلاد، له عاداته وتقاليده المرعية. وإذا كان المغاربة - مخزنا ورعية - قد وجدوا في عيد العرش فرصة ذهبية للتعبير عن كياناتهم ووطنيتهم وإبراز تعلقهم بسلطانهم؛ فإن إدارة الحماية حرصت كل الحرص على مشاركة الشعب المغربي ومخزنه احتفالات هذا العيد، تماماً كما تفعل في غيره من الأعياد الشرعية الأخرى، وذلك من أجل احتواء وامتصاص عنفوان الوطنية المغربية المتأججة²، وإحكام السيطرة على الوضع الجديد، والحفاظ على زمام الأمور بيدها. أما السلطان فقد احتفى بهذا العيد أيما احتفاء، لأنه من خلال احتفالات عيد العرش أدرك مدى تعلق رعيته بالعرش، وتأكد أيضاً من قوة محبة شعبه لجلالته.

ففي السنة الموالية أي سنة 1935م، أبى السفير المقيم العام بونصو (Ponsot) ألا يدع فرصة عيد العرش تمر دون أن يشاطر السلطان والشعب المغربي في أفراحه بمناسبة هذه الذكرى، فأقام حفلة شاي فاخرة بدار فرنسا ابتداء من الساعة الرابعة والنصف من يوم الأحد 17 نونبر على شرف أعيان العدوتين الرباط وسلا ورجال المخزن الشريف. وقد استقبلهم محفوفاً بكبار رجال الحماية مدنيين وعسكريين³، فأنعم على عدد من الشخصيات المغربية

1 - جريدة السعادة ليوم الخميس 22.11.1934م.

2 - للتذكير فإن هذه السنة (1934م) تميزت بأحداث فاس، ويتقدم مطالب الشعب المغربي.

3 - من العادات التي سنّها ليوطي - أول مقيم عام بالمغرب - هي أن يقيم المقيم العام بحضور رجال الحماية مدنيين وعسكريين بمقر الإقامة العامة حفلة شاي فاخرة على شرف رجال المخزن الشريف من وزراء وباشوات وقواد وعيون أعيان وفود الآفاقيين وغيرهم مساء يوم ثاني أيام الأعياد الدينية (عيد الفطر، عيد الأضحى وعيد المولد) وذلك بعد تقديمهم تهاني العيد للسلطان. وفي تلك المناسبة قد يوشح المقيم العام صدور عدد من المدعوين المغاربة بأوسمة فرنسية مختلفة تقديراً

1 - الاحتفالات الشعبية بعيد العرش:

كان صدور هذا القرار الوزيري لبيان تنظيم حفلات عيد العرش باتفاق تام - حسب جريدة السعادة - بين السلطان وحكومة الحماية¹، ترسيماً لهذه الاحتفالات بعد ترسيخ الفكرة.

وقد فاقت الاحتفالات الشعبية لهذه السنة نظيرتها في سنة 1933م، لأنها كانت عامة؛ إذ أصبح الناس يوم عيد العرش [الأحد 18 نونبر 1934م] في كامل مدن وقرى مغرب الحماية الفرنسية وطنجة الدولية - يرفلون في حلل الأعياد. ووزعت الصدقات على الفقراء والمساكين من لدن المخزن، كما كان كل أرباب الحرف والمهن على اختلاف طبقاتهم في أفراح ومسرات ينصتون للأجواق الشعبية أو الأندلسية. وقد نزل في كل مدينة باشاها ومراقبها المدني في موكب حفيل لزيارة المحتفلين مشاركة لهم في حفلاتهم وتهنئة لهم بعيد جلوس ملكهم على عرشه. وفي الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال قصفت المدافع في البلاد معلنة عن الساعة التي انتصب فيها السلطان على العرش².

2 - الاحتفالات الرسمية بعيد العرش:

أما الاحتفالات الرسمية بعيد العرش فقد تمت لأول مرة سنة 1934م، وصادف ذلك وجود السلطان سيدي محمد بن يوسف بمراكش في رحلته الخريفية³، لذلك كانت ليلة العيد بهذه المدينة من أعظم الليالي بما أقيم فيها من الحفلات الرائقة. وصباح يوم العيد استقبل السلطان بقصره العامر الوزراء والكتاب والرؤساء وباشا مراكش. كما استقبل أيضاً حاكم الناحية الجنرال كاترو محفوزاً بحاشيته رفقة المستشار المخزني جيراندان. فتقدم الجميع بين يدي جلالته رافعين عبارات التهاني بعيد الجلوس على العرش. وبعد انصراف هؤلاء تقدم لقاعة العرش كذلك القضاة والعلماء والشرفاء وقواد الناحية وأعضاء المجلس البلدي فقدم الكل للسلطان خالص التهاني.

1 - جريدة السعادة ليوم الثلاثاء 6.11.1934م.

2 - جريدة السعادة ليوم الثلاثاء 20.11.1934م.

3 - محمد الناصري، "رحلة محمد الخامس إلى طنجة 9 - 13 أبريل 1947م"، الرباط، 2007، ص.43.

أولاً: تزيين المدن

ثانياً: الطرب في الأسواق

ثالثاً: تفريق الثياب والطعام على يد الجمعيات الخيرية

رابعاً: يوم عطلة لسائر موظفي المخزن الشريف

الفصل الثالث

أما العاصمة التي يحل بها الجنب الشريف فإن بعض أعضاء اللجنة البلدية أو الموظفين أو الأعيان يتوجه تحت رئاسة الباشا للقصر العالي لتقديم مراسم التهاني للجنب العالي، وذلك بالنيابة عن أهالي المدينة.

الفصل الرابع

لما كان الغرض في تمام المحافظة على العوائد، ولئلا يحدث بسبب هذا العيد المؤسس ما يمس الحياة التجارية أو الإدارية في المملكة الشريفة تقرر بأن أفراس العيد لا تتجاوز يومه ولا تتعداه إلى غيره كما أنه لا تكون خطب ولا أوفاد الناس والسلام.

وحرر بالرباط في 16 رجب 1353هـ، الموافق 26 أكتوبر 1934م.

محمد المقرئ

اطلع عليه وأذن بنشره

الرباط في 31 أكتوبر سنة 1934م

القوميسير المقيم العام

هنري بونسو»

على هذه البرقيات الأثر البالغ في نفوس المحتفلين، وحافظاً مهماً على ترسيخ عادة الاحتفال بعيد العرش¹. كما اهتمت الصحافة بهذه الاحتفالات وتحركت عدة أقلام لإبراز أهمية هذا العيد الوطني الجديد وتحبيذ الاحتفال به، وهو ما تحقق في السنة الموالية، حيث تم الإقرار الرسمي لعيد العرش، وصدر قرار بذلك بالجريدة الرسمية في عدد 3 نونبر، نص على أن يكون الاحتفال يوم 18 نونبر من كل عام؛ أي اليوم الذي اعتلى فيه السلطان سيدي محمد بن يوسف (الملك الوطني محمد الخامس) العرش بعد وفاة والده مولاي يوسف، سنة 1927م. وهذا نص القرار:

«الحمد لله وحده

قرار وزيري

يؤسس بموجبه عيد التذكار

يعلم هذا الكتاب بوجود سيدنا أيد الله أن جناب المخزن الشريف أمر بما يأتي:

الفصل الأول:

يؤسس اليوم الثامن عشر من شهر نوفمبر عيداً لتذكار صعود جلالة السلطان على عرش أسلافه المقدسين ابتداءً من هذه السنة فصاعداً.

الفصل الثاني

يقوم باشا كل مدينة من مدن الإيالة الشريفة بتتظيم الأفراح الجارية في عهد السلاطين المقدسين بمناسبة فرح بفتح أو حادث سار يحدث بذاتهم المنيفة أو مملكتهم الشريفة وتشمل على:

1 - مجلة "المغرب"، عدد: 14، نونبر 1933م: جريدة السعادة للأيام: الخميس 23، 11 والسبت 25، 11 والثلاثاء 5، 12. 1933م: أبو بكر القادري، "مذكراتي.."، ص. 160-163: أحمد معنيو، "ذكريات ومذكرات"، ص. 50-58 - الوزاني، "مذكرات..."، ص. 468-481: علال الفاسي، "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، ط.5، الدار البيضاء، 1992، ص.183.

على الصعيد الوطني¹.

وإذا كانت فكرة عيد العرش²، والدعوة إلى تطبيقها قد لاقت الاستحسان والقبول من الشعب المغربي؛ فإن ذلك شجع مجلة "المغرب" المذكورة على العودة للموضوع مرة أخرى في عددها الموالي، فطلعت بمقال آخر في أربع صفحات، وهو بعنوان "عيد الملك"، وذلك لتوضيح الغاية، والطريقة التي يجب أن يتم بها الاحتفال في هذا العيد، مع الإلحاح على المقيم العام والصدر الأعظم على تلبية الطلب بتنفيذ الاحتفال، ثم دعوة المغاربة الموسرين إلى تغليب المصلحة العامة على الخاصة والاهتمام بالضعفاء والفقراء والمعوزين في هذا العيد، وحث الأعيان المغاربة على تحمل المسؤولية للاحتفال بالعيد الجديد: «ولهذا ليقول المقال] فنرجو أن تُشكل من الآن لجنة من أعيان الأمة ووجهائها تقوم بشؤون هذا اليوم من مخابرة الدوائر الرسمية ووضع برنامج للحفلات، وإذاعته بين العموم واتخاذ كل ما يعنّ من الوسائل لإعطاء عيد الجلوس كل ما يستحقه من أبهة وجلال»³.

انطلاقاً مما سبق، يبدو أن الجو كان ملائماً والنفوس مهياً، إذ أينعت فكرة الاحتفال بعيد العرش في وقت وجيز على الصعيدين الرسمي والشعبي؛ بحيث ما إن حلت الذكرى السادسة لجلوس السلطان محمد بن يوسف على عرش أسلافه لتلك السنة، أي يوم 18 نونبر 1933م، حتى كانت إدارة الحماية قد أعطت إشارة الضوء الأخضر لتنفيذ فكرة الاحتفال بهذه الذكرى، طبقاً للأفكار السالفة الذكر بالمجلة المذكورة؛ وذلك على سبيل التجريب والاختبار ورصد ردود الفعل.

لقد فاق نجاح هذه الاحتفالات الشعبية كل التوقعات لكونها مرت على أحسن ما يرام، ومفعمة بالحماس الوطني، واختتمت برفع برقيات التهاني للسلطان. وكان لجواب السلطان

الأول تاريخ دجنبر 1933م. وبعد أن حكمت محكمة الاستئناف بالإفراج عن "عمل الشعب" أعادها الوزاني للصدور وأوقف جريدة "إرادة الشعب" التي أصدر منها 14 عدداً.

1 - محمد حسن الوزاني، "مذكرات حياة وجهاد" ج.3، بيروت، 1984م، ص. 468. يؤكد الوزاني أن صاحب فكرة عيد العرش هو محمد الصالح ميسة مدير ورئيس مجلة "المغرب"، حيث قال: «فإليه يرجع التفكير في هذه المبادرة»، (راجع: المرجع السابق، ص 468).

2 - عادل بنمنصر، "العرشيات في عهد محمد الخامس"، رسالة د.د.ع. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992م؛ ج.1 ص. 34- 64.

3 - مجلة "المغرب"، عدد: 12، شتبر 1933م، ص 2- 5.

الاحتفال به رسمياً إلى جانب الأعياد الدينية السالفة الذكر، وأصبح أيضاً من الأيام المشهودة.

أولاً - بداية الاحتفال بعيد العرش

ظهرت فكرة الاحتفال بعيد العرش في المغرب لأول مرة في شهر يوليوز سنة 1933م، في مقال نشر بمجلة "المغرب"، بعنوان: «حكومتنا والأعياد الوطنية». وهذه الفكرة هي عبارة عن اقتراح موجه إلى حكومة الحماية من أجل «أن تصدر قراراً باتخاذ يوم جلوس صاحب الجلالة على العرش المغربي عيداً وطنياً»¹. وقد عَقِبَتْ مجلة "المغرب" تَوَّأً على هذا الاقتراح في نفس العدد لِفَتِ النظر إلى أهمية الاقتراح المذكور، ملتزمة هي أيضاً من حكومة الحماية أن تتبنى هذه الفكرة. ومَهَّدَتْ لهذا الالتزام بالثناء على الدولة العلوية، والتتويه بالسلطان محمد بن يوسف، لتخلص إلى ما يلي: «ولأجل هذا فإننا نضم صوتنا إلى صوت الكاتب صاحب المقال راجين من الحكومة أن تتخذ يوم جلوس جلالته على العرش المغربي عيداً وطنياً يتاح فيه للأمة المغربية كل سنة - زيادة على الأعياد الشرعية - إظهار دوام تمسكها بعرش الأشراف العلويين وإبداء ما تحمله القلوب من عواطف الإخلاص والتفاني نحو ملكها المفدى دام عزه»². وقد راقَت هذه الفكرة الشباب المغربي المتتور، خاصة المتشبعين منهم بالأفكار الوطنية، فتبنتها جريدتهم "عمل الشعب" (l'action du peuple) التي قامت بالدعوة لهذه الفكرة³، «بل نفذتها

1 - مجلة "المغرب"، السنة: 2، عدد: 11، يوليوز 1933م، ص. 11- 12. وقع صاحب المقال مقالته باسم: (مغربي)، ويتفق أبو بكر القادري وأحمد معنيو أن محمد حصار هو صاحب المقال (راجع: ص. 160).

من كتاب "مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940م"، ج. 1، الدار البيضاء، 1993م، لأبي بكر القادري: وص. 50 من كتاب "ذكريات ومذكرات"، ج. 2، مطبعة سبارطيل، 1993م، لأحمد معنيو.

2 - رمز صاحب التعقيب إلى اسمه بحرف "م"، والمرجَّح أنه صاحب مجلة "المغرب" محمد الصالح ميسة، وهو من أصل جزائري. وقد ورد التعقيب في المرجع نفسه ص. 12.

3 - كانت جريدة "عمل الشعب" (l'action du peuple) أول جريدة تصدرها الحركة الوطنية المغربية باللغة الفرنسية في المنطقة الجنوبية الخاضعة للحماية الفرنسية. وكان يشرف على إدارتها ويحرر افتتاحيتها محمد بن الحسن الوزاني. وصدر عددها الأول في رابع غشت سنة 1933م، أي أن عمرها كان لا يتجاوز أربعة أشهر عندما أقيم لأول مرة مهرجان عيد العرش بدعوة من هذه الصحيفة. ولم تمض غيرُ أشهر على صدور جريدة "عمل الشعب" حتى اضطرَّ الوزاني للتوقف عن إصدارها طبقاً لقرار المحكمة الفرنسية، لكنه عجل بتعويضها مؤقتاً عندما أصدر بدلاً عنها جريدة "إرادة الشعب"، وحمل عددها

عيد العرش أول عيد وطني احتفل به في المغرب

د. محمد الناصري

جامعة ابن طفيل - القنيطرة

لم يعرف المغاربة الأعياد الوطنية قبل بداية ثلاثينيات القرن العشرين، بل دأبوا حتى ذلك الحين على الاحتفال بالأعياد الدينية فقط، فهي من المناسبات الجليلة التي حافظوا عليها سلطاناً ورعية، وهذه الأعياد هي عيد الفطر في فاتح شوال، وعيد الأضحى يوم 10 ذو الحجة، وعيد المولد النبوي الشريف يوم 12 ربيع الأول.

لقد ظلت هذه الأعياد بالمغرب على مر العصور من المناسبات العظيمة التي يظهر فيها السلطان أمام رعيته، بحيث يتم الاحتفال بكل عيد من هذه الأعياد طبقاً للتقاليد والعادات المرعية، فتتوافد وفود المهنيين من جميع أنحاء المغرب على عاصمة البلاد، فيهنئون السلطان ويجددون له الولاء والطاعة، كما يقدمون له الهدايا بهذه المناسبة. وعادة ما يكون هؤلاء المهنيون ممن يمثلون مدنهم وقراهم وقبائلهم، فهم من الوجهاء والأعيان والشرفاء والقضاة والعلماء وممثلي المخزن وغيرهم، فيسألهم السلطان عن أحوالهم ويدعو لهم بخير.

بعد سقوط المغرب تحت الحماية الأجنبية في ربيع سنة 1912م، حافظت إدارة الحماية الفرنسية بالمغرب على الاحتفالات الرسمية بهذه الأعياد كلها للتمويه على وجودها، فكان يأتي المقيم العام إلى القصر الملكي في موكبه الرسمي تحيط به حاشيته من كبار رجال الحماية مدنيين وعسكريين، فيستقبله السلطان مع رجال مخزنه في قاعة العرش استقبالاً رسمياً. فيقدم المقيم العام للسلطان تهاني العيد باسم الجمهورية الفرنسية وإدارة الحماية ثم يدور بينهما حديث ودّي، بعد ذلك يخرج السلطان لتقبل مواكب الهدية من رعاياه في ساحة المشور، بينما يجلس المقيم العام ومرافقوه وباقي المهنيين في سرادق خاص لمشاهدة هذا الحفل البديع.

ومع تطور المجتمع المغربي، وظهور الحركة الوطنية في مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، برز للوجود لأول مرة في تاريخ المغرب عيد وطني، وهو عيد العرش المجيد، فانضاف

وصرح سنة 1911م أن "تاريخ الدول الحاكمة بالمغرب، يكفي للبرهنة على أن السلاطين المغاربة كانوا يمارسون على هذا الجزء من إفريقيا تأثيرا روحيا حقيقيا لا جدال فيه" ⁽¹⁾.

وفي سنة 1920م، عندما ألحقت فرنسا، موريتانيا بإفريقيا الغربية الفرنسية، احتج ليوطي على ذلك لدى رئيس المجلس السيد جورج ليك Georges Legues، ضد هذا الإجراء موضحا أن "السلطان هو الإمام المتوج، والحاكم السياسي، لكن أيضا وقبل كل شيء زعيم ديني، لكل المسلمين بالمغرب الكبير وحتى تمبكتو، مما يجعل المسلمين ينظرون إليه كخليفة في المنطقة، في الوقت الذي يشغل فيه خديوي الجزائر وتونس مناصب موظفين أتراك". وقد تأكدت صدقية أطروحة ليوطي هاته سنة 1953م، عندما رفض قاضي تمبكتو إلقاء خطبة الصلاة باسم ابن عرفة، السلطان غير الشرعي المنصب من قبل فرنسا، بعد نفي محمد الخامس، وعاقبت السلطات الفرنسية قاضي تمبكتو بتوقيفه وإبعاده إلى تاوديني ⁽²⁾.

22. محمد فال ولد عمير: أمير التارازة بالجنوب الموريتاني ⁽³⁾:

التحق بالمغرب سنة 1957م، مصحوبا بزعماء موريتانيين آخرين مثل محمد المختار ولد باه وزير التربية، والداي ولد سيدي بابا وزير التجارة والصناعة والمعادن، وحرمة ولد بابانا الرجل السياسي المؤثر، والشيخ حمادو رئيس الشبيبة الموريتانية، وقد جدد فال ولد عمير بيعته للملك محمد الخامس، ودافع عن مغربية موريتانيا والصحراء الغربية، كما كان ضد وجود كيان موريتاني مستقل، وينسب إليه قوله: "الموريتانيون والمغاربة من أصل وسلالة واحدة، لذلك كان إحساسنا دوما أننا مغاربة. فالشرح الاستعماري وحده هو الذي أحدث هذا الفصل، بعد تجزئة البلاد وتقسيمها بين فرنسا وإسبانيا".

23. شهادات مدعمة لرأي فال ولد عمير:

هذه الشهادة أعلاه باسم أمير التارازة فال ولد عمير تؤكد مغربية بلاد شنقيط، وهو محق في كلامه باعتبار أن هذا الإقليم الصحراوي الممتد جنوبا حتى نهر السنيغال يشكل امتدادا طبيعيا للتراب المغربي. وهذا ما يفسر خضوعه للسيادة المغربية منذ قيام الدولة

Ibid. p. 119. -1

Ibid. p. 120. -2

Ibid. p. 121. -3

المرابطية على الأقل حتى مطلع القرن العشرين، باستثناء فترات الضعف التي كان يتراجع خلالها نفوذ المغرب مؤقتا على ذلك الجزء من صحرائه، لكن عندما كان يسترجع هيئته ومناعته كان إشعاع حضارته ونفوذه يتعدى إقليم شنقيط ليشمل مناطق موغلة في إفريقيا جنوب الصحراء تتعدى ضفاف نهري النيجر والسنيغال، كما حدث في عهد السلطان أحمد المنصور السعدي، الذي أصبحت فيه تمبكتو عاصمة إقليم السودان الغربي الخاضع للإمبراطورية المغربية⁽¹⁾.

وقد استمرت السيادة المغربية على تلك الأصقاع، وإن اعتراها ضعف واضح في القرن 19، لأسباب يطول شرحها. وتتعلق عموما، بالهجمة الاستعمارية على كل القارة الإفريقية، إلى أن سقطت تمبكتو في أيدي الاحتلال الفرنسي خلال العقد الأخير من نفس القرن.

ومما يشهد على علاقة الولاء التي كانت تربط بين مدن نهر النيجر الإسلامية والمغرب في هذه الحقبة التاريخية، رسائل شيوخ تمبكتو، ومبعوثيهم إلى السلطان الحسن الأول في موضوع طلب النجدة ضد المستعمر الأوروبي⁽²⁾. ونفس الشعور بالانتماء عبّر عنه الشناقطة تاليفا، ومواقف سياسية، وتمازجا بشريا وثقافيا ودينيا، ومقاومة مسلحة ضد العدو المسيحي القادم من أوروبا الشمالية⁽³⁾. ولم تقتطع الأقاليم الشنقيطية فيما يسمى حاليا موريطانيا والنيجر (مالي)، من جسد المغرب الأصلي إلا بعد التآمر الأوروبي عليه. بعد إجباره بالحيلة

1- بخصوص هذا الموضوع، يمكن الرجوع على سبيل المثال لا الحصر إلى دراسة:

- محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، د.ت.
- Abitbol Michel, Tombouctou et les Armas, Maisonneuve et La rose, 1979.

2- عبد الله الفاسي، مسلك الصلاح وملهم الرشد والفلاح في قضية انتصار أهل السودان بالسلطان الجليل المقدس مولانا الحسن. المطبعة الحجرية بفاس عام 1325هـ. يشتمل هذا التأليف على حوالي تسع صفحات تطرق من خلالها صاحبها إلى معالجة الموضوع أعلاه نظما. ويقول مطلع المنظومة:

يقول عبد الله فاسي اللقب ♦♦ الفهري الأصل شهير النسب

إلى أن يقول:

وبعد فالقصد فيما أقوله ♦♦ منظما في سلكه أجعله

نصيحة الملك ذي الرأي الحسن ♦♦ أميرنا المنصور مولانا الحسن

بقاطع الدليل والبرهان ♦♦ مما بدا من نصرة السودان

3- أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، 1958م، ص 1 ثم ص 422 وما بعدها.

أحيانا عن طريق المعاهدات السرية، منها والعلنية، وأحيانا أخرى بالقوة، على التخلي عن هذا الجزء العزيز من كيانه.

ومما يؤكد مغربية الصحراء أيضا الاتفاقيات الدولية المبرمة بين المغرب ومختلف الدول الأوروبية.

II- مغربية الصحراء في الاتفاقيات الثنائية بين المغرب والدول الأوروبية:

1. الاتفاقية المغربية الإسبانية بتاريخ فاتح مارس 1799م بمدير (1):

"تتعرف هذه الاتفاقية بنفوذ سلطان المغرب على وادي الذهب والساقية الحمراء وعلى سواحلها الأطلنتية، وتعطي الحق للسفن الإسبانية المبحرة في هذه السواحل، في الاستفادة من المساعدة المغربية عند طلب الإغاثة، وفي الحصول على التزود بالماء والمواد الغذائية"، كما تنص على استفادة رعايا صاحب الجلالة الكاثوليكي، ملك إسبانيا من حماية السلطات المغربية في حالة الأسر وانحراف السفن. وقد حدث بالفعل أن غرقت سفن إسبانية، أو توقفت بسبب كثرة الرمال في السواحل، فتم إغايتها من طرف القبائل الصحراوية، وتم تسليم ركابها للسلطات المغربية التي سلمتهم بدورها إلى قنصلهم بالصويرة.

2. الاتفاقية المغربية الأمريكية لسنة 1786م:

تنص على "ضمان الأمن والمساعدة للسفن والبجارة الأمريكيين أثناء مرورهم بالشواطئ الصحراوية المغربية الأطلنتيكية". وقد تم تجديد هذه الاتفاقية سنة 1836م (2).

3. الاتفاقية المغربية الإنجليزية لسنة 1801 (3):

تم إبرام هذه الاتفاقية بين الملكين مولاي سليمان وجورج الثالث، وهي اتفاقية السلم والتفاهم، إذ ينص البند 33 من الاتفاقية، على استجابة المغرب لاحتياجات السفن الإنجليزية

1- Mohammed Boughdadi, op. Cit., p. 11.

2- Ibid, p.115.

3- Ibid, p.115.

من الماء والمواد الغذائية، وضمان تقديم الإغاثة لها حالة تعرضها لصعوبات وإكراهات في الشواطئ المغربية جنوب الرأس الأبيض Cap Blanc (نواذيبو). وكان الناجون، طبقا لنفس الاتفاقية، يسلمون للسلطات الصحراوية التي تسلمهم بدورها لقنصلهم بالصويرة. وقد تم تجديد هذه الاتفاقية سنة 1824م بين الملك جورج السادس والسلطان مولاي عبد الرحمن.

4. الاتفاقية المغربية الإسبانية بتاريخ 26 غشت 1869م⁽¹⁾:

موقعة بتطوان، ويلتزم السلطان محمد الرابع بموجبها بـ"ضمان الأمن للأسطول التجاري الإسباني في الشواطئ المغربية بين واد نون والسنغال"، بسبب ما كانت تتعرض له السفن الإسبانية والفرنسية، دوما، من اعتداءات على يد لصوص البحر Pirates في الشاطئ المغربي. وتعد هذه الاتفاقية تجديدا لاتفاقية سنة 1799م. والاتفاقيتان معا تتصان على النفوذ المغربي على هذه المنطقة.

5. الاتفاقية الفرنسية الألمانية لسنة 1911م⁽²⁾:

موقعة من قبل السفير الفرنسي جول كومبون Jules Cambon، والسفير الألماني كيديرلين Kiderlen وتجعل حدود المغرب كآتي: "يضم المغرب كل الجزء الشمال إفريقي الممتد بين الجزائر وإفريقيا الغربية الفرنسية". وهي تعترف إذن، بأن المغرب كان يمتد جنوبا حتى نهر السنغال، مع ملاحظة أن موريطانيا لم تُضم إلى إفريقيا الغربية الفرنسية إلا سنة 1920م.

6. الاتفاقية السرية الفرنسية البريطانية بتاريخ 5 غشت 1890م⁽³⁾:

"تعترف هذه الاتفاقية بمغربية الساقية الحمراء ووادي الذهب، كما تؤكد أن الحدود المغربية تمتد من فكيك إلى الرأس الأبيض (نواذيبو)".

Ibid, p.115. -1

Ibid, p.117. -2

Ibid, p.121. -3

7. التسوية الإنجليزية بتاريخ 13 مارس 1895 م⁽¹⁾:

تنص في بندها الأول على أن "الإقليم الممتد من واد درعة حتى الحدود مع السنيغال هو إقليم مغربي، وأن بريطانيا بموجب ذلك تعترف بهذا الواقع"، هذا الاعتراف تم تأكيده من خلال رسالة تحمل تاريخ 15 نونبر 1911م موقعة من قبل الوزير الفرنسي للشؤون الخارجية، وجهها إلى ممثله في مدريد.

إلى جانب الحجج التاريخية، من مؤلفات واتفاقيات، تشهد على مغربية الصحراء، نجد نصوصا أخرى تسعفنا على القول بأن سلاطين المغرب كانوا على أهبة الاستعداد لتقديم كل أنواع السند المادي والمعنوي لرعاياهم بالصحراء المغربية للوقوف في وجه الأطماع الاستعمارية الأوروبية. ونقدم فيما يلي، ولو بشكل مختصر بعض مظاهر وأشكال هذا السند.

III- مظاهر سند وعون السلاطين العلويين لرعاياهم بالصحراء المغربية:

لقد أصبحت سواحل المغرب الجنوبية الأطلنتية حتى نهر السنيغال خلال النصف الثاني من القرن 19 ميدانا للمنافسة بين أساطيل الدول الأوروبية، حيث حاولت كل دولة إرسال عدة بعثات استكشافية، وشحنت عدة سفن بمواد تجارية وهدايا مختلفة بهدف توزيعها على شيوخ قبائل الصحراء المغربية للسماح لها ببناء وكالات تجارية في سواحل بلادهم، رغم عدم حصولها على إذن أو ترخيص من السلطان المغربي، ومن هذه المحاولات الأجنبية يمكن ذكر محاولة المغامر البريطاني دونالد ماكنزي Donald Mackenzi الذي استقر في ساحل طرفاية سنة 1876م، وأصبح يبيع ويشترى مع بعض القبائل ضاربا عرض الحائط الاحتجاجات المتكررة للسلطان ونائبه بطنجة محمد بركاش، وكذلك محاولة كل من إميليو بونيلي Emilio Bonelli في ساحل واد الذهب سنة 1884م⁽²⁾.

وأمام هاته الانتهاكات للأراضي الصحراوية المغربية من قبل الأوروبيين، لم يبق سلاطين المغرب مكتوف الأيدي، بل تفاعلوا مع رعاياهم في الصحراء، للحيلولة دون فرض الأمر الواقع، أي احتلال البلاد.

1- Ibid, p.122 .

2- نور الدين بلحداد، مساهمة قبيلة العروسيين في الجهاد ضد الغزو الأجنبي، ضمن أعمال ندوة دارت أعمالها بالرباط، في موضوع: "تاريخ الشرفاء العروسيين...، م. س.، ص. 101.

1. على عهد السلطان الحسن الأول (1873 - 1894م):

وتبعاً لما سبق، فإنه لما رأى السلطان مولاي الحسن في إجراء استقرار الأوربيين على سواحل سوس والصحراء تهديداً لأمن المنطقة ولصالح التجارة الجنوبية، فإنه أرسل من خيمته أثناء حركته إلى سوس سنة 1889م بعثة للتفاوض مع ماكنزي⁽¹⁾. وقد تطورت القضية فيما بعد لتكتسب بعداً دبلوماسياً ما بين المخزن وبريطانيا إلى غاية سنة 1895م، خصوصاً لما أقدمت القبائل الصحراوية على تهديم المنشآت الأوربية سنة 1892م⁽²⁾. ومما يشهد على الدعم الذي كانت تحظى به القبائل الصحراوية من قبل السلاطين العلويين، في هذه الظروف الحرجة، انتداب هذه القبائل لبعض شيوخها وأعيانها لمرافقة الشيخ ماء العينين في زيارته المتكررة لفاس أو لمراكش لتجديد البيعة للسلطان والحصول منه على الأسلحة لمواجهة مشاريع الدول الأوربية التوسعية في الجنوب المغربي⁽³⁾.

ومن المؤشرات التي تدل على انشغال السلطان مولاي الحسن بوحدة البلاد وحرصه على عدم ضياع جزئها الجنوبي الصحراوي وسقوطه في أيدي القوى الأوربية الطامعة، وتدخله في عدة مناسبات لفرض هيبة المخزن وتأكيد حضوره في المنطقة، نسوق إفادتين على سبيل الاختصار.

أ. تدخل السلطان كحكم لحل معضلة سياسية: وتفسير ذلك، أنه على إثر العلاقات التجارية التي كان قد أقامها الإنجليز بطرفاية تمكن أحد السوريين المدعو أيوب سبيريدون المعروف لدى المخزن باسم "صبيرة"، بعد اعتناقه الإسلام، من العمل كمترجم لفائدة شركة شمال غرب إفريقيا قبل أن يستقر بمنطقة بوجدور وبربط علاقات تجارية مع الإسبان وبعض أهل الصحراء، وبعد أن أصبح من تلامذة الشيخ ماء العينين، ربط علاقات تجارية مع الساقية الحمراء ووادي نون إلى أن توترت علاقاته مع أهل المنطقة فقام بعض العروسيين بحجزه مع ستة من الإسبان المتعاملين معه رفقة زوجته وأبنائه الثلاثة في غشت من سنة 1892م. وبعد ثمانية أشهر من الحجز، تدخل السلطان المولى الحسن لإطلاق سراح الإسبان الذين توجهوا إلى مراكش، في حين هرب السوري إلى طرفاية لدى أزركيين تاركاً زوجته وأبناءه ليوصل

1- عبد الله لغمايد، م. س. ص. 87.

2- نور الدين بلحداد، م. س. ص. 101.

3- نفسه.

مشروعه التجاري مع الأوربيين⁽¹⁾، وستبرز نتيجة معالجة هذه القضية بشكل مفيد جدا في عهد السلطان مولاي عبد العزيز كما سيأتي.

ب. فرض هيبة المخزن بالمنطقة: كانت هيبة المخزن حاضرة بالصحراء المغربية، على عهد الحسن الأول المعروف تاريخيا بإرساله لعدة حركات إلى كل جهات المغرب، سيما الأقاليم الصحراوية، لحل النزاعات وإقرار الأمن، وهكذا وفي إطار تصاعد الاقتتال بين الركيبات بعد اقتحامهم للمجال الذي يشغله أولاد دليم حلفاء آيت الجمل، راسل محمد بن الحسين أوهاشم سنة 1890م السلطان مولاي الحسن مخبرا إياه بأنه التقى في موسم تازرالت ببعض الركيبات وحذرهم من سطوة السلطان إن لم يكفوا عن مقاتلة غيرهم⁽²⁾.

2. على عهد السلطان مولاي عبد العزيز (1894 - 1908م):

سبق أن أشرنا إلى التحكيم الذي قام به السلطان الحسن الأول لإطلاق سراح الأسرى الأوربيين، وكان قد أجرى في نفس السياق مباحثات مع البريطانيين، وهي المباحثات التي تواصلت في عهد السلطان مولاي عبد العزيز وقادها بأمر منه وزير المالية المفضل غرنيط ووزير المالية عبد السلام التازي سنة 1895م، وتوجت بإعادة السيادة للمخزن على الأراضي الصحراوية الممتدة بين درعة ورأس بوجدور، وهو ما جعل مولاي عبد العزيز يحكم السيطرة على طرفاية التي أصبحت تصلها كل أسبوعين باخرة لتقوية حاميتها انطلاقا من الصويرة أو الجديدة أو آسفي⁽³⁾.

ويفيد نفس المصدر أنه في سنة 1900م انضم بعض ركيبات الساحل إلى أولاد دليم وبعض تكنة من آيت الجمل في التعامل مع أحد الأوربيين الذي نزل بمرسى طرفاية بإذن من القائد المخزني حميد الشراي الشباني، ورغم أن هذا التعامل اقتصر على ابتياع الحبوب من الأوربي المذكور، وكان مبنيا على الحاجة الماسة لتلك القبائل للقوت، فإن السلطان مع ذلك رأى من الواجب التدخل للتحذير، بعد أن تم إشعاره بهذه النازلة من قبل القائدين محمد بن البلال وإبراهيم بن مبارك من قواد أزركين، فكان جوابه أن أمر بطرد الأوربي من المرسى، ليس بسبب البيع في حد ذاته، وإنما لكونه حسب تعبير السلطان: "لا سبيل للبيع والشراء،

1 - عبد الله لغمايد، م.س، ص. 88.

2 - نفسه، ص. 87.

3 - نفسه، ص. 88.

معها فيها"، أي في المرسى بالشكل الذي يمكن أن يكون سببا لإثارة مشكل دبلوماسي، باعتبار أن التعامل التجاري المبني على نهج سياسة التطويع هو الذي مكن بعض القوى الأوروبية من وجود موطن قدم لها على سواحل الصحراء المغربية، ودفع بها إلى تحويله سياسيا بدعوى الدفاع على مصالحها الاقتصادية والسعي وراء مصلحة القبائل متجاوزة سلطة المخزن⁽¹⁾.

وتدخل السلطان مولاي عبد العزيز أيضا، إثر محاولات كوبولاني Coppolani⁽²⁾ ما بين 1902 و1905م. وهي المحاولات التي وجهها الفرنسيون لاحتلال بلاد الترارزة والبراكنة، مما خلق إحساسا قويا لدى أهل المنطقة. وخلال هذه التطورات، عين السلطان مولاي عبد العزيز وفدا برئاسة ابن عمه مولاي إدريس بن عبد الرحمان بن سليمان يتكون من قائد الرحي الرگراگي الدوبلاي الذي كان يشغل منصب باشا مدينة الصويرة أثناء عهد السلطان مولاي الحسن، والحاج المدني الخريفي قاضي قسبة مراکش ومحمد مصطفى ولد القائد إدريس ابن قائد المشور وعبد القادر الجراوي وإدريس العبدى خليفة القائد حميدة الشراي من أولاد دليم وقائد الحامية العسكرية المخزنية بطرفاية مرافقين بثمانية من تلاميذ الشيخ ماء العينين منهم الإمام ولد الخيار⁽³⁾.

وبعد أن خرج هذا الوفد من الجديدة يوم 7 ربيع الثاني 1323هـ/11 يونيو 1905م نزل لمدة ثلاثة أيام في جزر كاناريا ثم في طرفاية متبوعا بالأسلحة، ولما وصل إلى السمارة تم استقباله من قبل الشيخ ماء العينين قبل أن يواصل السير إلى أدرار.

وفي الوقت الذي كانت فيه الأسلحة تصل إلى الركيبات عن طريق تافيلالت، والتي جعلتهم يقودون بعض المناوشات ضد الفرنسيين في أدرار، استغلت السلطات العسكرية الفرنسية أحداث مقتل الطبيب موشان Mauchamp⁽⁴⁾ سنة 1907م بمراكش، لتحتل مدينة

1- نفسه، ص. 88 - 89.

2- كسافيي كوبولاني Xavier Coppolani (ت 1905م). هو من أخضع موريتانيا بالقوة. وبها مات في السنة المشار إليها أعلاه بتيجيكة بعد سقوطه في كمين نصبه له مقاومو الصحراء المغربية. انظر:

- Muriel Devey, la Mauritanie, Karthala, p. 146.

3- عبد الله لغمايد، م. س، ص. 89.

4- إميل موشان Emile Mauchamp: وبصفته طبيبا فرنسيا اغتيل بمراكش سنة 1907م قرب المستشفى الذي كان يعمل

وجدة وتضغط على السلطان مولاي عبد العزيز لاستدعاء المولى إدريس من أدرار وإرجاع عدة السلاح التي كانت ترسل من طرفاية لقادة الجهاد. وبالفعل، فإن السلطان أصدر أمره إلى عامل طرفاية حميدة الشباني وأمينها محمد بن الحاج المهدي أحداد برد العدة بالإضافة إلى إبلاغ أمناء الصويرة باستقبالها بعد أن وجهوها في السابق فور ورودها من العرائش. وبالتالي فإن مولاي إدريس رجع إلى فاس سنة 1908م رفقة أحمد الهببة بعد أن مكث في ضيافة محمد ولد الخليل الركبي بالساقية الحمراء، ثم في وادي نون طيلة مدة الحركة الحفيفية حيث اتخذ زوجة⁽¹⁾.

3. على عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ (1908 - 1912م)⁽²⁾:

عندما اعتلى مولاي عبد الحفيظ عرش البلاد وجد الوضع معقدا في المغرب، خصوصا في جنوبه الصحراوي، بسبب ما كان يعانيه المخزن العزيمي من ضائقة مالية ناتجة بالأساس عن محاولة تطبيق إصلاحات في المناطق التي تعذر فيها استخلاص ضريبة الترتيب على المنتوجات الفلاحية لتنمية الموارد لمواجهة المشاكل الداخلية بالصحراء المغربية في أفق مواجهة الأطماع الاستعمارية الأوربية بالمنطقة، إذ لم يعد يصل إلى طرفاية سوى قطع من السلاح القديم، إضافة إلى تعذر تمويل الحامية العسكرية الموجودة بها بشكل منتظم، بحيث أصبح أمين المرسى أحداد منذ سنة 1907م يشكو السلطان من قلة المؤونة والتي جعلت الجيش لا يتوصل بمستحققاته لمدة تزيد عن سنة⁽³⁾.

ونتيجة لهذه الظروف الصعبة، لم يتمكن مولاي إدريس من التوصل بمؤونته من أمين طرفاية مما دفع به بملاحقته سنة 1909م حتى آسفي مطالبا إياه بما بقي في ذمته، غير أن ابن عم السلطان لم يتمكن من مراده، رغم مقاضاة غريمه أمام الشرع، وذلك بسبب احتفاء أحداد بحماية الإسبان.

1- عبد الله لغمايد، م. س، ص. 90.

2- من أجل اطلاع أوسع على فترة حكم مولاي حفيظ، يمكن الرجوع إلى:

علال الخديمي، الحركة الحفيفية، أو المغرب ما قبل فرض الحماية الفرنسية 1894 - 1912م، دار أبي رقرق، الرباط، 2009م.

3- عبد الله لغمايد، م. س، ص. 90.

ومحاولة من السلطان مولاي عبد الحفيظ لمعالجة هذا الوضع ومباشرة بعد اعتلائه العرش سنة 1908م عقب البيعة المشروطة بمواصلة الجهاد والدفاع عن أرض المسلمين، أرسل إلى القائد بلال أحمد التكني يخبره بأنه أمر بتوجيه من يخلف حميدة الشباني على عمالة طرفاية في نفس الوقت الذي أمر فيه أمناء الصويرة بمحاسبة الأمين أحداد الذي غادر المنطقة إلى آسفي، من جهة أخرى بادر السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى تعيين إبراهيم الخليل بن الحبيب بيروك خلفا لعمه على قبائل آيت موسى وعلي وآيت بومكوت وأولاد إدريس وأولاد تيدرارين والركيبات، كما وجه رسالة إلى قبائل المنطقة يهيب بهم فيها بحماية السواحل المغربية وعدم التعامل مع المستعمر⁽¹⁾.

وقد أقدم السلطان على اتخاذ هذه القرارات في الوقت الذي كانت فيه سواحل سوس والصحراء تتعرض لازدياد طوق التدخل الأجنبي، بعد الضعف البين الذي انتاب السلطة المخزنية والتنظيمات الإدارية التي وفرت المناخ الملائم لإرباك المجهودات التي بذلها المخزن العزيزي لمواجهة الأطماع الأجنبية في المنطقة⁽²⁾.

4. على عهد السلاطين محمد الخامس والحسن الثاني ومحمد السادس:

نستهل الحديث عن عهد محمد الخامس (1927 - 1961م) بمؤتمر أم الشكاك سنة 1956م⁽³⁾، الذي جددت من خلاله القبائل الصحراوية البيعة لهذا السلطان بمناسبة عودته من منفاه السحيق وحصول المغرب على استقلاله، مؤكدين بذلك على وحدة المغرب من شماله إلى جنوبه الصحراوي حتى نهر السنيغال.

ووعيا منه بأهمية الصحراء المغربية، قرر محمد الخامس بعد عودته إلى عرشه القيام بجولة يوم 25 فبراير 1958م، قادته إلى الراشدية وورزازات ومحاميد الغزلان وگليم، وفي محاميد الغزلان وجه خطابه الشهير الذي ظل منقوشا في روح الشعب المغربي بأكمله، ومما جاء فيه⁽⁴⁾:

1- نفسه، ص. 90 - 91.

2- نفسه.

3- سعيد الفاضلي، الشرفاء العروسيون من خلال المصادر: نزوح وحدوي، ضمن ندوة علمية أقيمت بالرباط سنة 2002م.

حول تاريخ الشرفاء العروسيين، م. س، ص. 111.

4- Mohammed Boughdadi, op. Cit., p.162.

"رعايانا الصحراويين الأعزاء: كانت إحدى أعز رغباتنا منذ مدة طويلة، هو أن نقوم بزيارة لهذا الجزء من الصحراء المغربية، وأن نكون بينكم ومعكم، لنبرهن لكم على الأهمية التي نوليها لكم ولهذا الإقليم، ولنحيي تلك السنة النبيلة التي رسخها كل ملوك بلادنا بزيارتهم للأقاليم الصحراوية، بشكل دوري، من أجل تأكيد وحدة البلاد، من جهة، والاستجابة لحاجات المواطنين من جهة ثانية. لقد قام جدنا السلطان مولاي الحسن برحلتين إلى الصحراء لتوطيد وحدة المغرب وسيادته على كل ترابه الوطني، في الوقت الذي كانت تتكالب عليه الأطماع الأجنبية (...). إن فرحتنا كبيرة بسبب استقبالنا في محاميد الغزلان، من قبل أبناء أولئك الذي استقبلوا في الماضي بترحاب كبير جدنا مولاي الحسن الأول. ويتعلق الأمر ب: الركيبات والشناقطة، وتكنة وأولاد دليم والقبائل الصحراوية الأخرى. إننا مسرورون لوجودنا بينهم، ولمحدثتنا مع رجال الشريعة والأدب منهم، الذين أكدوا لنا، كما فعل أجدادهم مع جدنا، وفاءهم وارتباطهم بالأمة المغربية، موحدة وغير مجزأة" (1).

أما على عهد الملكين الحسن الثاني ومحمد السادس، فإن الوحدة الوطنية بين شمال المغرب وجنوبه الصحراوي، أصبحت واقعا ملموسا ومعاشا، بعد حدث المسيرة الخضراء سنة 1975م (2). وكما هو معروف فإنه بعد هذا التاريخ تعددت زيارات الملك الحسن الثاني رحمه الله، مبدع المسيرة، إلى عواصم الأقاليم الصحراوية، إما لدعم التنمية المحلية، أو لتفقد الأولوية العسكرية المربطة بالمنطقة دفاعا عن وحدة البلاد، وصدا لكل عدو غاشم، وامتدت تلك الزيارات على مدى ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، إلى أن وافت المنية هذا الملك الهمام عام 1999م (3).

وعلى عهد جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره، فإنه منذ أن اعتلى عرش البلاد، وهو يضع قضية الصحراء المغربية في أولوية الأولويات، مدافعا عنها على المستوى

1- نفسه، ص. 162.

2- عن استرجاع المغرب لصحرائه والمسيرة الخضراء، يمكن الاطلاع على دراسات مهمة في الموضوع، تحت عنوان: الصحراء: الحل الوطني الديمقراطي، مجلة نوافذ عدد 10-11، شهر يناير 2001م.

3- من أجل المزيد من القراءة حول ما قام به الملك الحسن الثاني رحمه الله من أجل الصحراء المغربية، يمكن مراجعة كتاب: "البينة والخلافة في الإسلام (الدورة الثانية)"، وهو كتاب يضم مقالات المساهمين في الندوة التي انعقدت بعيون الساقية الحمراء تحت هذا العنوان بتاريخ 10-11-12 صفر الخير 1415هـ الموافق 20-21-22 يوليوز 1994م، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة (المحمدية)، سنة 1994م.

المحلي والإقليمي، وعلى المستوى الدولي سياسيا وعسكريا، محترما في ذلك، ومع الشعب المغربي برمته كل مقتضيات قوانين هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، بحس وطني مرهف ويقظة وعزيمة لا تهون، بشكل مكنه ويمكنه من إفشال كل مناورات خصوم الوحدة الوطنية الشاملة. ولن أبالغ إذا قلت أن ملكنا محمد السادس يجد راحته ومتعته في تبعه ويهون عليه كل صعب من أجل إسعاد شعبه، لذلك نلاحظ أنه في حركة ودينامية لا يكاد يتوقف، من مدينة إلى أخرى ومن إقليم إلى آخر مع ما يرافق ذلك من انفتاح على إفريقيا على وجه الخصوص⁽¹⁾، من أجل الإسراع بتنفيذ مشاريع التنمية الشاملة في البلاد اقتصاديا وسياسيا وثقافيا من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها. وعن اهتمام هذا الملك الهام بالصحراء المغربية وبساكنتها، فإن ذلك لا يحتاج إلى برهان لتعدد زيارته إلى تلك الأقاليم، من أجل نهضتها وعزتها، وما الاستقبال الشعبي المنقطع النظير الذي يخصصه له شعبه هناك تعبيرا عن تعلقه بعرشه وتمسكهم بوحدة البلاد، إلا برهان ساطع على استعداده لم يد العون له للإسراع بتحقيق النهضة المنشودة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار سنة 2016م فقط كمقياس لكثرة زيارات جلالتة للأقاليم الصحراوية وما تحمله من جهد وعناء في سبيل ذلك، فإنه يمكن القول بكل صدق وواقعية، أن هذا الملك، هو الذي تنطبق عليه مقولة "إن عرشه على ظهر جواده"⁽²⁾.

حفظ الله مولانا الهام وأدامه ذخرا للبلاد والعباد.

كانت هذه باختصار شديد مجموعة من الحجج والشهادات التاريخية المتنوعة المصادر التي تؤكد مغربية الصحراء من جهة، وتشهد على التلاحم والتعاون والتآزر بين ملوك المغرب العلويين وسكان الصحراء المغربية، من أجل صد العدو الأجنبي المتربص بوحدة البلاد، وإفشال محاولات الخصوم الذين يعملون ليل نهار لزعزعة استقرار البلاد وإحداث التصدع في الوحدة الوطنية.

1- لقد خصصت مجلة l'Economiste عددا خاصا لانفتاح المغرب على القارة الإفريقية اقتصاديا وثقافيا وروحيا، والمجهود الجبار الذي يبذله الملك محمد السادس في هذا الصدد، جاعلا من الأقاليم الصحراوية المغربية البوابة الأساسية للمرور إلى بلدان هذه القارة. عدد 29 يوليوز 2015م.

2- حول إستراتيجية إمارة المؤمنين في الصحراء المغربية وإفريقيا، يمكن الاطلاع على:

- عبد الفتاح الفاتحي، إمارة المؤمنين في إفريقيا من الأمن الروحي إلى الأمن الاجتماعي والاستقرار السياسي. مجلة دعوة الحق، عدد 413، يوليوز 2015م، ص. 45.

مقالات داعمة

معالم من شخصية الإمام مالك بن أنس وأثرها في فقه التيسير

د. عبد الرحمن بوعلي
أستاذ باحث - العيون.

تستخدم الأمم العظيمة التاريخ أداةً للتوجيه ووسيلة للتربية؛ إذ تتخذ من إنجازات الآباء والأجداد، ومن سير العظماء - محفزات على السمو والعطاء والاستقامة، وهذا - إذا سلم من المبالغة والتهويل والقراءة المنحازة - يُعدُّ في نظرنا المتواضع شيئاً مفيداً جداً ومرغوباً فيه، بل إنه مطمح كل عصامي تجاه دينه ووطنه.

والمربون والمعلمون والدعاة يختلفون اختلافاً واسعاً في توظيف ما يُعد من تاريخ الأمم مصلحة معرفية أو أخلاقية. فمنهم من يستخدم تلك الحصيلة للبرهنة على فضل السلف وانحطاط الخلف، ومنهم من يستخدمها من أجل تعليم الناشئة الإذعان للمجتمع والتكيف مع الظروف الحاضرة.

وقليلون أولئك الذين يوظفون المستخلصات التاريخية في إيقاظ الوعي، وتدعيم الحس النقدي، والحفز على الوصول إلى شيء جديد، وسبب ضالة هذا النوع من التربية والتعليم يعود إلى أننا حين نقرأ التاريخ لا نتوقع منه أن يساعدنا في فهم واقعنا وتطوير هذا الواقع، بمعنى أننا لا ننشد التغيير الإيجابي لما هو كائن، بقدر ما نقرأ التاريخ قراءة من اطمأن لحاله، ورضي بما هو كائن.

إن التاريخ يدرس الآن على أنه سلسلة أحداث أو آثار بشرية عبر سرد متماسك، يربط المعاصرين بأسلافهم، ويسلط الضوء على سلسلة التطورات الإيجابية والسلبية التي صنعت الفرق بين مرحلة ومرحلة، وبين جيل وجيل، وهذا يتطلب أن ندرس مع التاريخ فلسفته وفقده، وأن ننثر الأسئلة حول أسباب وقائعه وأحداثه، ونبحث عن العلل والمقدمات والجذور، ونكتشف سنن الله - جل وعلا - في الاجتماع البشري، ونجلو طبيعة النفس البشرية في إقبالها وإدبارها، كما نميز من رجالته شخصيات شكلت الظاهرة التاريخية، كل في مرحلته التاريخية وزمان تشكيل رؤاه الفكرية والنظرية، والعلل التي أثرت في ذلك كله سلباً أو إيجاباً.

إن التاريخ حين يُدرس بهذه الطريقة، يحسّن مستوى البصيرة لدى المتعلمين، ويمكنهم من امتلاك الأدوات التي ينتقدون بها الواقع الذي يعيشون فيه، عوضاً عن أن ينجرّوا مع تياراته العاتية من غير أي قدرة على إبداء الرأي والتأبّي والممانعة، مع غياب القابلية لمناقشة العثرات التي يقع فيها رجالات كل حقبة من تاريخ الأمم، فتضييق بذلك المساحة النقدية بين يدي نقاد الرواية التاريخية، والفتاوى الفقهية، بل والآثار الاجتهادية للمفكر، والفقيه، وكل ناقد متبصر، مما يشكل عزوفاً لا إرادياً عن القراءة النقدية جملة وتفصيلاً.

في بنائنا المعرفي ثغرات واضحة، لا تخطئها عين الناقد، وتلك الثغرات كثيرة، ولعل من أهمها: إهمال تاريخ العلوم، وإهمال اكتشاف مقاصد التشريع، إضافةً إلى التقصير الظاهر في التعرف على سنن الله تعالى في الخلق، والتقصير في معرفة طبائع الأشياء، ولا سيما الطبيعة البشرية التي تترجمها _ في معظم الأحوال _ جملة من العلوم والمعارف المتداولة.

إن التجديد المعرفي والاجتماعي سيكون صعباً من غير الاطلاع على الأطوار السابقة لعلومنا وأوضاعنا، إننا من خلال قراءة تاريخ العلوم نتعرف على بواعث الاجتهاد وبيئاته والعقبات التي تواجهه، كما أننا ننمي لدينا حاسة المقارنة، ونكتسب المزيد من المرونة الذهنية، والمزيد من القدرة على رؤية الأشياء من زوايا مختلفة، وقد صدق من قال: "إذا أردت أن تعرف المستقبل فانظر إلى الماضي"؛ إذ تمكّننا معرفة الماضي من اكتشاف السنن التي تجسد العلاقة بين ما فات وبين ما هو آت، ومن خلال هذا وذاك نكتشف آفاقاً جديدة للتطوير، ونفتح حقولاً جديدة للممارسة.

إن تاريخ أمة الإسلام غني بما يكشف عظمته، وذلك من خلال دراسة سيرة علمائها، دراسة تحليلية نقدية وتربوية، تتوخى جانب القيم والسلوك النبيل الذي وصلنا عبر مواقفهم الشامخة، والتي بفضلها بلغ الدين أفقا عالمية اليوم، مع تحد كبير لكل الإكراهات الواقعة والمفترضة.

لقد أثبتت التجارب حتى الآن أن إجرام المجرمين وانحراف المنحرفين تعود أسباب انحرافهم وإجرامهم إلى أحوالهم الاجتماعية والسلوكية، عبر طفولتهم مروراً بشبابهم ومن ثم، فإن محاربة الإجرام تستدعي دراسة أحوال اجتماعية أفرزت هذا الكيان البشري الإجرامي أي العودة إلى معطيات مضت ولكنها خلّدت إفرازاتها لعقود، بل قرون.

فإذا كان الوضع السلبي هذا يلزم قراءة ثانية للتاريخ والمجتمعات لكشف مكامن الداء، فإن كشف مكامن الداء يكمن في قراءة ثانية وثالثة لتاريخ العلوم وحياة العلماء، وتاريخهم، وسيرهم بل أحوالهم التي يحمل إلينا فقه الكثيرين منهم اعتبار تلك الأحوال وظروف العيش لدى الأمم في فتاواهم ورؤاهم والمواقف المتغيرة تبعا لتلك الظروف وإلى سنن العيش، وطبائع المجتمعات مما اشتهر في الناس بالأعراف والعوائد وغيرها، مما مثل أئمة الفقه الإسلامي له أدوارا قل مثيلها في تاريخ الأمم.

والإمام مالك رحمه الله ممن رسمت حياتهم العلمية والفقهية بصماتها عبر صفحات الزمان والمكان بل إنها طبعت أسوار القيم بمعيار من الرفق، وبمسحة من نفحاتها الروحية غير المكشوفة للعيان. هذه الانطباعة غير المعلنة في سيرة الرجل تعد في نظري شرطا أساسا وملزما لفهم مساره الفقهي، وعطاءاته الفكرية داخل وخارج الإطار المذهبي، بل لإدراك فقه التيسير المميز للمذهب المالكي على وجه الخصوص.

فقه التيسير

التيسير : ضد التعسير . ويقال: يسره الله ليسرى، أي: وفقه لها. ويسّرت الغنم، أي: كثرت ألبانها ونسلها¹.

وأصل التيسير: تسهيل الفعل المحمود العاقبة، وكذلك " فسنيّسره ليسرى " أي نهيه لما تحمد عاقبته، ويسهل إليه مصيره².

وفي معنى التسهيل قوله تعالى: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر"³، "ثم السبيل يسره"⁴

1 _ معجم ديوان الأدب لإسحاق بن إبراهيم الفارابي، ت: 350 هـ تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة عام النشر: 1424 هـ - 2003 م

2 _ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم - 55. لمحمد بن فتوح الأزدي الميورقي الحميدي ت: 488 هـ تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، هـ 1415 - 1995 م.

3 _ الآية 17 من سورة القمر .

4 _ الآية 20 من سورة عبس .

أما قوله تعالى: "فسنيسره للعسرى"¹ قال الفراء: "وإطلاق التيسير فيه من باب قوله تعالى: "فبشرهم بعذاب أليم"² ويأتي التيسير بمعنى: الرخصة.

والمعاني اللغوية هذه مقصودة في مجملها حين يتعلق الأمر بمذهب مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

وإن كان المراد بالتيسير، وبعبارة أدق: تلك المسحة البارزة من اللين ورفع الحرج... مما لا يدرك عمقه إلا من تشبع بأصول المذهب وبفروعه، وانتفع بما في عزائمه ورخصه من رفق ويسر، في أحوال تشددت فيها المذاهب مما سواه.

وبالتتبع والنظر العميقين في واقعيات ومعاملات الناس وفي إطار المذهب يدرك الباحث من المعطيات ما يمكنه من بناء تصور مركزي شامل، ذي مصداقية عالية تجاه حبل التيسير المنسوج بين قواعد المذهب وأصوله، تتقاسم أسسه جوانب من شخصية الإمام مالك بن أنس من جهة، وأخرى من قواعد المذهب وأصوله، شكل هذا التيسير مبتغى نبيلًا غير معلن في سائر جزئيات وكليات المذهب والفقه المالكيين، مشيدًا بذلك صرحًا مقاصديًا شامخًا تحفه قيم الإسلام العامة والخاصة، قل من تنبه إليه من رواد الفقه والمذهب المالكيين.

ولا يمكن كشف جوانب التيسير في هذا الصرح بجلاء دون الوقوف عند هذه المحطات بعمق النظر، والدراسة المتبصرة، بل وبالنقد البناء لما نسب لمالك من بدع غطت محاسن المذهب، ومغالطات تتنافى ومواقف الإمام مالك وما نقل عنه في سيرته الصحيحة³، وفقهه وأصوله التي تؤطره ضمن ركائز تأسيسية لمنطلقات ومبادئ السلف الصالح من أهل السنة والجماعة.

ما ميز مذهب الإمام مالك كقيمة مضافة متميزة تكسو تعاليمه عبر الزمان والمكان هو منهج الرفق واللين والتيسير، ومنهج التقصي والتتبع لروح الشريعة ومقاصدها، الشيء الذي أكسبه مناعة مستدامة عن كل ما من شأنه أن يوقعه وأتباعه فيما يشبه الانفلات،

1 _ الآية 10 من سورة الليل .

2 _ تاج العروس 13 _ 29، لمرتضى الزبيدي ت: 1205 هـ تحقيق: مجموعة من المحققين نشر: دار الهداية.

3 - تلك السيرة التي كانت السبب الرئيس والكامن من وراء تأسيس وتكوين المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خاصة.

والتطرف، والزيغ الإرهابي والفكري عموماً. ولا شك أنه قد انطلق في ذلك كله - وهو عالم المدينة - من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "ما خالط الرفق شيئاً إلا زانه وما خلا شيء من الرفق إلا شانه"¹.

فقد نقل علماء المالكية، الممثلون لأعمدة المذهب في تصانيفهم عبارات توجز هذه الحقيقة عن مالك بن أنس، كما فعل أبو الوليد ابن رشد حيث قال: "الإسلام يسر كله، وأن غيره من الأديان عسر كله".

ويستشهد على هذا بقوله: "هذا قول صحيح يشهد بصحته قول الله عز وجل: ﴿يُرِيعُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيعُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾"²

ولا شك أن اليسر المراد في الآية الكريمة - على قول ابن رشد هذا - هو دين الإسلام السمع، كما أن المراد بالعسر كل ما سوى دين الإسلام.

وفي هذه المحاولة رصد لما يثبت التيسير ومظاهره في ثانيا وأجندة المذهب بدءاً بإمامه مالك بن أنس الأصبحي، ثم أصوله وقواعده المذهبية، ثم عروجا على واقع المذهب وما ينسب إليه افتراء عليه وجهلاً بتعاليمه وقواعده العامة والخاصة، وختاماً ببعض علماء المذهب ممن أرسوا دعائمه في الغرب الإسلامي عامة وفي المغرب خاصة.

ولست أبغي سيرة توثيقية لمراحل حياة الرجل، من الميلاد إلى الممات - مما كتب فيه الأولون والآخرين - كما أنني لا أبغي سرداً لأصول المذهب المالكي وقواعده مما هو موضع اتفاق أو خلاف، وإنما أدندن حول ميثاق من القيم الذي شيد البنيان الشامخ من شخصية الرجل، ومثل العروة الوثقى بين إمامة المذهب الفعلية في المدينة المنورة، وأهل المغرب، بإمامة فوق العادة، شكل ذلك كله جسوراً بين المشرق والمغرب في صمود أبدي تتلاقح بها ومن خلالها الحياة الروحية للمسلم بلا نضب ولا توقف.

1 _ فتح الباري شرح صحيح البخاري برقم 6024 وقد ورد بألفاظ أخرى منها ما ورد بالحياة بدل الرفق.

2 _ الآية 184 من سورة البقرة * البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ت: 520 هـ حققه: د محمد حجي وآخرون دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة الثانية، 1408 هـ - 1988.

مالك بن أنس من أهل السنة والجماعة

أقل من قرن ونصف هي الفترة الفاصلة بين الإمام مالك والفترة النبوية، فترة نزول الوحي وصفاء السنة القولية والعملية، يضاف إلى هذا المعطى أن هذا القرن هو فترة التميز بالخيرية إذ شملها قول النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث" ¹. فإذا كان من بعده ومن في زمنه أهلاً لهذا الوصف وهذه النسبة "من أهل السنة والجماعة"، فإن مالكا أولى بها وأحرى، بل إن انفراد بالصفة "عالم المدينة"، وما قصد بالعلم في هذا الوصف إلا علم السنة والشريعة بل أصولهما، وهو أقرب الأئمة إلى منابعها.

فالرجل عاش في منطقة عزيزة عند الخاصة والعامة من المغاربة والمشاركة، والتي هي المدينة المنورة، مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فكانت معارفه وثقافته امتداداً لعلم أهل المدينة المحبوبة، وارتباطاً بمنبع السنة في وضعها الحديث، غضا طريا، ظهر ذلك جليا في كثير من فقهياته، ومواقفه، فقد سئل رحمه الله: أقرأ سورة الجمعة في صلاة الجمعة سنة؟ قال: لا أدري هل هي سنة، ولكن من أدركنا كان يقرأ بها في الركعة الأولى من الجمعة. ²

ولا شك أن من أدركهم مالك رحمه الله هم حملة فقه السنة من التابعين، صغارهم وكبارهم ممن يتنافسون حفظ السنة وفقهها، وإن لم يكونوا تابعين أو أتباعهم فإنهم أعلم الناس بالسنة ممن بعدهم بحكم القرب الزمني منها ونباعها. وهذا ولا شك سر من أسرار القبول الذي لقيه فقه السنة المالكي ومذهبه عبر بقاع العالم الإسلامي.

إنهما عاملا الزمان والمكان كان كل منهما خادما لرسالة مالك، ولروح مذهبه، فلا أحد يجادل المسلمين تعلقهم بمنشأ مالك، مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كما لا يجادل أحد في أفضلية زمانه، زمن الصحابة وكبار التابعين...

1 _ مسند أحمد ط: الرسالة رقم الحديث 3594 .

2 _ المدخل لابن الحاج المالكي 2 - 275 . ت: 737 هـ دار التراث، بدون تاريخ، وبدون طبعة.

إن قول مالك رحمه الله "ولكن من أدركنا" إشارة قوية إلى أعظم مصدر يغترف منه الرجل، وهو معتز به أيما اعتزاز، كيف لا يقول ذلك عنه وهو مصدر لم يتوفر لغيره في نقل السنة النبوية قولها وعملها، رجال المدينة، أوعية السنة، حفظة الوحي قولاً وفقها وعملاً.

كما أنه قد استشعر عظم المسؤولية تجاه منقوله من السنة، بل من الدين، وهو ممن ينسب إليهم قوله: "إن هذا الأمر دين فانظروا عمن تأخذون دينكم".

ولا شك أن أول من جسد اليسر في الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أولئك الذين مثلوا مصادر مالك ممن كان ينظر إليهم بالعين الناقدة قبل التلقي عنهم، وهو الذي اشتهر عنه قوله: "كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر" ويشير إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم¹

وهي إشارة واضحة إلى علم الجرح والتعديل الذي انتعش على يد علماء الحديث بعده، وبه تمت صيانة ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من السنة القولية والعملية، وإن كان مؤرخو هذا العلم لم يعترفوا له بهذه الإشارة، وهو أول من قامت حاجته لهذا العلم، باعتبار أوليته في التأليف الحديثي، وفي موضوع علم رجال الحديث بالذات، وذلك يعد بخساً في حق الرجل، وبترا للحقائق، وخذشاً في مقتضيات الأمانة العلمية.²

صفة أخرى: "إمام دار الهجرة" إمامة عامة وإمامة خاصة، في العلم الشرعي أولاً، ثم إمامة القدوة، قدوة أهل السنة قبل غيرهم ولم لا.

كانت هذه الصفة أؤكد في هذه المعاني وغيرها، بل ولا ينافي فيها، إذ لم يوصف بها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أحد، واشتهر بها سوى مالك رحمه الله، كيف لا وهو المنسوب إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم نشأة، والمنسوب إليها تلميذاً والمنسوب إليها عالماً ومفتياً "أيفتى ومالك بالمدينة؟"³

1 _ المدخل لابن الحاج 1 - 175 .

2 _ جل مصنفات علم الجرح والتعديل تفاضت عن ذكر مالك ضمن أوائل من تكلموا، مجرد كلام في هذا الفن، حيث يركزون على مثل أبي بكر من الصحابة مع أن قصة ميراث الجدة في استدلاله منقولة في موطأ مالك 1 - 11، وذلك في طبقات ثلاث، تنظر مكانها.

3 _ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد 1 _ 301 صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، 1423هـ 2002 م .

بل إن الرجل قد أسدى للسنة ولأهلها الشيء الكثير، وعلى يده ظهر فقه الحديث مصنفًا وموطأً في زمن لم تتضح فيه بعد، وبما فيه كفاية إشكالية تدوين السنة من عدم التدوين.

وأعتقد أن السؤال المشروع بعد هذا، هو: لماذا لم ينسب الإمام مالك إلى أهل السنة والجماعة رسمياً، كما نسب الإمام أحمد رغم هذه الاعتبارات وغيرها مما لم أوفق لذكره في هذه الكلمات.

كما أعتقد - والله أعلم - أن الجهل بسيرة الرجل من حيث قيمها ومبادئها ومواقفها - كان السبب الرئيس في تخلف موقعه درجة عن أئمة جاءوا بعده زماناً ومكاناً، بل تتلمذوا عنه ولم لا؟ فنسبت إليهم إمامة أهل السنة، وإن كان ذلك بمعايير المرحلة، والتي قد تخضع الآن للنظر.

وقد عبّر عن ذلك ابن تيمية رحمه الله بقوله: "ومن تدبر أصول الإسلام وقواعد الشريعة، وجد أصول مالك، وأهل المدينة أصح الأصول والقواعد، قد ذكر ذلك الشافعي وأحمد وغيرهما.¹

نحن بحاجة إذاً إلى تشخيص سيرة الرجل الخلقية "بضم الخاء واللام"، تلك السيرة التي شيدت منه شخصية قدوة بلا منازع.

كما أننا بحاجة إلى تشخيص القيم التي شكلت سراج حياته، وصقلت مواقفه النبيلة، والتي نالت إعجاب أهل المشرق والمغرب عبر الزمان والمكان.

ـ ورع مالك بن أنس:

ما أحوجنا إلى هذه الفضيلة اليوم، وقد تهافت العالم والمتعلم على دنيا الناس.

وما ثبت في تاريخ الإنسانية أن فاضلاً من الفضلاء نال درجة القدوة والأفضلية بطول الجسد أو عرضه أو بلونه... لكن ذلك إنما يحصله الرجال ويدركونه بما يمثلونه من قيم نبيلة، ومبادئ سامية تتبض بالمقاصد العليا لهذا الدين...

1 _ التنبية على مبادئ التوجيه - قسم العبادات 1 - 5، لأبي الطاهر التنوخي المهدوي ت: حوالي 536 هـ تحقيق د: محمد بلحسان، نشر دار ابن حزم بيروت لبنان، طبعة أولى 1428 هـ.

تلك أمور أسعى في هذا العمل المتواضع إلى إنجاز جانب منها بحول الله تعالى مبتدئاً بفضيلة الورع وأثرها في بناء الفقه المالكي خاصة ومذهبه عامة.

أما الأول ففي مسائله الفقهية. وأما الثاني ففي شخوص رجالات المذهب وأتباعه الذين حملوا رسالته برا وبحرا إلى حيث استقر رواده اليوم شرقا وغربا، وأجرهم عند الله تعالى.

فقد كان الورع سراجا نيرا يتقدم حياة الإمام مالك وأتباعه إلى الأمس القريب، حتى إن اجتهاداتهم وترجيحاتهم كان القول الحسم فيها للقيم والفضائل، واعتادوا من الفتوى ما يحتكم إلى الورع، وتناقله الأتباع وأهل العلم خاصة، بل صار الورع معيارا للقبول والتزكية في صفوف تلامذة المذهب ومشايخه، كما تعلقت الرجولة لديهم بمعاني الورع، بل كمالها وسموها، وصار لباس الورع معيارا تقبل به الفتوى أو ترد بين يدي رعاة الفقه المالكي ومشايخه وأعلامه.

اشتهر مالك بلباس التواضع والورع، وهما لباس أهل العلم في الإسلام، بل كان ذلك خلقا له باديا لمن عايشوه ولمن كتبوا عن حياته.

قال الواقدي: كان مالك يأتي المسجد، ويشهد الصلاة والجمعة والجنائز، ويعود المرضى، ويقضي الحقوق، ويجلس في المسجد، ثم ترك الجلوس في المسجد، وكان يصلي ثم ينصرف إلى منزله، وترك حضور الجنائز وكان يأتي أصحابها فيعزيهم، ثم ترك ذلك كله، فلم يشهد الصلوات في المسجد ولا الجمعة، ولا يأتي أحدا يعزيه، ولا يقضي له حقا، وإنما كان تخلفه عن المسجد، لأنه سلس بوله، فقال عند موته: كرهت أن آتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على غير طهارة، فيكون ذلك استخفافا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكرهت أن أخبر الناس بعلي فتكون شكوى من الله عز وجل.¹

إن ما يلفت النظر في هذا المنقول من كلام مالك رحمه الله، هو قراءته المقصدية لما حل به وبجسده من العلل والأسقام، وما استتبطه من حكم جليلة تبهر العقول، بل إنها أمور أبعد ما تكون عن أذهان من في زمننا بله في زمنه رضي الله عنه.

1 _ ابن خلكان في الوفیات 136/4، والذهبي في سير الأعلام 64/8.

"استخفاف¹ برسول الله... شكوى من الله... "إنها إشارة إلى منتهى الورع والحياء من مقام النبوة في غيابها... والخوف هنا من الوقوع في أمر أخس مما نتوقعه أن يصدر من رجل هو إمام أهل السنة في زمانه وما بعده.

أن يأتي المسجد بغير طهور، وبعذر بين عموما هو المرض "سلس البول"، يعتبر ذلك عند مالك استخفافا بمعنى الاستهزاء بمقام النبوة والرسالة، إنه منتهى الخوف من الوقوع في الزلل، وهل من أهل زمانه من يتجشم مجابته بمثل هذا؟ بل اختار الزجر لنفسه بنفسه رضي الله عنه، وقد يكون منه ذلك مجرد سد للذريعة² الذي هو أصل من أصول مذهبه الفقهي ليس إلا.

إن نقل الواقدي لحقائق من صميم شخصية مالك رحمه الله دليل على أن هذه الحقائق مما نال إعجاب الأمة في مجتمعه _ ولا يلفت أنظار العباد إلا ما افتقدوه _ بل كانت موضع اهتمام أولي النهى والحلم، بل اهتمام المربين السالكين، إذ الأمر ذو صلة بمواقع لا يرتادها إلا أهل الله من ذوي التربية الروحية: المسجد، الجمعة، الجنائز وعيادة المرضى وقضاء الحقوق... كل هذا وذاك من أخلاقيات السالكين، ومما فطر عنه محمد صلى الله عليه وسلم... الذي قالت عنه خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها حين نزول أولى بوادر الوحي: "كلا! أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا! إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"³.

1 _ استخفَّ الشَّخصُ: أخفَّه، حمّله على الخِفة والطَّيش "حامل الهوى تعبُ... يستخفُّه الطربُ- "وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ".

• استخفَّ الشَّيءُ: عدَّه أو وجده خفيفاً "وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم".
• استخفَّ فلاناً/ استخفَّ بفلان: هزئ واستهان به، أهانه، تجاهله وعامله بازدراء، أهمله "استخف بمواهبه، بالدور الذي لعبه، بالقوانين بالفكرة بعقول الجماهير- "فاستخف قومه فأتاعوه": استجھلهم واستهان بهم. 1 _ 671 من معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور: أحمد مختار عبد الحميد عمر، ت: 1424هـ بمساعدة فريق عمل، نشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م.

2 _ سيأتي بإذن الله تعالى الحديث مفصلاً في جوانب التيسير من أصوله وقواعده الفقهية.

3 _ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء 1 _ 65، لابن حبان، ت: 354. صحَّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، نشر دار الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الثالثة - 1417هـ .

إنها خصال، بل قيم اجتماعية بامتياز، فطر عليها الرسول الكريم قبل أن يكرسها ويدعمها الوحي في طبعه صلى الله عليه وسلم، وفي طبع أمته من بعده، فأشربها مالك حتى النخاع، وتمثلها تلامذته من بعده، كما وكيفاً.

ولا يقدح في هذه القيم أن يكون الواقدي هو ناقلها باعتبار ضعفه في باب الرواية ونقل الآثار، إذ الأمر لا يتصل بنقله للسنة، ولا نصوص هي مظنة أحكام تشريعية أو شبهها، بل هي صفات أخلاقية سلوكية وعملية يدركها الخاص والعام، والله المستعان.

كان الرجل عملياً في عبادته لربه بكل المقاييس، ولا يفصله عن العمل إلا عجز بدني ظاهر أو خفي، ومعنى ذلك أن ما سطره في فقهياته كان مفروشا بالعمل وممهداً به، بل إنه لم يكن من المتلبسين بالرخص في كل حين، حتى وهو في وضع يقتضي الرخصة باستحقاق وجدارة، بل الرخصة إنما وضعت لمثل حاله، وهو يقول عند موته: "كرهت أن آتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على غير طهارة، فيكون ذلك استخفافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكرهت أن أخبر الناس بعلمي فتكون شكوى من الله عز وجل".¹

وكان ربما كلم في ذلك فيقول: "ليس كل إنسان يقدر يتكلم بعذره"² وفي رواية للعبدي قال مالك: "ما كلُّ الأعذار تُبْدَى"³

إنها الفطرة التي فطر الناس عليها، امتلكت على الإمام مالك شخصيته الأبية، فاستعصى عليه كشف أحوال من الضعف قد انتابته، فرأى في شأنها ما رأى، وهي أحوال تجسدت بصماتها في فقهياته وفتواه، فجعلت منه فقهاً لنا، كله رحمة على العباد، وحلم على من تفقه فيه.

وليس سهلاً عند مالك تجشم الكتابة أو الرواية فيما نقل إليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كان يرى أن الأمر يستلزم مداومة الطهارة، وجدها عند كل فتوى أو رواية، وذلك أضعف الإيمان.

1 _ منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد 1 _ 186 لأبي زكريا يحيى بن إبراهيم الأزدي السجلماسي ت: 550هـ. تحقيق محمود بن عبد الرحمن قدح، نشر: مكتبة الملك فهد الوطنية طبعة أولى، 1422هـ/2002م.

2 _ ابن خلكان في الوفيات 136/4، والذهبي في سير الأعلام 64/8.

3 _ المدخل لابن الحاج، "العبدي" 3 - 212.

قال أبو نعيم: "وكان مالك لا يتحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على الطهارة"¹.

تورعه عن الفتوى :

أما ورعه وتبته في الفتيا فقد فاق الشهرة، وقد ذكر أبو نعيم في الحلية عن ابن وهب قال: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك بن أنس "لا أدري" فعلت.²

قال مالك رحمه الله: "حق على طالب العلم أن يكون فيه وقار، وسكينة، وخشية، واتباع لأثر من مضى قبله".³

صحيح أن عبارة "لا أدري" شعار وسم الفقه الإفتائي عند المالكية، حتى في أوجهه وازدهاره في الغرب الإسلامي، لكنه _ وللأسف الشديد _ شعار أفرغ من حمولته التي تعني وتعكس تواضع مالك رحمه الله، وعدم جرأته على الفتوى، بل ورعه الشديد تجاه كثير من القضايا المستجدة فقها وشرعة. فصارت عبارة: "لا أدري" توظف الآن في غير سياقها مما نتج عنه جرأة الناس على الفتوى والقول في الدين بكثير من التجوز واللامبالاة، بل قال فيه كل من هب ودب بما يميله الهوى والنفس الأمارة، والله المستعان.

والأمر عند مالك لا يعني هروبا من مسؤولية الفتوى بقدر ما يشير إلى تعظيم شأنها وخطورتها، فهو رجل علم بالشرعية وعلومها في زمنه بلا منازع.

فقد قال الشافعي رضي الله عنه عن كتابه الموطأ: ما في الأرض كتاب من العلم أكثر صواباً من موطأ مالك بن أنس.⁴

وعن فتواه في أمور العقيدة يقول الشافعي: "سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال: محال أن يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد،

1 _ الحافظ أبو نعيم في الحلية 318/6، والمزي في تهذيب الكمال 110/27، والذهبي في سير الأعلام 96/8.

2 _ المصدر نفسه 6 - 318.

3 - الذخيرة للقرافي 1 - 51 ت: 684 هـ، تحقيق د: محمد حجي وجماعة.

4 _ القاضي عياض في ترتيب المدارك 191/1، وأبو نعيم في الحلية 329/6، وابن عبد البر في التمهيد 76/1، والذهبي في

سير الأعلام 111/8، وقال الذهبي معلقاً: هذا قاله قبل أن يؤلف الصحيحان. اهـ.

التوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"¹، فما عُصم به المال والدم حقيقة التوحيد.²

إنها منتهى المرونة والوضوح في جواب عن أم القضايا في الإسلام، إنها العقيدة التي عليها مدار هذه الملة. جواب غير مكلف ولكنه يحمل من الفطنة والذكاء ما يقنع السائل ويثبط الجاحدين، بل مع كل هذا دليل واضح في جوهر السؤال.

نحن اليوم - أكثر من أي وقت مضى - بحاجة إلى إحياء الرؤية المذهبية كما تلبس بها وتمثلها الإمام مالك رحمه الله، وجرت له في دمه سنة نقية منقولة عن نبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم مع الصدق المطلق في تفعيل هذه الرؤية، والإخلاص العميق الذي كان يحمل مالكا أن يقول: "لا أدري" بلا حرج، ولا ضيق، وبلا مركب نقص أو ما يشبه ذلك مما يمتلك النفوس الضعيفة والمتردة بين يدي السؤال، فتندفع إلى تكلف الإجابة وصناعتها من مجرد التخمين، أو دعوى، وزعم الخلاف في المسألة. كل ذلك تهربا من قول: "لا أدري"، ومن ثم تسقط هذه النفوس المريضة بظاهرة جبر الخواطر في مدلول قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فيسألوا، فيفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"³.

لم يكن مالك رحمه الله مريضا بظاهرة "جبر الخواطر" فكان قول الحق ديدنه، ولا يخاف في الله لومة لائم. ومهما كان صاحب الفتوى قدرا وفضلا، فإن مالكا يجابهه بالقول: "لا أدري" إن رأى في نفسه إحساسا بالضعف عن فتوى السائل. يقول رحمه الله: "جئة العالم لا أدري، فإذا أخطأ أصيبت مقاتله"⁴. وسوف يتضح ذلك بأمثله بعد حين، بإذن الله تعالى.

فعن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت رجلا جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياما ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج، قال: فأطرق طويلا ثم رفع رأسه فقال:

1 _ أخرجه البخاري: فتح 262/3، ومسلم 51/1 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

2 _ الإمام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي في ذم الكلام 283/4، والذهبي في سير الأعلام 26/10.

3 _ عمدة القاري شرح صحيح البخاري 2 - 83 لبدر الدين العيني ت: 855 هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

4 - الذخيرة 1 - 51.

ما شاء الله يا هذا، فقال: إني إنما أتكلّم فيما أحسب فيه الخير وليس أحسن مسألتك هذه.¹

وقال ابن مهديّ سأل رجل مالكا عن مسألة فقال مالك: لا أحسنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أنني قلت لك: لا أحسنها.²

وقد كان قول مالك "لا أدري" فاصلا بين معرفته وجهله بقضايا الشريعة حيث إنه يبادر بقول: "لا أدري" ثم يعقبها بما يعتقده صوابا أو قريبا من الصواب، مما يلتمس له مخرجا من مقاصد الشريعة، ومما اشتهر في فقهيات المذهب بالاستحسان أو المصالح المرسلة.

حد الورع:

الورع هو: ترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس.

وأصله قوله صلى الله عليه وسلم: "الحلال بين والحرام بين وبينهما شبّهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه..."³.

والورع درجات ثلاث:

_ ورع عن الحرام وهو واجب.

_ ورع عن الشبهات وهو متأكد وإن لم يجب.

_ وورع عن الحلال مخافة الوقوع في الحرام وهو فضيلة وحقيقته: ترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس.⁴

1 _ مواهب الجليل شرح مختصر خليل 1 - 28 .

2 _ مواهب الجليل شرح مختصر خليل 1 - 28 .

3 _ لفظه في البخاري كاملا "الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقع، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمهُ، ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" باب: فضل من استبرأ لدينه 1 - 20 .

4 القوانين الفقهية 1 - 287 لابن جزي الغرناطي ت: 741 هـ.

_ وفي علم الجرح والتعديل ضمن قواعد المذهب، نجد للورع مثقاله.

فقد قال مالك في الرجل ينازل الرجل شهراً ولا يعلم منه إلا خيراً، قال: لا يزكّيه بهذا.

وأما التجريح: فبالصحبة اليسيرة واللقاء، وبأيسر ما يكون من أمر يطلع به عليه أنه من غير أهل الورع.¹

_ وسئل ابن القاسم عن نصراني دفع إلى نصراني طيراً صاده بأن يبيعه ويجعل ثمنه في الكنيسة، فمر به على مسلم فسأله فأخبره قصته، وما أمر به في ثمنه فأراد المسلم شراءه، قال ابن القاسم: أرى ذلك خفيفاً.

قال أصبغ: لا يعجبني ولا أراه في سعة، وأراه في إثم وجرح، وأراه عوناً على شرائع الكفر وتعظيم الكنائس وعمارتها، والذي يفعل هذا وشبهه مسلم سوء مريض الإيمان.

علق ابن رشد على هذين الموقفين فقال: قول ابن القاسم محض القياس، وقول أصبغ نهاية الورع.²

_ وفي مناقشة الرخص والأخذ بها عند المالكية كان ذلك على حظ كل رخصة من الورع، إذ يقول مالك: قد تكون أشياء فيها رخص من تركها غير محرم لها فلا أرى به بأساً.

قال ابن رشد القرطبي: كلام فيه نظر؛ لأن من ترك الرخص وتجنبها فقد أخذ بالاحتياط لنفسه، وذلك نهاية الورع، فلا يقال في مثل هذا: إنه لا بأس به، وإنما يقال فيه: إنه قد أتى ما يستحب له، فينبغي أن يتأول الكلام على أن فيه إضماراً، فيكون معناه من تركها غير محرم لها فقد أحسن، لأنه مأجور على ذلك، ومن أتاها فلا بأس به أي لا إثم عليه

1 _ المصدر نفسه 8 _ 275. وقد ألفت في شخصية مالك تصانيف عدة: ككتاب الورع وكتاب فضائل مالك، وكتاب مجالس مالك ألفها ابن عبدوس (202 - 260هـ) محمد بن إبراهيم بن عبدوس، رابع المحمديين الذين اجتمعوا في عصر مالك من أئمة مذهبه: اثنان مصريان: محمد بن عبد الحكم ومحمد بن المواز، واثنان قرويان: ابن عبدوس، وابن سحنون.
2 _ البيان والتحصيل 4 _ 208. لأبي الوليد ابن رشد القرطبي ت: 520هـ. تحقيق: د محمد حجي وآخرون. نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

في ذلك. وذلك في مثل أن يعصر الرجل الخمر ليجعلها خلا فلا بأس بذلك، إذ قد رخص فيه من أباحه، ومن لم يأخذ بالرخصة في ذلك فقد أحسن. وإلى هذا الوجه من الرخص ذهب مالك - والله أعلم -¹

بهذا يدرك الباحث في الفقه المالكي عموماً وفي فقه مالك خاصة أن التيسير يجري على أصول المذهب وفروعه بدءاً بفكر صاحبه ومداركه، بل وسيرته.

1_ المصدر نفسه 17_ 269.

أبو العتاهية والعروض

د. محمد العلمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ظهر المهرارز - فاس.

يكاد جل من درس شعر أبي العتاهية، أو ترجم له، أو عرض له من قريب أو بعيد، ألا يغفل ذكر القولة التي ذكرها له أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني: فقد قال: "حدثنا الصولي قال: حدثنا العنزي قال: حدثنا أبو عكرمة قال: قال محمد بن أبي العتاهية: سئل أبي: هل تعرف العروض؟ فقال: أنا أكبر من العروض. وله أوزان لا تدخل في العروض"¹.

ولست أدري، هل الحكم النقدي الذي ورد في قولة: "وله أوزان لا تدخل في العروض"، فيما سبق، هو من كلام ابن الشاعر، أم من كلام الأصفهاني، أم مما نقله مما تداوله الدارسون؟ فقد سبق لأبي الفرج أن قال عن أبي العتاهية: "وله أوزان طريفة قالها، مما لم يتقدمه الأوائل فيها"².

وسواء كان ذلك لابن الشاعر، أو للأصفهاني، أو لغيره، فقد ثبت أن ما يطابقه قد انتشر منذ القديم؛ فقد ورد في طبقات الشعراء لابن المعتز، المتوفى سنة 296 هـ ما يلي: "وحدثني المبرد قال: حدثني محمد بن البصري قال: كان أبو العتاهية، لسهولة شعره، وجودة طبعه فيه، ربما قال شعرا موزونا ليس من الأعاريض المعروفة. وكان يلعب بالشعر لعبا، ويأخذ كيف شاء"³. وقال أيضا: "وحدثني المعروسي الكوفي قال: "حدثني محمد بن زياد - وكان يروي لأبي العتاهية شعرا كثيرا - قال: جلس أبو العتاهية يوما إلى قصار، فسمع صوت الكدين (الكدين هو مدقة القصارين)، فقال شعرا على إيقاعه، منه هذا البيت:

واحد فواحد

المنون مفنيات

¹ الأغاني، 15/4² نفسه، 4/4.³ طبقات الشعراء، 229.

كأنه نظر إلى القصار يأخذ ثوبا بعد ثوب، فشبهه بأخذ الموت إنسانا بعد إنسان؛ وأخذ الوزن من وقع الكدين"¹.

وورد القول الثاني بصيغة أخرى عند ابن قتيبة، المتوفى سنة 276هـ كما يلي: "وكان لسرعته، وسهولة الشعر عليه، ربما قال شعرا موزونا يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب. وقعد يوما عند قصار، فسمع صوت المدقة، فحكى ذلك في ألفاظ شعره، وهو عدة أبيات، فيها:

للمنون دائرا ت يدرن صرفها

هن ينتقيننا واحدا فواحدا

وقال أيضا :

عتب ما للخيال خبريني ومالي

لا أراه أتاني زائرا مذ ليال

لو رأني صديقي رق لي أو رثي لي

أويراني عدوي لان من سوء حالي"².

وقد نقل كاتب النسخة (ت) من ديوان أبي العتاهية في مقدمته قول ابن قتيبة هذا³.

وقد وجد هذا الرأي مكانه عند بعض العروضيين؛ فقد ورد عند الدماميني أثناء حديثه عن البحر الخفيف قوله: "استدرك بعض العروضيين لهذا البحر عروضاً مجزوءة مقصورة مخبونة لها ضرب مثلها، وجعل منها قول أبي العتاهية:

عتب ما للخيال خبريني ومالي"⁴

1- طبقات الشعراء ، 229.

2- الشعر والشعراء 796.

3- الديوان، هامش ص 25.

4- العيون الغامزة الرامزة 206.

ثم نقل بعد ذلك: "ويحكى أن أبا العتاهية لما قال أبياته التي أولها:

عتب ما للخيال خبريني ومالي

قليل له: إنك خرجت عن العروض. فقال: أنا سبقت العروض"¹.

وأختم حديثي عما جاء عند القدماء بخصوص هذا الحكم بما ذكره المرزباني المتوفى سنة 384 هـ، فقد قال: "أخبرني محمد بن عرفة النحوي، عن محمد بن يزيد المبرد قال: كان أبو العتاهية، مع اقتداره في قول الشعر وسهولته عليه، يكثر عثاره، وتصاب سقطاته؛ وكان يلحن في شعره، ويركب جميع الأعاريض. وكثيرا ما يركب ما لا يخرج من العروض إذا كان مستقيما في الهاجس"².

وقد أغراني هذا الرأي المنتشر عن شعر أبي العتاهية منذ القديم، بالخوض فيه، لمعرفة مدى صوابه، ومحاولة استخلاص النتائج المناسبة.

وقد أشرت هذه المحاولة، حتى انتهيت من تأصيل عروض الشعر العربي في الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي³.

وأقدم اليوم هذه الدراسة، محاولا تلمس مكانة أبي العتاهية من العروض، من خلال شعره الذي نشره أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل سنة 1964⁴.

ولكن، قبل ذلك، لا بأس من ترتيب الأفكار التي جاءت في أقوال القدماء السابقة، ليتسنى لنا بعد النظر الدقيق في شعر الرجل، أن نستخلص ما يصح استخلاصه:

- (1) أنا أكبر من العروض. و: أنا سبقت العروض.
- (2) له أوزان لا تدخل في العروض وأوزان أشعار العرب.
- (3) سهولة شعره وسرعته.
- (4) جودة طبعه في الشعر.

1- نفسه، 232.

2- الموشح 327.

3- في أطروحتي: تأصيل عروض الشعر العربي: دراسة تشريحية لدواوين الجاهليين والإسلاميين والأمويين، 1999.

4- أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، عني بتحقيقها د. شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، تاريخ المقدمة 1964.

- (5) لعبه بالشعر لعبا.
- (6) أخذه في الشعر كيف شاء.
- (7) محاكاة وقع الكدين في شعره.
- (8) كثرة عثاره، وإصابة سقطاته.
- (9) ركوبه جميع الأعاريض.
- (10) ركوبه ما لا يخرج من العروض إذا كان مستقيما في الهاجس.

ومن الواضح أن الأفكار السابقة تنقسم قسمين، أولهما ما ورد على لسان أبي العتاهية، والثاني ما ورد على لسان غيره في تقويم شعره وتفسيره. ويمثل القسم الأول قوله في رواية: "أنا أكبر من العروض"، وفي الأخرى: "أنا سبقت العروض".

ودون أن نذهب بعيدا في شرح كون أبي العتاهية أكبر من العروض، أبادر فأقول إنني أرجح أن المقصود بالكبر كونه سبقه، فهو أكبر منه أي أسن منه؛ ولعل ذلك راجع إلى كون أبي العتاهية (130 - 211 أو 212 أو 213 هـ) والخليل بن أحمد (100 - 170 هـ) مبتكر العروض متعاصرين.

أما القسم الثاني من الأفكار السابقة، فمنه ما هو ذو طبيعة إحصائية، ويمثله قولهم إنه ركب جميع الأعاريض؛ ومنه ذو الجانب العروضي المحض، وهو:

- (1) له أوزان لا تدخل في العروض وشعر العرب،
- (2) ركوبه ما لا يخرج من العروض إذا كان مستقيما في الهاجس،
- (3) كثرة عثاره، وإصابة سقطاته،
- (4) محاكاة وقع الكدين في شعره.

وتنقسم الأفكار ذات الأساس العروضي المحض إلى ما يلي:

أولا: أوزانه التي لا تدخل في عروض الشعر العربي،

ثانيا: استقامة هذه الأوزان في الهاجس،

ثالثا: عثراته وسقطاته العروضية.

ومن الأفكار السابقة أخيرا ما هو ذو جانب نقدي، وهو:

- (1) سهولة شعره وسرعته،
- (2) جودة طبعه،
- (3) لعبه بالشعر،
- (4) أخذه في الشعر كيف شاء.

وسأهتم فيما يلي من هذا البحث بالأفكار ذات الجانب الإحصائي، والأفكار ذات الجانب العروضي المحض، لمعرفة ما يدخل من شعره في عروض الشعر العربي، وما لا يدخل، واستقامة هذه الأوزان الخارجة عن العروض في الهاجس أو عدم استقامتها، وتلمس عثراته وسقطاته العروضية إن وجدت.

2- إحصاء البحور وأنواعها في شعر أبي العتاهية :

يتوزع شعر أبي العتاهية المجموع في ديوانه ¹ على البحور وأنواعها، كما حددها الخليل بن أحمد، فيما اتفقت عليه المصادر الناقلة عنه ² كما يلي:

البحر	عدد النصوص في كل نوع
الطويل	47(1)، 85(2)، 32(3) ³
المديد	12(1)، 3(4)
البسيط	40(1)، 44(2)، 12(6)
الوافر	67(1)، 15(2)
الكامل	35(1)، 42(2)، 14(4)، 21(5)، 50(6)، 3(7)، 19(8)، 1(المسدس المرفل)، 1(المسدس المذيل)
الهزج	14(1)

1- بتحقيق د. شكري فيصل.

2- العلمي ص 116، وعروض الورقة 14، والمعيار 18- 19.

3 يقرأ الجدول هكذا "47 نصا من النوع الأول، و 85 نصا من النوع الثاني، و32 نصا من النوع الثالث، وهكذا في بقية البحور.

الرجز	3(3)، 2(4)، 3(5)، 1(المزدوج)، 1 (المجزوء المقطوع المخبون)
الرمل	2(1)، 2(2)، 24(3)، 18(5)
السريع	8(1)، 29(2)، 13(3)، 1(4)، 2(6)
المنسرح	34(1)، 11 (المقطوع)
الخفيف	67(1)، 6(4)، 1(المجزوء المخبون المقصور عروضاً وضرباً)
المضارع	1(1) (عن الفصول والغايات 132).
المقتضب	2(المطوي المقطوع).
المجتث	5(1)
المتقارب	5(1)، 25(3)، 1(4).
المتدارك	1(1).
الملفق	1(بيت واحد صدره من الكامل وعجزه من الطويل).

والأنواع المشار إليها بالأرقام بعد كل بحر في الجدول السابق هي :

❖ في الطويل: 1) عروض صحيحة وضرب صحيح. 2) صحيحة ومقبوض 1. 3) صحيحة ومحذوف.

في المديد: 1) صحيحة وصحيح. 2) محذوفة ومقصور. 3) محذوفة ومحذوف. 4) محذوفة وأبتر. 5) محذوفة مخبونة وضربها مثلها. 6) محذوفة مخبونة وأبتر.

❖ في البسيط: 1) مخبونة ومخبون. 2) مخبونة ومقطوع. 3) مجزوءة ومجزوء مزال. 4) مجزوءة مقطوعة ومجزوء مقطوع. 5) مجزوءة ومجزوء مقطوع. 6) مجزوءة مقطوعة ومجزوء مقطوع.

1- المؤنث للعروض، والمذكر للضرب (أي عروض صحيحة وضرب مقبوض)، وهكذا

- ❖ في الوافر : 1) مقطوفة ومقطوف. 2) مجزوءة ومجزوء. 3) مجزوءة ومجزوء معصوب.
- ❖ في الكامل : 1) صحيحة وصحيح. 2) صحيحة ومقطوع. 3) صحيحة وأخذ مضمير. 4) حذاء وأخذ. 5) حذاء وأخذ مضمير. 6) مجزوءة ومجزوء مرفل. 7) مجزوءة ومجزوء مزال. 8) مجزوءة ومجزوء. 9) مجزوءة ومجزوء مقطوع.
- ❖ في الرجز : 1) صحيحة وصحيح. 2) صحيحة ومقطوع. 3) مجزوءة ومجزوء. 4) مشطورة هي عين الضرب. 5) منهوكة هي عين الضرب.
- ❖ في الرمل : 1) محذوفة وصحيح. 2) محذوفة ومقصور. 3) محذوفة ومحذوف. 4) مجزوءة ومجزوء مسبق. 5) مجزوءة ومجزوء. 6) مجزوءة ومجزوء محذوف.
- ❖ في السريع : 1) مطوية مكشوفة ومطوي موقوف. 2) مطوية مكشوفة ومطوي مكشوف. 3) مطوية مكشوفة وأصلم. 4) مخبولة مكشوفة ومخبول مكشوف. 5) موقوفة مشطورة هي عين الضرب. 6) مكشوفة مشطورة هي عين الضرب.
- ❖ في المنسرح : 1) صحيحة ومطوي. 2) منهوكة موقوفة هي عين الضرب. 3) منهوكة مكشوفة هي عين الضرب.
- ❖ في الخفيف : 1) صحيحة وصحيح. 2) صحيحة ومحذوف. 3) محذوفة ومحذوف. 4) مجزوءة ومجزوء. 5) مجزوءة ومجزوء مخبون مقصور.
- ❖ في المضارع : 1) مجزوءة ومجزوء.
- ❖ في المقتضب : 1) مجزوءة مطوية ومجزوء مطوي.
- ❖ في المجث : 1) مجزوءة ومجزوء.
- ❖ في المتقارب : 1) صحيحة وصحيح. 2) صحيحة ومقصور. 3) صحيحة ومحذوف. 4) صحيحة وأبتر. 5) مجزوءة محذوفة ومجزوء محذوف. 6) مجزوءة محذوفة ومجزوء أبتر.
- يتضح من الجدول الإحصائي لشعر أبي العتاهية، كما ورد في ديوانه المجموع، أنه يتضمن 827 نص، ينتمي منها 808 نص إلى النظام الذي وضعه الخليل، بينما ينتمي الباقي وهو 19 نصا إلى ما يلي:

2 نسان من الكامل، أولهما مرفل الضرب، من 16 بيتا، والثاني مذيّل الضرب من 12

بيتا.

- 1• نص واحد من 4 أبيات من مجزوء الرجز المقطوع المخبون عروضاً وضرباً.
- 11• نصا من المنسرح المقطوع الضرب، أطولها من 8 أبيات، وأقصرها من بيت واحد

يتيم.

- 1• نص واحد من 4 أبيات، من الخفيف المجزوء المخبون المقصور عروضاً وضرباً.
- 1• نص واحد من بيتين من المتدارك المقطوع الأجزاء كلها (وهو شبيه بما ينسب للخليل، وهو قوله :

هذا عمرو يستغني من زيد عند الفضل القاضي¹.

- 1• بيت، صدره من الكامل وعجزه من الطويل، هو:

شَهِدْتُ قَرِيْشٌ وَالْقَبَائِلُ كُلُّهَا بِفَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٍ²

رَجَّحْتُ أَنْ يُقْرَأَ هَكَذَا :

شَهِدْتُ قَرِيْشٌ.....

فيكون البيت كله من الطويل.

ويظهر أن إمكان وصف الكامل بالمرفل والمذيّل، ومجزوء الرجز بالقطع والخبّن، والمنسرح بالقطع، ومجزوء الخفيف بالخبّن والقصر، والمقتضب بالطي والقطع، في النصوص التي لا تنتمي إلى نظام الخليل، مما يجعل الخروج عن النظام محدود الأفق من جهة، ودائراً في آفاقه الممكنة من جهة ثانية.

أما بيتا المتدارك، فإن التذكير بتطابقهما الإيقاعي مع بيتي الخليل، يجعل خروج أبي العتاهية فيهما عن نظام الخليل مرتهناً بخروج الخليل نفسه في شعره عن النظام الذي استنبطه من شعر العرب.

1- شعر الخليل، ضمن: شعراء مقلون 348.

2الديوان 526.

3- ظواهر عروضية قديمة في شعر أبي العتاهية:

من خلال إخضاع شعر أبي لعتاهية للتحليل العروضي الدقيق (وهو ما سبق لي وسمه بالتشريح، في أطروحتي عن تأصيل العروض في شعر الجاهليين والإسلاميين والأمويين)، نفع على صنفين من الظواهر العروضية، أولهما قديم نجده في الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي، وينقسم إلى قسمين: خليلي، وهو ما يقع في إطار النظام الذي استبطه الخليل، وغير خليلي، وهو ما يخرج عنه لكون الخليل استبعده من نظامه، لندرته وعدم شيوعه. والصنف الثاني من الظواهر العروضية في شعر أبي العتاهية جديد، وهو ما لم ألاحظ وجوده فيما سبق أبا العتاهية من شعر جاهلي وإسلامي وأموي، وسيوضح قربه أو يعبده من نظام الخليل فيما بعد.

3- 1: الظواهر العروضية القديمة الخليلية:

3- 1 - 1: خرم الطويل:

ورد خرم الطويل مرة واحدة في شعر أبي العتاهية، وذلك في قوله:

(لَا يَهْ) نَا الْأَعْدَاءَ عَزَلُ ابْنِ هَاشِمٍ فكلُّ مَوْلَى قَصْرُهُ الصَّرْفُ وَالْعَزْلُ¹

وقد تراوح حصول ذلك عند الجاهليين بين 9 مرات عند امرئ القيس²، ومرة واحدة عند الأعشى³، وبين 103 مرة عند الفرزدق⁴، ومرة واحدة عند الحارث بن خالد المخزومي⁵. من الإسلاميين والأمويين.

3- 1 - 2: قبض مفاعيلن في حشو الطويل :

وقع ذلك في شعر أبي العتاهية عشر مرات، كما في قوله :

وإنَّ ال(قُلُوبَ لَوْ) تَوَحَّتْ يَقِينَهَا لتصفو على رُوح الحياة وتُثَلِّجُ¹

1- الديوان 600.

2- تأصيل عروض الشعر العربي 61.

3- نفسه 59.

4- نفسه 175.

5- نفسه 179.

وبلغ ذلك عند الجاهليين بين 84 مرة عند امرئ القيس²، ومرة واحدة عند الحارث بن حلزة³، وعند الإسلاميين والأمويين بين 45 مرة عند الراعي النميري⁴، ومرة واحدة عند الحارث بن خالد المخزومي⁵.

3- 1- 3: طي مستفعلن في البسيط :

حصل ذلك مرة واحدة في قوله :

فبئست الدار للعاصي لخالقه (وَهِيَ لِمَنْ) يَتَّقِيهِ نِعْمَتِ الدار⁶

ووقع ذلك عند الجاهليين بين 19 مرة عند زهير بن أبي سلمى⁷، ومرة واحدة عند عنترة بن شداد⁸، وعند الإسلاميين والأمويين بين 51 مرة عند الأخطل⁹، ومرة واحدة عند الحطيئة¹⁰.

3- 1- 4: خبن مستفعلن في حشو البسيط:

وجدت ذلك في شعره 3 مرات، آخرها قوله :

حَتُّوفُهَا رَصْدٌ (وَعَيْشُهَا) نَكْدٌ وَكَدُّهَا نَكْدٌ (وَمُلْكُهَا) دُولٌ¹¹

1 - الديوان 514.

2- تأصيل عروض الشعر العربي 63.

3- نفسه 62.

4- نفسه 178.

5- نفسه 177.

6- الديوان 156.

7- تأصيل عروض الشعر العربي 68.

8- نفسه.

9- نفسه 181.

10- نفسه 182.

11- الديوان 318.

بينما تراوح عند الجاهليين بين 4 مرات عند النابغة الذبياني¹، ومرة واحدة عند الأعشى²، وعند الإسلاميين والأمويين بين 5 مرات عند النابغة الشيباني³، ومرة واحدة عند الأخطل⁴.

3- 1- 5: الخزل في الكامل:

وقع مرة واحدة، وذلك قوله:

أصبحتُ مغلوباً على عقلي لا يستوي (قَوْلِي مَعَ) فِعْلِي⁵

وهو عند الجاهليين وقع مرة واحدة عند كل من تأبط شرا، وابن مقبل، والخنساء، وعدي بن زيد، وامرئ القيس⁶، وبين مرتين عند الفرزدق⁷ ومرة واحدة عند الراعي النميري⁸.

3- 1- 6: الوقص في الكامل:

ورد مرتين، آخرهما قوله :

أهل القبو (رِ لا تَوَا) صلَ بينكمُ من مات أصبحَ حبْلُهُ رثً القوى⁹

وعند الجاهليين بين 8 مرات عند الأعشى¹⁰، ومرة واحدة عند أوس بن حجر¹¹، وبين 3 مرات عند حسان بن ثابت¹، ومرة واحدة عند عمر بن أبي ربيعة².

1 تأصيل عروض الشعر العربي 67.

2 نفسه 66.

3 نفسه 181.

4 نفسه.

5 الديوان 292.

6 تأصيل عروض الشعر العربي 72.

7 نفسه 186.

8 نفسه.

9 الديوان 17.

10 تأصيل عروض الشعر العربي 71.

11 نفسه.

3- 1- 7: الكف في الرمل لمعاينة:

وقع مرة واحدة، وذلك في قوله:

إنما الدنُّ (يا مَنَّاغ) بُلْغَةٌ كيفما رَجَّيْتُ في الدنيا رَجَّتُ³

وللبيت روايتان أخريان، أولهما بدون كف هي:

إنما الدنيا مَنَّاغ بُلْغَةٌ

والثانية بالكف أيضا وهي:

إنما الدن (يا بلاغ) بُلْغَةٌ

وورد ذلك 3 مرات عند الأعشى وحده⁴ من الجاهليين، ومرة واحدة عند عمر بن أبي ربيعة وحده⁵ من الإسلاميين والأمويين.

3- 1- 8: المضارع:

على الرغم من اعتبار المضارع نادرا، أو مصنوعا⁶، فقد ورد لأبي العتاهية بيت يتيم من المضارع في الفصول والغايات لأبي العلاء المعري⁷ لم ينتبه إليه جامع الديوان، هو قوله:

أيا عُنْبُ ما يضرُّ ك أن تُطْلُقِي صِفَادي

1- تأصيل عروض الشعر العربي 74.

2- نفسه.

3- الديوان 56.

4- تأصيل عروض الشعر العربي 74.

5- نفسه 186.

6- العلمي 100، ومصادره.

7- ص 132.

3- 2: الظواهر العروضية غير الخيلية:

هذا هو القسم الثاني من الظواهر العروضية القديمة التي وجدت في الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي، ولكن الخليل استبعده من نظامه، لندرته وعدم شيوعه¹، وقد سبق لي أن وصفتها بالظواهر غير الخيلية.

3- 2- 1: تمام عروض الطويل بدون تصريح:

أقصد بتمامها كونها جاءت صحيحة (من العلة) وسالمة (من الزحاف)، دون أن تشبه في تمامها ذاك تمام الضرب من أجل تصريح البيت، وقد حصل ذلك مرة واحدة في شعره، في قوله:

وأنت معروف ولست (بموصوف) وأنت موجود ولست بمجدود²

3- 2- 2: الكف في المديد بدون معاقبة :

جعل الخليل كف فاعلاتن في المديد، وهو زحاف، مقيدا بالقانون العام للزحاف وهو المعاقبة³، ولذلك اعتبرت وقوع الكف بمعاقبة ظاهرة خيلية، ووقعه بدونها غير خيلية. وقد وقع ذلك في شعر أبي العتاهية مرة واحدة في قوله:

فإذا أنت جميد (لُ الثاء) وإذا أنت كثير الصديق⁴

ومن المفيد أن أشير إلى أن كف فاعلاتن في المديد بدون معاقبة لم يقع في دواوين الجاهليين والإسلاميين والأمويين.

3- 2- 3: إضمار العروض الثانية في الكامل:

النوع الخامس من الكامل هو ما جعل الخليل عروضه حذاء، (وهي العروض الثانية في الكامل بعد العروض الأولى الصحيحة)، وضربه أخذ مضمرا. وقد أتى أبو العتاهية ببيتين، (أولهما هو الثاني، وثانيهما هو الثاني والعشرون ضمن قصيدة عدتها تسعة وثلاثون بيتا)،

1- انظر تفصيل ذلك في أطروحتي: تأصيل عروض الشعر العربي.

2- الديوان 104.

3- العلمي 139.

4- الديوان 247.

جعل عروضيهما مضميرتين حذائين، أي أنه جمع بين الحذف والإضمار في العروض، وذلك قوله:

(1) إني رأيتُ عواقب الدُّنيا) فتركتُ ما أهوى لما أخشى¹

(2) فلتلحَقَنَّ بعَرْصة الـ (موتى) ولتنزلنَّ محلَّة الهلكى²

وقد اعتبرت طائفة من العروضيين الجمع بين العروض الحذاء والحذاء المضمرة في النوع الخامس جائزا³.

ولم يرد هذا الجمع بين العروضيين لا في دواوين الجاهليين، ولا في دواوين الإسلاميين والأمويين.

3- 2- 4: الكف في الرمل بدون معاقبة :

جعل الخليل كف فاعلاتن في الرمل مقيدا بقانون الزحاف العام وهو المعاقبة⁴، فوقوعه بدونها إذن ظاهرة غير خيلية. وقد حصل ذلك في شعر أبي العتاهية مرة واحدة، في قوله:

سَاهِلِ النَّاسِ إِذَا مَا غَضِبُوا وَإِذَا عَزَزَ صَدِيقُكَ كَفَهُنَّ⁵

وقد ورد ذلك مرة واحدة عند الأعشى من الجاهليين، في قوله:

فَتَرَاهُ (فَلِقَا فَا) رَاسِنَا ذَا رَنِينَ صَحَلَ الصَّوْتِ أَبَحْ⁶

وعند النابغة الشيباني من الإسلاميين والأمويين مرة واحدة أيضا، وذلك قوله :

قَدْ أَذَاعَتْ بَرْسُومٌ (لَا تَبِينُ) لِبَصِيرِ⁷

1 - الديوان 9 .

2 - نفسه 10.

3 - الإرشاد الشايفي 81 (طبعة 1957) نهاية الراغب 209.

4 - العلمي 139.

5 - الديوان 390.

6 - تأصيل عروض الشعر العربي 114، ديوان الأعشى 291.

7 - تأصيل عروض الشعر العربي 262، وديوان النابغة الشيباني 54.

على الرغم من كون الردف (وسناده) من مستلزمات القافية، إلا أنني أعتبر القافية وأحكامها شديدة الارتباط بالعروض وضوابطه؛ وقد سبق لي أن اعتبرت اشتراط الردف في بعض أنواع البحور مما يتداخل فيه كل منهما، لدرجة أن نوعا بعينه، في بحر ما، يقتضي صوتا بعينه هو الردف¹.

ولعل هذا هو السبب الذي جعلني أعتبر إتيان أبي العتاهية بسناد الردف واقعا في إطار الظواهر العروضية غير الخليلية التي استعملها غيره من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والأمويين، وإن كانت لم تدخل في إحصائي السابق². يقول أبو العتاهية في مطلع قصيدة من ثلاثة وعشرين بيتا:

جمعت من الدنيا وحزت ومُنيتا ومالك إلا ما وهبت وأمضيتا³

فهذه القصيدة رويها التاء، وردفها الياء الساكنة المفتوح ما قبلها، ولم يراع أبو العتاهية في تصريح البيت سوى روي التاء، أما الياء الممدودة ففي الجمع بينها وبين الياء الساكنة المفتوح ما قبلها سناد ردف، شبيه بجمع عمرو بن كلثوم بين الياءين في معلقته، في قوله:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تُبقِ خُمورَ الأندرينا

وقوله:

كأن غصونهنّ متونُ غدرٍ تُصفقُها الرياحُ إذا جرينا⁴

3- 2- 6: ترك الردف في ثاني البسيط:

ألزم الخليل ثاني البسيط (وهو المقطوع الضرب) الردف، لما في ذلك من ترابط بين أحكام العروض والقافية، كما أشرت سابقا، وقد جاء في ديوان أبي العتاهية ترك الردف في هذا النوع من البسيط مرتين، أولاهما في قطعة من ستة أبيات أولها:

1- العلمي 181- 183.

2- في أطروحتي عن تأصيل الشعر العربي.

3- الديوان 64.

4- ديوانه 85.

حُبُّ الرِّئَاسَةِ أَطْفَى مَنْ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى بَغَى بَعْضُهُمْ فِيهَا عَلَى بَعْضٍ¹

والثانية في بيت يتيم هو قوله :

لَوْلَا يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ لَمَا عِشْتُ هُوَ الَّذِي رَدَّ رُوحِي بَعْدَمَا مِتُّ²

3- 2- 7: ترك الردف في سابع الكامل:

من أنواع البحور التي ألزمها الخليل الردف سابع الكامل، وهو المجزوء المذيل، وقد ترك أبو العتاهية الردف في هذا النوع في بيتين، هذا أولهما:

وَلَرَبِّمَا حَذَرَ الْفَتَى مَا لَيْسَ يُنْجِي مِنْهُ حِذْرٌ³

3- 2- 8: التضمين:

يقودنا النظر فيما تترابط فيه أحكام العروض والقافية، إلى ما ينفصل فيه كل منهما عن الآخر، وأعني بذلك التضمن والتجميع، ولكن محاولة الإحاطة بمختلف الظواهر الإيقاعية في شعر أبي العتاهية هي التي ربما قد تشفع لنا إضافة ظاهرتي التضمن والتجميع إلى ما سبق، رغم بعدهما الظاهر عن أحكام العروض، وظواهرها الخيلية وغير الخيلية.

وقد وقعت في مجموع شعر أبي العتاهية على ظاهرة التضمن في نصين، أولهما قوله:

إِذَا اتَّضَحَ الصَّوَابُ فَلَا تَدْعُهُ فَإِنَّكَ كُلَّمَا دُقَّتِ الصَّوَابَا

وَجَدْتَهُ لَهْ عَلَى اللَّهْوَاتِ بَرْدًا كَبُرْدِ الْمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا⁴

والثاني ستة أبيات من السريع، وهي هذه:

يَا ذَا الَّذِي فِي الْحَبِّ يَلْحَى أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كُفِّتُ مِنْهُ لَمَّا

كُفِّتَ مِنْ حَبٍّ رَخِيمٍ لَمَّا لُمْتُ عَلَى الْحَبِّ فَذَرْنِي وَمَا

1- الديوان 203.

2- الديوان 501.

3- الديوان 561.

4- الديوان 19.

دعوة الحق

ألقى، فأني لست أدري بما بُليتُ، إلا أنني بينما
أنا بباب القصر في بعض ما أطوفُ في قصرهم إذ رمى
قلبي غزال بسهام فَمَا أخطأ بها قلبي ولكنما
سهماه عيان له كلَّما أراد قلبي بهما سلَّما¹

وبالإضافة إلى ما يلاحظ من تصريح الأبيات الستة، وهو نوع من لزوم ما لا يلزم، تجدر الإشارة إلى أن الأبيات توجد في ديوان عمر بن أبي ربيعة أيضا²، من الشعر المنسوب إليه، غير الموجود في أصول ديوانه.

3- 2- 9: التجميع:

والمجمع من الأبيات هو ما تهيأ ليكون مصرعا ولم يصرع، وقد جاء ذلك مرة واحدة في قوله:

كم غافل أدّى به الموتُ لم يأخذ الأهبة للفوت
من لم تزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت³

4- ظواهر عروضية جديدة في شعر أبي العتاهية:

هذا هو الصنف الثاني من الظواهر العروضية في شعر من سبقه من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والأمويين، وسنحاول بعد استعراضه بتفصيل توضيح قربه أو بعده من نظام الخليل.

4- 1- الكامل المسدس المرفل :

في شعر أبي العتاهية قصيدة من ستة عشر بيتا، أولها :

لله درُّ ذوي العقول المشعبات أخذوا جميعا في حديث الترهات¹

1- الديوان 638.

2- الديوان 500.

3- الديوان 79.

وقد اعتبر الزمخشري هذا الضرب شاذاً بين أنواع الكامل². وقد سبق لي أن اعتبرت إمكان وصف هذا النوع من الكامل بالمرفل خروجاً محدود الأفق عن نظام الخليل، بل يصح اعتباره دوراناً في الأفق الممكنة للنظام.

4- 2: الكامل المسدس المذيل:

ورد في ديوان أبي العتاهية قصيدة من اثني عشر بيتاً، أولها قوله :

أهل القبورِ عليكم مني السلامُ إني أكلمكم وليس بكم كلام³

وقد اعتبر الزمخشري هذا الضرب مثل سابقه شاذاً،⁴ ويصح اعتباره كذلك مثل سابقه خروجاً محدود الأفق عن نظام الخليل، ودوراناً في آفاقه الممكنة.

4- 3: مجزوء الرجز المقطوع المخبون:

يشتمل الديوان على قطعة من أربعة أبيات، أولها قوله :

أيا ذوي الوخامة أكثرئتم الملامة⁵

وهي في حالة نسبتها إلى مجزوء الرجز، يكون عروضها وضربها مقطوعين مخبونين، وذلك غير معروف في نظام الخليل، لكن صورة (مستفعلن فعولن) أو (مستفعلن مفعولن) معروفة في نظام الخليل في منهوك المنسرح المكسوف المخبون، ومنهوك المنسرح المكسوف. فتجديد أبي العتاهية يتجلى في تبين هذا النوع، أي جعله بيتاً من صدر وعجز، بعد أن كان في نظام الخليل منهوكاً، أي من شطر واحد فقط، وهو تجديد محدود يصح اعتباره مثل سابقه خروجاً محدود الأفق عن النظام، ودوراناً في آفاقه الممكنة.

1- الديوان 72.

2 - القسطاس 90، وانظر العلمي 229.

3- الديوان 341.

4- القسطاس، 90.

5 - الديوان 640.

4- 4: الخفيف المخبون المقصور:

وردت في الديوان قطعة من أربعة أبيات هي:

عُثِبَ ما للخيالِ	خَبَّرَني ومالي
لا أراه أتانِي	زائرا مذلِلالِ
لو رأني صديقي	رقاً لي أو رثي لي
أويراني عدوِّي	لان من سوءِ حالي ¹

وقد جعل الدماميني البيت الأول شاهداً على ما استدركه بعضهم في الخفيف للعروض المجزأة². ويتجلى تجديد أبي العتاهية في تعميم القصر والخبث على كل من العروض والضرب المجزأين، بعد أن كانا في نظام الخليل مقصورين على الضرب فقط. وهو تجديد - كما يلاحظ - محدود الأفق كسوابقه، ولا يتعدى أن يكون دورانا في الآفاق الممكنة لنظام الخليل.

4- 5: مقطوع المنسرح:

أثبت الخليل للمنسرح ثلاثة أنواع، أولها المطوي عروضاً وضرباً، والثاني المنهوك الموقوف، والثالث المنهوك المكسوف. وذكر كل من الصاحب بن عباد، والتبريزي، والسكاكي، والدماميني أن العروضيين ذكروا ضرباً مقطوعاً في المنسرح لم يذكره الخليل، شاهده قول عبد الغفار الخزاعي:

ذاك وقد أذعر الوحوش بصلِّ
تِ الخدِّ رخبٍ لبائِه مُجَفَّر³

واعتبره الشنتريني ضرباً شاذاً⁴.

1- الديوان 618.

2- الغامزة 206، العلمي 233، وجعله شوقي ضيف من مقلوب المديد (العصر العباسي الأول 196).

3- العلمي 233، الإقناع 57، الواجيز 148، المفتاح 203، الغامزة 203.

4- المعيار 76، والعلمي 234.

وقد وجدت في ديوان أبي العتاهية أحد عشر نصا من هذا النوع، الأول من أربعة أبيات، أولها:

الصمتُ في غير فكرة سهُوً والقولُ في غير حكمة لَغْوُ¹

والثاني من أربعة أبيات، والثالث يقيم، والرابع من ثمانية، والخامس من أربعة، والسادس من خمسة، والسابع من اثنين، والثامن من اثنين، والتاسع من أربعة، والعاشر من اثنين، والحادي عشر من ثمانية أبيات.

وما قيل في الأربعة السابقة، يقال في هذا، فهو تجديد لا يتعدى جعل الضرب مقطوعا، يعد أن كان في نظام الخليل مطويا فقط. فهو محدود في طبيعته كذلك، ولا يتجاوز آفاق النظام المرسومة.

4- 6: المقتضب المطوي المقطوع:

أثبت الخليل للمقتضب نوعا واحدا، هو المجزوء المطوي عروضاً وضرباً. وقد وجدت في ديوان أبي العتاهية بيتين، أولهما هو:

هَن يَنْتَقِينَا واحداً فواحداً²

والثاني هو :

لِلْمَنُونِ دَائِرَا تَ يُدِرْنَ صَرْفَهَا³

وبعض المصادر تجمع البيتين هكذا:

لِلْمَنُونِ دَائِرَا تَ يُدِرْنَ صَرْفَهَا

هَن يَنْتَقِينَا واحداً فواحداً

1- الديوان 430.

2- الديوان 522.

3- الديوان 580.

دون الاهتمام الواضح بعدم اتفاق قافيتهما. وفي رأي محمد مصطفى هدارة أن هذا الوزن يمكن أن يكون من المقتضب¹، بينما يعتبره شوقي ضيف من مقلوب البسيط (فاعلن متفعّلن)². وأنا أميل إلى رأي هدارة، وأعتبره من المقتضب المطوي المقطوع عروضاً وضرباً. وإذا أخذنا برأي هدارة الذي رجحت، كان سيرا في الطريق الذي سلكه من نظم في مقلوب بحور الخليل، وهو تجديد محدود الافق أيضاً.

4- 7: المتدارك:

نقل جامع أشعار أبي العتاهية المرحوم د. شكري فيصل في الديوان، عن مروج الذهب 3 بيتين لأبي العتاهية من المتدارك، هما:

هَمْ الْقَاضِي بَيْتٌ يُطْرَبُ قَالَ الْقَاضِي لَمَّا عُوْتُبُ
مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا مُدْنِبٌ هَذَا عَذْرُ الْقَاضِي وَأَقْلَبُ⁴

ويلاحظ أن إيقاعهما هو إيقاع الأبيات التي تنسب للخليل، وأولها:

هَذَا عَمْرُو يَسْتَعْفِي مِنْ زَيْدٌ عِنْدَ الْفَضْلِ الْقَاضِي⁵

بغض النظر عن كون بيتي أبي العتاهية قد التزمت تقفية عروضيهما معاً، مما يقربهما من المشطور. وإذا صح أن أبا العتاهية قد خرج عن نظام الخليل في هذين البيتين، فهو خروج - كما سبق - مرتين بخروج الخليل نفسه في شعره عن النظام الذي استتبّطه من الشعر العربي.

5- مختلفات :

والأمور المختلفة ثلاثة:

- 1 - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني 572.
- 2 - العصر العباسي الأول 196.
- 3 - 39/4، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- 4 - الديوان 500.
- 5 - شعر الخليل 348.

5- 1: أولها: ما وجدته من خلل في الوزن، وهو كما يلي:

5- 1- 1: بقوله التالي، وهو آخر قصيدة من أربعة وعشرين بيتا من المنسرح:

فر من اللؤم واللئام ولا تدنُ منهم فإنهم جرب¹

في عجزه نقصان، ورواية البيت في الديوان من طبعة دار صادر² هكذا:

..... تدنُ إليهم

وبها يستقيم.

5- 1- 2: وبيته التالي، وهو تاسع قصيدة من ثلاثة وثلاثين بيتا، من الخفيف:

أين نمرود وابنه أين قارو ن وهامان ذو الأوتاد³

في عجزه نقصان، وروايته في طبعة دار صادر من الديوان⁴ هي:

..... ن وهامانُ أين ذو الأوتاد.

وبها يستقيم.

5- 1- 3: وبيته المقبل، وهو ثاني قطعة من سبعة أبيات من الخفيف:

يا بني الدنيا أتغرون بالدن يا وليست لأهلها بمَحَكَّة⁵

نقل المحقق رواية أخرى هي (أتغتر)، ولاحظ أن الوزن لا يستقيم بهما. والبيت في طبعة دار صادر⁶ برواية (أيتغر)، ولا يستقيم الوزن بها كذلك. وأرى أن البيت يستقيم بتعويض (هل) لهزمة الاستفهام، هكذا:

1 - الديوان 25.

2 - ص 37.

3 - الديوان 113.

4 - ص 131.

5 - الديوان 338.

6 - ص 131.

دعوة الحق

يا بني الدنيا هل تغفرون بالذن يا وليست

فلا يعدو الأمر أن يكون سهوا من الناسخ فيما أرجح.

5- 1- 4: والبيت اليتيم التالي:

ليس للمتعب الكادح من دن ياه إلا الرغيف والطمران¹

لاحظ المحقق أن وزنه لا يستقيم، وقال: "ولعله (المكدح)"، ولا يستقيم.

5- 2: وثاني المختلفات الثلاثة هو البيت المشار إليه آنفاً، وهو الملفق من صدر من الكامل وعجز من الطويل، وهو:

شهدت قريش والقبائل كلها بفضل أمير المؤمنين محمد²

وقد لاحظ المحقق ذلك. وسبق لي أن اعتبرت قراءته هكذا:

شهدت
.....

صالحة لجعل الصدر كذلك من الطويل.

5- 3: أما ثالث المختلفات فهو وهم المحقق في تعيين بحر ثمانية نصوص، فهو المسؤول عن ذلك - غفر الله له - لا أبو العتاهية، وذلك فيما يلي:

5- 3- 1:

اقطع الدنيا بما انقطعت وادفع الدنيا بما اندفعت³

هو أول ثلاثة، جعلها من الرمل، وهي من المديد.

5- 3- 2:

الناس في الدين والدنيا ذوو درج والمال ما بين موقوف ومختلج⁴

1 - الديوان 647.

2 - الديوان 526.

3 - الديوان 82.

4 - الديوان 90.

هو أول سبعة، جعلها من الكامل، وهي من البسيط.

5- 3- 3:

المرء يشقى بكل أمرٍ لم يُسعد الله فيه جدّه¹

هو أول ثلاثة، جعلها من المنسرح، وهي من مخلع البسيط.

5- 3- 4:

يا ساكن القبر عن قليل ماذا تزودت للرحيل²

هو أول واحد وعشرين، جعلها من المنسرح، وهي من مخلع البسيط.

5- 3- 5:

تفكر قبل أن تقدم فإنك ميت فاعلم³

هو أول سبعة جعلها من الهزج، وهي من مجزوء الوافر.

5- 3- 6: بيت يتيم هو :

بكت عيني على عيسى بن جعفر عفا الرحمن عن عيسى بن جعفر⁴

ضبط المحقق راء (جعفر) في الموطنين بالكسر، وجعل البيت من الهزج التام، وقال: "وإن كان الهزج لا يستعمل إلا مجزوءاً". والصواب تقييد (جعفر) في الموطنين معاً، فهو من الوافر.

5- 3- 7: البيت اليتيم التالي:

وما زلت تُنعى برجم الظنون وقد جاءت النُعيّة الصادقة⁵

1- الديوان 133.

2- الديوان 300.

3- الديوان 356.

4- الديوان 552.

5- الديوان 586.

جعله من الوافر، وهو من المتقارب.

5- 3- 8:

ما أنا إلا لمن بغاني أرى خليلي كما يراني¹

هو أول أربعة عشر بيتا، جعلها من المنسرح، وهي من مخلع البسيط.

وهذه المختلفات لا يصح مطلقا أن تعتبر داخلة في العثرات والسقطات العروضية، فما ورد في الأفكار السابقة التي وجدناها عند القدماء لا نجد له دليلا فيما جمع من شعر أبي العتاهية، فهو منزّه عن السقطات العروضية، بله أن يكون مكثرا منها فيما وصلنا من شعره.

6- خاتمة :

وأخصص خاتمة هذا البحث للحديث عن مجمل الأفكار التي جاءت في أقوال القدماء السابقة عن أبي العتاهية، ويهمني منها كما سبق ما تعلق بالجانب العروضي المحض، وهو ما يلي:

(1) له أوزان لا تدخل في العروض وشعر العرب.

(2) استقامة هذه الأوزان في الهاجس.

أما الأوزان المنتمة لنظام الخليل فهي التي بلغت كما سبق في الجدول الإحصائي المفصل 808 نص، وأما الباقي وهو 19 نصا، فيظهر أن وصف الكامل بالمرفل والمذيل، ومجزوء الرجز بالقطع والخبث، والمنسرح بالقطع، ومجزوء الخفيف بالخبث والقصر، والمقتضب بالطي والقطع، مما جعل الخروج الظاهر عن نظام الخليل محدودا في أفقه، ودائرا في آفاقه الممكنة، بدليل إمكان وصفه بمصطلحات النظام نفسها.

أما ما سبق في قول القدماء من حكاية أبي العتاهية إيقاع مدقة القصار، فقد رأينا أنه لم ينتج في رأي محمد مصطفى هدارة الذي رجحته سابقا، غير الطي والقطع الذين لحقا المقتضب، أو قلب البسيط في رأي شوقي ضيف، وذلك كله لا يتعدى فلك النظام الخليلي.

فهل يصح إذن أن يكون أبو العتاهية أكبر من العروض؟

قراءة في كتاب

عرض لكتاب: تاريخ المغرب الحديث والمعاصر- دراسات وبحوث لإبراهيم بوطالب

أحمد بلخيري - فاس

تمهيد: آثرنا استعمال كلمة عرض وتقديم، أي إعطاء فكرة موجزة عن الكتاب، بدل استعمال كلمة قراءة لما تتطلبه من منهجية ومواصفات من جهة، ومن جهة أخرى لصعوبة تتبع القضايا والمواضيع التي عالجها الكتاب المؤلف من أربعة أجزاء والتي تتجاوز عدد صفحاتها الألف والأربعمئة¹ بامتدادها الزمني من القرن السابع عشر إلى نهاية القرن العشرين، بل ترجع إلى القرن الخامس عشر عند الحديث عن الاحتلال الإسباني لسبتة ومليلية وحجر بادنس. واتساعها المجالي انطلاقاً من المغرب عبر المغرب العربي والدولة العثمانية والدول الأوروبية كإسبانيا وفرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة وأحداث أوروبا الشرقية.

- قصة إخراج الكتاب:

في حوار أجرته مجلة أمل مع الأستاذ بوطالب طرح عليه طاقم التحرير السؤال التالي: ساهم أستاذنا في ملتقيات عديدة ونشر مجموعة من المقالات في مناسبات مختلفة، هل فكرتم يوماً في جمع هذه المساهمات بين دفتي كتاب؟² طرح هذا السؤال على الأستاذ بوطالب سنة 1993م ولم تتم الاستجابة له ويرى الكتاب النور إلا سنة 2013م.

- تقديم المؤلف لكتاب تاريخ المغرب

يستهل الأستاذ بوطالب المؤلف بتقديم يشرح من خلاله ظروف إخراج الكتاب. قصة هذا الكتاب تقتضي أن تروى للقارئ الكريم من أواخرها لما يحفزني من واجب الشكر للشخصين الفاضلين الأستاذ عمر أفا والعميد عبد الرحيم بن حادة اللذين لولاهما لما اجتمع شتات هذا المؤلف ولما كتب له النشر³.

1- إبراهيم بوطالب: تاريخ المغرب الحديث والمعاصر دراسات وبحوث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة بحوث ودراسات رقم 27 ط، الأولى 2014م.

2- مجلة أمل التاريخ والثقافة المجتمع، حوار مع الأستاذ إبراهيم بوطالب ع- الثالث السنة الأولى 1993م، ص 143.

3- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب الحديث والمعاصر مرجع سابق ص 11.

وقيل قديما بأن شرف العلم نشره. ويشرح المؤلف للقارئ سر اهتمامه وشغفه بالتاريخ الحديث والمعاصر: واستوقفني من هذه الحقبة الممتدة على مدى خمسة قرون ما تجلى فيها من أسباب التغيير الجذري في كل مجال.

وأصبح التاريخ فيها لا يقف عند قارة واحدة أو عند مجموعة من الأقطار، وأن التغيير أضحى ثورة وتوقانا نحو الرقي والازدهار، وأهمني من هذه الثورة نصيب المغرب منها ومكانته فيها، هو الذي يقع على ضفتي البحر المتوسط والمحيط الأطلسي¹.

ويجد القارئ في هذه الأبحاث بعض ما كتبت عن منهجية علم التاريخ، أما بقية الأبحاث والمقالات فإنها جاءت وليدة المناسبات مثل ذلك ما كتبت عن الثورة الأمريكية سنة 1976 بعد مرور مائتي عام على قيامها، وكذلك قدمت لبعض الكتب مثل سلوة الأنفاس.

ويختتم الأستاذ بوطالب تقديمه بتواضعه المعهود: وأنا أعلم أن من ألف استهدف وأن الذين تفضلوا واطلعوا على ما كتبت لن يجدوا في هذين المجلدين أبحاثا جديدة أو أقوالا مبتكرة، بيد أن نشرها متصلة مجتمعة في قالب واحد يجعلها مؤلفا فيه ما فيه من الانسجام، وصنفنا مجموع هذه الدراسات إلى خمسة أقسام رتبناها كما يلي:

- القسم الأول: التاريخ الحديث
- القسم الثاني: التاريخ المعاصر
- القسم الثالث: قضايا ومفاهيم منهجية
- القسم الرابع: مقالات وعروض بيبليوغرافية
- القسم الخامس: بحوث باللغة الفرنسية

وقد جاء بحمد الله في أربعة أجزاء².

- سيرة المؤلف الأستاذ إبراهيم بوطالب

صاغ هذه السيرة الأستاذ أفا لصلته الحميمة ومعرفته الشخصية بالأستاذ انطلاقا من مجموعة من الوثائق والمراجع استهلها بقوله: جمع الأستاذ إبراهيم بوطالب إلى كونه من علماء

1- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب ... مرجع سابق ص 14 - 15.

2- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب ... مرجع سابق ص 18

التاريخ المعاصرين تضلعه في مجال السياسة والرأي صادرا في كل ذلك عن روح وطنية وفكر نزيه¹.

عين أستاذا للتاريخ المعاصر بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط ابتداء من 1964م، وعميدا لكلية ومديرا للمدرسة العليا للأساتذة، وعضوا في البرلمان سنة 1977م. تولى رئاسة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، وعينه صاحب الجلالة عضوا في لجنة الإنصاف والمصالحة. أرخ له مؤرخ المملكة عبد الوهاب بنمنصور قائلا: إبراهيم بن عبد العزيز أبو طالب الإدريسي عالم وسياسي مغربي ... يساعده على النجاح فكر نير وذكاء كبير. أطلق السنة أساتذته من مغاربة وأجانب بالثناء على نجابته، وهو من رجال الفكر المرموقين في المغرب².

وإبراهيم بوطالب من الذين تصدوا بشكل من الأشكال للكتابة التاريخية الكولونيالية ومقولاتها وأرشيقاتها³. ومما قاله في القسم الثالث من الكتاب الذي حمل عنوان (قضايا ومفاهيم منهجية): للمغرب تقاليد عريقة في الكتابة التاريخية فإنها تشكل جانبا ضخما بتنوع أمتنا الفكرية. إن تدوين التاريخ ليس دليلا على الأصالة والحضارة فحسب، وإنما هو تعبير عن الذات وتمسك بالهوية⁴. وهو الاتجاه الذي أكدته الأستاذ العروي: لا مراء في أن أول مظاهر المقاومة في المغرب، انبثق عن شعور وطني محلي وعفوي، ما لبث أن حمل معاني متطورة مخالفة تماما لما سعى مؤرخو الاستعمار إلى إلصاقه بها⁵.

واعترافا من الجامعة المغربية بجهود الأستاذ بوطالب أصدرت كلية الآداب كتابا حمل عنوان: وقفات في تاريخ المغرب دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب تربو صفحاته على السبعمائة، متضمنا أزيد من ثلاثين بحثا ودراسة، برهان مودة وتقدير وعرفانا بما قدمه للحقل التاريخي المغربي⁶.

1- نفسه، ص 21.

2- عبد الوهاب بنمنصور: أعلام المغرب العربي ج 1 ص 211 المطبعة الملكية الرباط 1979

3- محمد حبيدة: يؤس التاريخ مراجعات ومقاربات، دار الأمان ص 1 - 2015 ص 49.

4- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب ... مرجع سابق ص 920.

5- عبد الله العروي: الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية 1830 - 1912 تعريب محمد حاتمي، محمد جادور

المركز الثقافي العربي ط الأولى 2016 ص 578

6- وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب بالرباط ط الأولى 2001م.

- تاريخ المغرب الحديث والمعاصر

- العصر العلوي الأول

استهل الأستاذ بوطالب القسم الأول من التاريخ الحديث ببحث مطول عن العصر العلوي الأول جمع فيه شتات المعلومات المتفرقة في المصادر التي أرخت للدولة العلوية، تتبع من خلاله مسار قيام الدولة والتطورات التي عرفها المغرب وهو أطول مقالات المؤلف تجاوز عدد صفحاته المائة، محللاً من خلاله الخطوات الأولى للتشيد مع المولى علي بن الشريف حيث اقترن تربع الشرفاء العلويين على عرش المغرب قبل منتصف القرن السابع عشر بتغير عميق في مجرى تاريخ المغرب، وصار قوام الشرعية السياسية في المغرب مرتبطاً بضرورة الكفاح ضد التغلغل الأوربي¹.

المولى الرشيد: اتفق المؤرخون على القول بأن أعمال المولى الرشيد نزلت على البلاد بمثل ما ينزل الغيث على أرض طال تعطشها إليه، والواقع أن البلاد جمعاء كانت قد سئمت نصف قرن من الفتنة والصراعات الدامية، وكان لا ينبهر بهول الحاضر وينظر إلى ما وراءه بنظرة ثاقبة، ولذلك يمكن أن تعتبر أعماله بمثابة النموذج السياسي العام الذي سيقبلي به ملوك الدولة العلوية من بعده².

وهو ما أكد عليه الأستاذ محمد الفاسي قائلاً: وكان المولى الرشيد يتصف بخصال حميدة منها الكرم والشجاعة والتواضع حتى أنه كان يحضر بنفسه مجالس العلم بالقرويين وهو ملك، ويمكن أن يعتبر رحمه الله المؤسس الحقيقي لهذه الدولة³.

المولى إسماعيل: إن كان لويس الرابع عشر هو أشهر شخصيات الأمم المسيحية في النصف الثاني من القرن السابع عشر، فإن المولى إسماعيل كان هو أشهر رجالات دار الإسلام لحوض البحر المتوسط، إلى ذلك يثير إعجاب الأوروبيين بما كان عليه من الزهد والتقشف في العيش⁴ وهي الخلاصة التي توصل إليها محررو (تاريخ المغرب تحيين وتركيب). ولم يلبث أن برز اسمه - مولاي إسماعيل - كواحد من جملة الفاعلين الأساسيين بفقر

1- إبراهيم بوطالب: تاريخ المغرب ... مرجع سابق ص 39- 40

2- إبراهيم بوطالب: تاريخ المغرب ... مرجع سابق ص 56

3- محمد الفاسي وحي البيئة، دار الكتاب الدار البيضاء ط الأولى 1970م، ص 40.

4- إبراهيم بوطالب: تاريخ المغرب ... مرجع سابق ص 65.

المتوسط وأصبح عهده بالنسبة للإخباريين معيارا لعهود سابقة وأخرى لاحقة، نظرا لطول مدته وكثرة مستجداته¹.

أسهب الأستاذ بوطالب في استعراض جهود المولى إسماعيل للنهوض بالدولة المغربية وترسيخ دعائم المخزن بإقامة جيش نظامي، ولم ينس المولى إسماعيل بما جبل عليه من الدهاء السياسي أن عظمة الدولة تبدو من عظمة ما تقيم من الآثار إذ كان البناء من أقوى الهويات على نفسه، وتبلورت السياسة الخارجية للمولى إسماعيل في تحرير الثغور المحتلة وافتداء الأسرى وتطوير المبادلات التجارية مع أوروبا، وعرج البحث على أزمات المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل والصراع بين الأمراء على العرش، وصولا إلى فترة حكم المولى محمد بن عبد الله.

حيث تتبع الأستاذ بوطالب الإصلاحات السياسية والدينية والعلمية والسياسية الخارجية، فقد وضع سيدي محمد خاتمه الشريف على ما يناهز أربعين معاهدة تنظم العلاقات بين المغرب ومختلف الدول الأوروبية².

واعتبر الأستاذ بوطالب عهد سيدي محمد أوج العصر العلوي الأول وهو عصر فاصل في تاريخ المغرب.

وإدراكا من الأستاذ بوطالب بأهمية النصوص التي تشكل بمختلف أنواعها مصدرا هاما من مصادر كتابة التاريخ، وكلما كثرت النصوص وتنوعت كان ذلك أدعى إلى معرفة الفترة المدروسة، فقد أغنى مقال العصر العلوي الأول بعدد وافر من النصوص والوثائق من مختلف المشارب، فالدولة العلوية أكثر الدول المغربية مصادر تاريخية، اعتبارا بانفساح أيامها، واعتبارا - أيضا - بمعاشيتها لمرحلة نهضة أوروبا حيث ازدهرت كتابة التاريخ بأوروبا وفي فرنسا بصفة أخص³.

1- تاريخ المغرب: تحيين وتركيب، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب الرباط 2011 ص 406.

2- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب مرجع سابق ص 134

3- محمد المنوني: المصادر الرئيسية لتاريخ الدولة العلوية جامعة مولاي علي الشريف الخريفية مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني دجنبر 1989 ص 26.

- مكانة السلطان محمد الخامس في تاريخ المغرب -

يمكن للمؤرخ أن يستعرض سيرة محمد الخامس - طيب الله ثراه - من عدة زوايا أسهلها أن ينطلق من اللحظة التي بويغ فيها بالملك يوم 18 نونبر 1927م، ثم يتتبع منجزاته وخطبه وأقواله، إلى أن لبي داعي ربه يوم 26 فبراير 1961م بعد ثلاث وثلاثين سنة من تحمل المسؤولية الكبرى، وهي ثلاثة مراحل على تفاوت في الامتداد الزمني تمتد الأولى من لحظة البيعة إلى قيام الحرب العالمية الثانية، وامتدت المرحلة الثانية من سنة 1939م إلى سنة 1955م والمرحلة الثالثة هي مرحلة الجهاد الأكبر باسترجاع المغرب سيادته الكاملة¹. وطرح الأستاذ بوطالب مجموعة من التساؤلات وشرع في الإجابة عنها، منها، السر الذي جعله بطل التحرير، ولماذا ذاع صيته حتى أصبح قائدا سياسيا من أكبر قادة عصره، ورجلا أثيرا من بين عظماء الرجال يذكر اسمه بإجلال في التاريخ². ويستشف من خلال كتاب (تاريخ المغرب تحيين وتركيب) نوعا من الإجابة عن جانب من هذه التساؤلات، وبعد واقعة الظهير البربري وما ترتب عنها من وعي وغلbian انحاز السلطان بشكل تام إلى صف المطامح الوطنية، وجاءت ظرفية الحرب العالمية الثانية لترسخ هذا الاختيار ومنذ ذلك الحين أصبحت إدارة الحماية تنظر إلى محمد بن يوسف على أنه المحرك الخفي لجميع المبادرات الوطنية بما فيها تقديم وثيقة الاستقلال³. ومما يسترعي انتباه المؤرخ الذي يعنى بحركة التطور والتقدم من أعمال محمد الخامس المؤثرة في مسيرة البلاد نهوضه بالاختيار الاستشاري الديموقراطي فقال رحمه الله: وإنه لمن أسعد أوقاتنا هذه الساعة التي نفتتح فيها أشغال المجلس المكلف بوضع مشروع دستور المملكة، وليس بخاف على أحد أننا لم نفتأ ندعو منذ سنوات طويلة إلى الديموقراطية ونبشر بمحاسنها.

وحيثما كنا نعبر عن إيماننا بالديموقراطية وإرادتنا في إنشاء نظام ملكية دستورية كنا نعبر في الوقت نفسه عن إيمان شعبنا وإرادته لأننا وشعبنا كل لا يتجزأ، ونهدف جميعا إلى جعل مغربنا العزيز وطننا راقيا عظيما⁴، وهو ما أكدده الأستاذ عبد اللطيف المنوني. بقوله : "وتجدر الإشارة إلى أنه كان لدى محمد الخامس وعي حاد بتداخل مهام التحرير بقضايا

1- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب... مرجع سابق ص 699.

2- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب... مرجع سابق ص 700.

3- تاريخ المغرب تحيين وتركيب... مرجع سابق ص 597.

4- إبراهيم بوطالب: تاريخ المغرب... مرجع سابق ص 696.

التأسيس الدستوري، بل يمكن أن نلاحظ من خلال أعمال محمد الخامس ومن خلال توجيهاته ارتباطا بين نمو الكفاح التحريري والتركيز على المهام الدستورية الديمقراطية¹.

وقد عبر الأستاذ البيوري في ذاكرته المستعادة عما يكنه الشعب المغربي لمحمد الخامس: "لو رأيت يا صديقي هذا الشعب يوم خلع ملك المغرب محمد الخامس، لو تمكنت من قراءة تلك النظرات الصارمة، لعرفت أن هناك وراء السحنات اليائسة بركانا سينفجر ويمحق الاستعمار وأزلامه، ويفرض رجوع محمد الخامس وكأنه قدر مقدور"².

من هنا أتت محورية عهد محمد الخامس ومن هنا جاءت أهميته الخاصة بالنسبة لتاريخ المجتمع المغربي³.

- الحسن الثاني والروح الوطنية

شغل الحديث عن المغفور له الملك الحسن الثاني حيزا معتبرا من كتاب تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، وتطرق الأستاذ بوطالب إلى عهده من خلال مائة صفحة عبر ستة مقالات جاءت كالتالي:

- الحسن الثاني والروح الوطنية

- الحسن الثاني وقضايا المواطن المغربي

- السياسة الداخلية عند الحسن الثاني

- الحسن الثاني والسياسة الاقتصادية

- الحسن الثاني ومفهوم التغيير

- الحسن الثاني والسياسة الخارجية

استهل الأستاذ بوطالب هذه المرحلة من تاريخ المغرب بالحديث عن خصال ومميزات الحسن الثاني: "كان ملكنا الراحل نابغة جيله، شعلة من الفطنة والحدق، شهد له بذلك الخصوم والأعداء قبل الأقرباء والأصدقاء، وهبه الله موهبة طلاقة اللسان وسرعة البديهة

1- عبد اللطيف المنوني: بعض ملامح الفكر الدستوري عند محمد الخامس، جمعية رباط الفتح 1988م ص 465-466.

2- أحمد البيوري: ذاكرة مستعادة عبر أصوات ومنظورات المدارس الدار البيضاء ط الأولى 2014م ص 17

3- محمد القبلي: ملاحظات منهجية حول دراسة عهد الملك الراحل محمد الخامس جمعية رباط الفتح 1988م ص 451.

ودقة التعبير، تجلى ذلك منذ خطبه الأولى، فحسن التعبير مقترن لزوما بحسن التفكير¹ وشخصية الحسن الثاني كانت متكاملة متجانسة فكان رجل دراسة وتمحيص مثلما كان رجل الأوراش والممارسة والعمل الدؤوب ويشير الأستاذ بوطالب إلى أنه من المستحيل أن يلم المرء بمفرده بأعمال الملك الحسن الثاني حتى ولو كان مطلعاً تمام الاطلاع² وهو الأمر الذي أشار إليه الملك محمد السادس في الرسالة الموجهة إلى الندوة الدولية المنظمة في موضوع: "الحسن الثاني: سيرة وأمجاد":

لاشك في أن تخليد ذكريات قادة الأمة وأعلامها سلوك حضاري وثقافي عظيم الأثر، يربط الماضي بالحاضر ويؤسس للمستقبل في ضوء تجربة الحاضر وعبرة الماضي، وهو الأمر الذي لا يجعل الأجيال المتتالية تعتز بأمجادها وبطولات قادتها فقط وإنما تستوحي من مناقبهم المثل والمبادئ وتتخذ منهم القدوة الصالحة وتحفزهم على الإضافة والجمع بين الطارف والتلبد والأصيل والجديد³.

- السياسة الداخلية عند الحسن الثاني

يشير الأستاذ بوطالب إلى صعوبة تناول كل مرحلة على حدة من مراحل حكم الحسن الثاني، وتناول بالنقاش مبادئ الحكم، البيعة، ثورة الملك والشعب مظاهر الملكية الدستورية، فما فتى الحسن الثاني يقول في خطبه وفي أحاديثه مع رجال الإعلام والصحافة: "إن الديمقراطية عنده هي مزاجية بين الأصالة والحداثة وضمان الحريات العامة للجميع رجالاً ونساء"⁴ وتحدى جلالته رحمه الله مواقف أولئك الذين يريدون أن يجعلوا من المرأة - نصف المجتمع - من سقط المتاع لا تصلح إلا للتدبير المنزلي، فولى المرأة المغربية سابغ عنايته ووافر رعايته، وأصلح مدونة أحوالها وجعلها تتبوأ مقعدها تحت قبة البرلمان، وتجلس على كرسي الوزارة، وتشارك في اتخاذ القرارات الهامة ومراكز المسؤولية العليا⁵.

1- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب ... مرجع سابق، ص 727.

2- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب ... مرجع سابق، ص 739.

3- الحسن الثاني سيرة أمجاد: منشورات جمعية رباط الفتح المطبعة الملكية الرباط 2001م.

4- إبراهيم بوطالب: تاريخ المغرب - مرجع سابق - ص 771.

5- عبد الحق المريني: الحسن الثاني الملك المتحدى جمعية رباط الفتح مرجع سابق ص 37 - 38.

- الحسن الثاني والسياسة الخارجية

تميزت السياسة الخارجية التي انتهجها الحسن الثاني بمثل ما تميز به تسييره للشؤون الداخلية من التماسك والرصانة والتعقل، ولقد توفى والعالم بكامله يشهد بأنه كان من كبار القادة ومن حكماء عصره¹، وتجلت عبقرية الحسن الثاني في التعامل الدبلوماسي في سلسلة من الدوائر تمثل ما تمتد فيه وإليه جذور الشجرة المغربية، فالدائرة الأولى هي دائرة المغرب العربي، والثانية دائرة البلاد العربية، والدائرة الثالثة هي دائرة الأمة الإسلامية، والدائرة الرابعة هي الدائرة الإفريقية، والدائرة الخامسة هي الدائرة الأوروبية، والدائرة السادسة هي دائرة باقي العالم².

وقد لخص المرحوم عبد اللطيف الفيلاي سياسة الحسن الثاني بالقول: "عند اعتلائه العرش، ذكر الملك الشاب بثلاثة مبادئ أساسية بالنسبة إليه الوفاء للدولة العلوية التي حكمت المغرب منذ أواخر القرن السابع عشر والوفاء للتقاليد ثم الوفاء للماضي مع الانفتاح على المستقبل"³.

- محمد السادس في الجهاد الأكبر

تطرق الأستاذ بوطالب بداية إلى نشأة وتربية محمد السادس ومساره الدراسي، فقد قال جلالاته في استجواب مع مجلة "التايمز": "أود أن أعترف بفضل والدي المغفور له الحسن الثاني، لأنه أصر على أن أتلقى تعليمي في المغرب وليس في الخارج حتى أطلع بشكل أفضل على واقع البلاد"⁴.

وتمت الإشارة إلى مجمل المهام التي أناطه بها والده في الداخل والخارج، وحرصه على أن يكون الأمير مؤهلاً لتحمل المسؤولية الكبرى.

1- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب - مرجع سابق ص 809

2- إبراهيم بوطالب تاريخ المغرب - مرجع سابق ص 819

3- عبد اللطيف الفيلاي المغرب والعالم العربي دار النشر المغربية الدار البيضاء 2008م ص 57.

4- إبراهيم بوطالب: تاريخ المغرب - مرجع سابق - ص 826.

- منهجية محمد السادس:

إنها منهجية الملك المواطن الذي لا يتردد عن النزول من كرسي الملك ليلتمس بنفسه معاناة الشعب، فقد وهبه الله روح التواضع، فقد عبر جلالته قائلاً: "في ثقافة البلدان المتوسطة الناس يعبرون بوضوح عن مشاعرهم فهم مرهفو الإحساس، وأنا أيضا لدي نفس الإحساس"¹.

وتناول الأستاذ بوطالب بالتحليل المنجزات والأوراش التي فتحها الملك محمد السادس، وتغيير الجو السياسي الذي عرفه المغرب بوصوله إلى سدة الحكم، وقد اتضحت خطة محمد السادس منذ اللحظات الأولى من عهده، في العناية بالإنسان المغربي ومحاربة الفقر والهشاشة، والاهتمام بالفئات المحرومة والنهوض بأوضاع المرأة ودعم الديمقراطية ودولة الحق والقانون².

وقد سئل الملك محمد السادس عن الصورة التي امتلكها والده على صعيد تكريس الدور المغربي على الصعيد العربي والإقليمي فكان جوابه: "لئن كان المرحوم والذي قد رصع اسم بلاده في الخرائط الدولية، فإن همّ خليفته أن يرصع اسم المغرب في قلب كل مواطن مغربي"³.

1- إبراهيم بوطالب: تاريخ المغرب - مرجع سابق - ص 828.

2- إبراهيم بوطالب: تاريخ المغرب - مرجع سابق - ص 835.

3- خير الله خير الله: المغرب في عهد محمد السادس ماذا تغير... دار الساقي ط الأولى 2007م ص 7.

ديوان العدد

رسالة إلى الأمم المتحدة

الشاعرة: سميرة فرجي

بِأَسْمِ الدِّفَاعِ أَتَيْنَا نَرْفَعُ التُّهَمَا
 بَأَنَّنَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ أَهْلُ وَفَا
 الْعِزِّ وَالْحِلْمِ مِنْ أَخْلَاقِنَا، وَعَلَى
 فَمَا وَطِنُنَا ثُرَابَ الْغَيْرِ مَظْلَمَةٌ
 صَحْرَاؤُنَا رُكْنُ فَخْرٍ مِنْ هُوِيَّتِنَا
 وَفِي جَمَاهَا خَبَرْنَا أَلْفَ مَلْحَمَةٍ
 مَنْ كَانَ يَسْعَى إِلَى فَتْوَى فَمَغْرِبُنَا
 عُودُوا إِلَى الْحَقِّ، فَالتَّارِيخُ ذَاكِرَةٌ
 مَا أَفْدَحَ الظُّلْمُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ حَكْمٌ
 أَوْ يُشْرَعَ السَّمْعُ عَنْ جَهْلٍ لِمُنْتَقِمٍ
 قَوْلُوا لِمَنْ جَاءَكُمْ يَجْتَرُّ خُدْعَتَهُ
 قَوْلُوا لِمَنْ جَاءَكُمْ يَبْغِي مَسَاوِمَةً
 أَغَاصِبُ الْحَقِّ أَمْسَى غَيْرَ مُتَّهِمٍ
 لَوْ كُنْتَ تُصَيِّفُ شَعْبًا فِي قَضِيَّتِهِ
 فَتِلْكَ "تَبْدُوفٌ" مِنْ أَعْلَى مُضَارِبِنَا
 وَتِلْكَ "بَشَارٌ" مِثْلَ الشَّمْسِ شَاهِدَةٌ
 إِنَّا أَلْفْنَا جَرَّاحَ الْغَدْرِ مِنْ زَمَنِ
 وَنَشْهَدُ النَّاسَ وَالتَّارِيخَ وَالْأَمَمَا
 مِنْ أَجْلِ نُصْرَتِهِ نَسْتَنْهَضُ الْهَمَمَا
 جَبِينِ أَيَّامِنَا الْغُرَاءِ قَدْ رُسِمَا
 وَمَا أَرْقَنَا عَلَى أَرْضِ الْعِبَادِ دَمَا
 وَقَدْ بَنَى صَرْحَهَا أَجْدَادُنَا قِدَمَا
 ضِدَّ الْعُدَاةِ وَمَنْ حَاكُوا لَنَا التُّهَمَا
 أَفْتَى وَفِي حُكْمِهَا الذَّاتِي قَدْ حَسَمَا
 تُحْرِقُ عَلَى جَمْرِهَا أَوْرَاقُ مَنْ زَعَمَا
 يَسْتَعْجِلُ الْحُكْمَ مِنْ أَعْلَى إِذَا حَكَمَا
 فَيَصْبِحُ الْخَصْمُ فِي أَمْرِ لَنَا حَكَمًا!
 ظَلَمًا وَزَيْفًا وَتَضْلِيلًا وَمَا أَحْتَشَمَا
 وَيَشْتَرِي مِنْكُمْ الْأَصْوَاتَ وَالذَّمَمَا
 وَصَاحِبُ الْحَقِّ أَمْسَى الْيَوْمَ مُتَّهِمًا؟
 مَا كُنْتَ تَسْلُبُ مِنْ صَحْرَائِنَا نِعَمًا!
 فِي سَالِفِ الدَّهْرِ رَسَخْنَا بِهَا الْقَدَمَا
 أَنَّا رَفَعْنَا عَلَى جُودَرَانِهَا الْعِلْمَا
 وَقَدْ صَبَرْنَا عَلَى أَوْجَاعِنَا شَمَمَا

إِنْ غَضَّ عَنْكَ حَكِيمُ الدَّارِ أَعْيْنَهُ
وَلَا تَخُلْ رَفْعَةَ الْعِمْلَاقِ مُنْقَصَةً
الدَّهْرُ يَا جَارُ أَحْيَانًا يُعَلِّمُنَا
هَذِي عُرُوبَتُنَا فِينَا مُمَزَّقَةً
وما "الربيع" الذي أعمى بصيرتها
بَعْدَادُ تَفَرَّقُ فِي أَرْزَائِهَا، وَعَلَى
وَالنَّارُ تَلْتَهُمُ الْإِخْوَانَ فِي عَدَنٍ
وَهَا هِيَ الْقُدْسُ تُكَلَّى، تَسْتَفِثُ بِنَا
مَاذَا يَرِيدُونَ مِنَّا الْيَوْمَ: تَفَرِّقَةً
الْغَاصِبُ الْمَارِدُ الْجَانِي يُحَرِّكُنَا
مَا هُمُّهُ مِنْ أَكَاذِيبِ السَّلَامِ سِوَى
فَهْلُ نُبَارِكُ مَنْ يَبْغِي تَشْتِئُنَا
وَهْلُ سَنَبْقَى ضَعَافًا تَحْتَ رَايَتِهِ
يَكْفِيكَ يَا جَارُ أَنَا أُمَّةٌ طُعِنَتْ
فَلَمْلِمِ الْجَهْدِ إِنَّ الْخَطْبَ مُرْتَقِبٌ
وَلَا تَزِدْ حَطْبًا فِي نَارِ مِحْنَتِنَا
صَحْرَاؤُنَا كَبِدٌ مِنْ جِسْمِ مَغْرِبِنَا
إِنَّا اتَّحَدْنَا وَأَقْسَمْنَا بِحُرْمَتِهَا
وَلَنْ نُفَرِّطَ فِي شَيْءٍ بِهَا أَبَدًا

فَلَا تَخُلْ أَنْ فِي عَيْنِ الْحَكِيمِ عَمَى!
إِنْ كَانَ سَاعِدُهُ لَمْ يَبْلُغِ الْقَرَمًا!
أَنْ نَقْبَلَ الصَّمْتُ كَيْ لَا نَخْسَرَ الْقِيَمَا
تُعَاقِرُ الْبُؤْسَ وَالْخَذْلَانَ وَالْأَلَمَا
سَوَى خَرِيفٍ جَنَّتْ مِنْ بَعْدِهِ الْجِمَمَا!
أَنْفَاسٍ سَرَتْ حِدَادُ أَسْوَدُ جَثَمَا
وَمِرْجَلُ الْقَتْلِ فِي الْفِيحَا قَدْ اضْطَرَمَا
فَهْلُ نُصَافِحُ كَفَا تَخْدِشُ الْحَرَمَا؟
أَمْ فَتْنَةٌ تُشْعَلُ الْأَضْغَانَ وَالنَّقَمَا؟
حَتَّى غَدَا الْإِخْوَةُ الْأَعْدَاءُ مِثْلُ دُمَى
أَنْ يَسْرِقَ الْأَرْضَ وَالْبَتْرُولَ وَالْحُلُمَا
وَهْلُ نُجَارِي وَلَوْ بِالصَّمْتِ مَنْ ظَلَمَا؟
وَهْلُ سَنَسْعَى إِلَى تَقْسِيمِ مَا انْقَسَمَا؟
بِنَصْلِ غَاصِبِهَا وَالْجَرْحِ مَا التَّامَا
وَأَسْمَعُ نَوَاقِيسَهُ، لَا تَدْعُ الصَّمَمَا!
إِنَّا مَضَيْنَا إِلَى غَايَاتِنَا قُدُمَا!
وَلَا حَيَاةَ لَهُ يَوْمًا إِذَا انْفَصَمَا
عَلَى النُّضَالِ، وَلَا لَنْ نُكْسِرَ الْقَسَمَا
وَلَوْ شَرِبْنَا عَلَى أَطْرَافِهَا الْعَدَمَا!

أيها العرش المفدى

الشاعر: عبد الحميد بنزوية
المدرسة المولوية بالرباط.

سوف تبقى في المعالي الأنسبا	أيها العرش المفدى مرحبا
تلبس الشمس ضياء معجبا	سوف تزهو في سلاليم الهدى
قد رأيناك القريب الأقربا	منذ إدريس الشريف المرتضى
تعتلي يمنا غزيرا أرحبا	قد لمسنا فيك فتحا ماجدا
حققوا فيك العزيز الأنجبا	كنت للآباء مجدا مشرقا
ليعيش الكل فينا كوكبا	ناضلوا بالروح في ساح الوغى
تصنع العيش الرغيد الأطيبا	لترى الدولة في عز العلى
عش كريما فالثرى قد أخصبا ²	أيها العرش الحبيب المنتدى
كان حرا كان عذبا أعذبا	قد سقاه النهر في تغريده
أعطت الورد البهي الأغربا	أشرقت أنواره أعطت شذا ¹
لن يكون الحلو حلوا أرطبا	شذا ¹
بك نعتز اعتزا ملهبا	أعطت الخير الذي من دونه
كان حلما أو رجاء معربا	إننا نهواك يا عرش الرضا
علوي قدره قد أركبا	بك نرقى سلم المجد الذي
قد رأينا فيك رأيا مجتبي	معربي أنت في عز العلى

1 - الشذا: قوة ذكاء الرائحة.

2 - أخصب الثرى أو المكان: خصب وكثر فيه الخير.

تفتح الأبواب نصرا أوجبا	أنت تاج العالمين المرتجى
لبنا الصرح الذي قد أعجبا	قد لمسنا فيك فتحا دائما
ههنا نال العزيز المأربا	أوجب السير الحثيث المهتدى
استوى فيك ونال المذهبا	ههنا دوى جليا صيته
كان للشعب هدى قد جربا	كل ملك رائد في أرضنا
نحو ما يرضى ويعلي المنصبا ¹	كان عدلا عادلا في حكمه
حكمت أعطت رخاء أرحبا	سار بالمغرب نحو المرتقى
من بنيتها قد رأينا الأنسبا	دول عاشت هنا في أرضنا
جاء إنسانا رحيمًا منقبا ²	أعطت الإشراق بدرا مزهرا
ليظل الود فينا مشربا	سادس الأنجاد هذا ملكنا
في هدى شعب يعز المغربا	يبذل الجهد الجهد المرتجى
ينبذ الكيد الذي قد أرهبا	كن له رب معينًا في البنا
لن يكون القلب فينا مطربا	وأدمه قائدا يحمي الحمى
كن له حصنا حصينا مرقبا	ينشر السلم الذي من دونه
دائما فينا نراهم مطلبا	وولي العهد صنه سيدي
	فهو والأسرة آمال الرضا

1- المنصب: المقام.

2- المنقب: الرجل العالم بالأشياء: الكثير البحث عنها، والتتقيب عليها.

سفينة النصر بالأنوار مشرعة بمناسبة عيد العرش المجيد

الشاعر: عبد الكريم الوزاني
فاس

وَمَنْ بِهِمْ وَبِأَعْلَى عَهْدِهِمْ أَثِقُ
فِي مُهَجَّتِي الْقَلَمُ الْمُوهُوبُ وَالْوَرَقُ
وَمِلْءُ أَعْطَافِهَا الْأَنْوَارُ وَالْأَلَقُ
فَيْضٌ مِنَ الْعِشْقِ شَلَالٌ سَيَنْدَفِقُ
وَسَوْرَةُ الْعِشْقِ فِي الْأَعْمَاقِ تَنْبَثِقُ
دَعَائِمُ الْجُودِ فِي الْعَلْيَاءِ تَنْطَلِقُ
ذَاكَ السَّرَى، صُبْحُهَا الْوَضَاءُ يَنْفَلِقُ
يَسْمُو بِهَا مَلِكٌ، نُبْضُ السَّنَا الْأَلَقُ
تَهْفُوا الْقُلُوبُ إِلَى سَمْتٍ لَهُ طَلِقُ
تَفْتَقُ الْمُنتَهَى وَالْخَلْقُ وَالْخَلْقُ
بَدْرُ الْكَمَالِ بَدَا، وَالشَّمْسُ لَا الْفَسَقُ
"فَالْعَدْلُ مُبْتَدَأٌ وَالْحَقُّ مُنْطَلَقُ"
سَوَاعِدُ تَسْبِقُ الدُّنْيَا وَتَخْتَرِقُ
مِنْ رَحْبِهَا هَلْ هَذَا الشَّامِخُ الْأُفُقُ
عَهْدٌ تَوَثَّقُ، تَارِيخٌ لَهُ نَسَقُ

"يَا أَهْلَ وَدْيَ مَنْ فِي وَدْهِمْ صَدَقُوا
قَدْ جِئْتُ مُنْتَشِياً، وَالشَّمْلُ مُلْتَقِياً
تَسَابِقُ الْخَطَوَاتُ، الشَّعْرُ أَوَّلُهَا
هَاجَتْ أَطْوَى مَسَافَاتِي وَبَيْنَ يَدَي
سَفِينَةُ النَّصْرِ بِالْأَنْوَارِ مُشْرَعَةٌ
شِرَاعُهَا: دَوْحَةُ الْأَشْرَافِ تُسْنِدُهَا
بَوَارِجُ الْبَحْرِ، هَلْ تَرْضَى بِجَارِيَةٍ
هَذِي الْأَرْوَمَةَ وَالْأَيَّامُ مُفْعَمَةٌ
خَفَقَ الْمَحَبَّةُ مِنْ نُبْضِ الْهَوَى كَلِفُ
هُوَ الْمَلِكُ لَجِينٌ، مِنْ نَضَارَتِهِ
يَا مَنْ تَسَامَى بِنَا نَحْوَ الْعُلَا أَمَلًا
نُحْيِي بِبَيْعَتِنَا أَوْصَالَ وَحَدَتِنَا
سَفِينَةُ الْحُبِّ فِي بَحْرِ تَطَوُّقِهَا
قَدْ تَوَجَّتْ شُعْلَةُ الْإِيمَانِ هَامَتِهَا
طُوبَى لِبَيْتٍ بِهِ رَايَاتُنَا خَفَقَتْ

نُورُ الرِّيَادَةِ هَدْيُ السَّعْدِ مُوَكِّبُهُ
هَذَا مُحَمَّدُنَا وَالسَّعْدُ يَكْلَاهُ
يَا عَاهِلًا، مَا تَنَاءَتْ هَذِهِ الطُّرُقُ
أَتَيْتُ أَحْمِلُ مِنْسَاتِي عَلَى كَتِفِي
مَجْدٌ لِعِيدِكَ، وَالْأَعْيَادُ بِهِجْتُنَا

وَمِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقٍ بِهَا نَطَقُوا
شَبَابُهُ الْغَضُّ وَالْأَمَالُ تَسْتَبِقُ
أَنْتَ الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْحَازِقُ اللَّيْقُ
أَهْدِي تَحِيَّةَ فَاسٍ. وَالرِّضَا غَدَقُ
حُبٌّ تَفَانِي وَعِشْقٌ هَادِرٌ دَفَقُ

7..... الافتتاحية:

مقالات العدد:

11..... إمارة المؤمنين وحضورها الديني والسياسي في النموذج المغربي

د. عبد الحميد العلمي

21..... إمارة المؤمنين وإستراتيجية الأمن الروحي بالمغرب

د. عبد الرزاق وورقية

43..... إمارة المؤمنين وإصلاح الشأن الديني بالمغرب

د. إدريس الزعري المبارك

51..... عيد العرش أول عيد وطني احتفل به في المغرب

د. محمد الناصري.

مؤلفات حول ذكرى عيد العرش وثورة الملك والشعب من خلال كتاب "بيبلوغرافيا

مفصلة حول محمد الخامس"..... 63

د. أحمد ايشرخان.

77..... تخليد الصحافة في المنطقة الخليفة لذكرى عيد العرش المجيد

د. محمد البغياي

شهادات تاريخية على مغربية الصحراء ودعم السلاطين العلويين لرعاياهم به ضد

الأطماع الأوربية..... 89

د. أحمد الأزمي

مقالات داعمة:

111.....معالم من شخصية الإمام مالك بن أنس وأثرها في فقه التيسير.

د.عبد الرحمان بوعلي

127.....أبو العتاهية والعروض.

د. محمد العلمي

قراءة في كتاب:

155.....قراءة في كتاب: "تاريخ المغرب الحديث والمعاصر".

د.أحمد بلخيري

ديوان العدد:

167.....رسالة إلى الأمم المتحدة.

الشاعرة: سميرة فرجي

169.....أيها العرش المفضى.

الشاعر : عبد الحميد بنزونة

171.....سفينة النصر بالأنوار مشرعة بمناسبة عيد العرش المجيد.

الشاعر: عبد الكريم الوزاني

شروط النشر بالمجلة

تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- البريد الإلكتروني هو : alami hamid49@gmail.com
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.

محاور الأعداد المقبلة

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد المحاور الآتية:

1. جهود المغرب في تكوين القيميين الدينيين
2. القيم الإنسانية في الإسلام
3. الأدب المغربي: معالم وأعلام





بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
مخلة شجرة بالمدى والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

الصلوة

